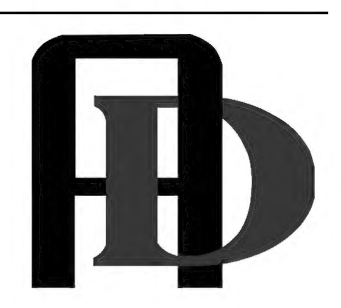
العلاقات السياسية
الساسانية - البيزنطية
(226 – 628م)

العلاقات السياسية
الساسانية ـ البيزنطية
226ـ 628 م

الدكتورة
مهدية فيصل صالح

الطبعة الأولى 2017 م
عدد النسخ: 1000
القياس: 17 × 24
عدد الصفحات: 352

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 000 لسنة 000





للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - بغداد
شارع المتنبي - بناية المكتبة البغدادية
07707900655 - 07901785386
07813515055 - 07901312029
Email: yaserbook@yahoo.com - فيس بوك: دار ومكتبة عدنان

الدكتورة
مهدية فيصل صالح

العلاقات السياسية الساسانية - البيزنطية

(226 – 628م)

2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ② فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ③ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ④ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ⑤﴾

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيم

(سورة الروم: الايات 1 – 5)

الاهــداء

الـــــى الذي لولا وقوفه الى جانبي وتشجيعه لي لا كنت ولم اكن والدي الحبيب......... حباً وتقديراً.

الى التي كل ما شكوت لها هماً وتعباً قالت لي اصبري وتوكلي على الله والدتي الحبيبة...... حباً ووفـاءً

الى رياحين نفسي الذين بعطرهم اتنسم رائحة الحياة

اخواني.......... واخواتي

الى القلب الذي ينبض حباً للخير والعلم ولا يسعني الا ان اطأطئُ رأسي لأقبل يداه اعترافاً بفضله ابي واستاذي الدكتور جواد مطر الموسوي........ اعتزازاً وتقديراً.

أُهدي هذا جهد المتواضع

مهدية

المحتويات

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:



المقدمــــة

الحمد لله واهب العقل والمعرفة، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء ابي الزهراء محمد سيد رسله المنزه عن النقص في كل صفة واله الهداة سادات البشر وخلفاء الله في ارضه في البدو والحضر.

وبعـــد.....

" انني أتساءل، هل ثمة جديد يبعث على الرضا والسرور في هذا العالم، ففي كل زمان ومكان نلاحظ النزاع والصراع، ونسمع الاهات والانيين، ها هي المدن تدمر، والقلاع تهدم، والحقول تقفر من سكانها.. "[(1)].

ان هذه الجملة التي فاه بها البابا جريجوري الاول(590 – 604م)[(*)] توضح لنا بنظرة دقيقة حالة العالم المتمدن الذي عاش، ولا يزال صراعات وحروب مستمرة وموروثة.

1- نقلاً عن: ساليفان، ريتشارد، أ، ورثة الامبراطورية الرومانية (الغرب الجرماني – العالم الاسلامي – الدولة البيزنطية)، ترجمة وتقديم: جوزيف نسيم يوسف، (القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1984م)، ص 39.

* البابا جريجوري الاول: ولد في روما سنة 540م من اسرة عريقة من النبلاء، اظهر منذ حداثته نزعة دينية قوية، فاستغل الثروة الطائلة التي ورثها عن اهله في بناء الاديرة، اختير لمنصب البابوية (اسقف اعلى لكنيسة روما) سنة 590م، اتصف بالتواضع حتى اتخذ لنفسه لقب خادم الله، الى جانب كفايته الدينية اظهر كفاية ادارية وسياسية فحكومته في روما كانت اقرب الى الحكومة الدنيوية منها الى الحكومة الدينية، استغل موارد البابوية في اغراض الخير، توفي سنة 604م (للتفصيل عن حياته ينظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، اوربا العصور الوسطى، الجزء الاول (التاريخ السياسي)، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1983م)، ج1، ص161 – 164).

وبما أن ما يشهده العالم الان من تحولات كبرى في السياسة الدولية والسعي المتواصل للسيطرة على المناطق الاستراتيجية التي لم يكن لاهلها حول ولا قوة في تقرير مصيرها ما هو الا تفاعل بين القديم والجديد، من هنا جاء اختيارنا لموضوع الدراسة رغبة في التعرف على الدوافع الحقيقية للصراع السياسي العدائي الذي ساد العالم القديم مدة اربعة قرون عانت من وطئته شعوب ذات مراكز حضارية عريقة، وتزعمته اكبر امبراطوريتين نفوذا وسلطاناً هما الامبراطورية الساسانية والامبراطورية البيزنطية.

ان ما كتبه المؤرخون عن العلاقات الساسانية البيزنطية سواء المهتمون منهم بالدراسات الإيرانية في العهد الساساني او بالدراسات البيزنطية لا يعدو ان يكون أبحاثاً مقتضبة ومقالات متناثرة، لذلك عقدت العزم على الشروع في دراسة مستقلة نبين للقارئ من خلالها طبيعة تلك العلاقات، وأسبابها، والأساليب التي اتبعها كل منهما لتحقيق مآربه، والنتائج التي ترتبت عليها.

وفي ضوء الاعتبارات الموضوعية لطبيعة الدراسة، فقد قسمت البحث الى خمسة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها الخاتمة.

فالفصل الاول تناول (العلاقات الفارسية القديمة(559ق.م - 226م)) تضمن (العلاقات الاخمينية - اليونانية 559 - 330ق.م)، و(بلاد فارس في ظل الدولة السلوقية 323 - 124ق.م)، فضلاً عن (العلاقات الفرثية - الرومانية 124ق.م - 226م).

اما الفصل الثاني فاهتم (بالعلاقات الساسانية - البيزنطية 226 - 337م) حيث بحثت فيه (الحروب الساسانية - الرومانية 226 - 272م) و(مدن القوافل التجارية الساسانية والبيزنطية ودورها السياسي) وكذلك (الحروب الساسانية - البيزنطية 272 - 337م).

وحمل الفصل الثالث عنوان (العلاقات الساسانية - البيزنطية 337 - 506م) وقد درست فيه (الحروب الساسانية - البيزنطية 337 - 364م)، و(العلاقات السلمية الساسانية - البيزنطية 364 - 420م) وكذلك (الحروب الساسانية - البيزنطية 421 - 506م).

أما الفصل الرابع الذي عنوانه (العلاقات الساسانية - البيزنطية 506 - 562م) ففيه بحثت (الحروب الساسانية - البيزنطية 506 - 532م) و(العرب والصراع الساساني البيزنطي) تناولت فيه علاقة دولة المناذرة بالساسانيين ودورهم في الصراع مع البيزنطيين حتى سنة 422م موضحة سبب التوقف عند تلك السنة، ثم تناولت علاقة دولة الغساسنة بالبيزنطيين وعلاقة مملكة كندة بكليهما، وإذا كان تناولي لتلك الدول، لأنها شاركت في النزاع الساساني البيزنطي بصفتها دول حليفه مؤيدة لهذا الجانب أو ذاك فان تتبعي لدور اليمن كان مخالفاً تماماُ، إذ أنها لم تؤيد أو تقف الى جانب أي من الإمبراطوريتين بل ان كلا الإمبراطوريتين سعت الى السيطرة عليها وضمها الى نفوذها، وبحثت في هذا الفصل أيضاً (الحروب الساسانية - البيزنطية 545 - 562م).

أما الفصل الخامس فكان بعنوان (العلاقات الساسانية - البيزنطية 562 - 628م) تناولت فيه (الحروب الساسانية - البيزنطية 562 - 591م) ثم (الحروب الساسانية - البيزنطية 602 - 610م) و(الحروب الساسانية - البيزنطية 610 - 618م) و كذلك (الحروب الساسانية - البيزنطية 618 - 628م).

ولابد لأي باحث وهو يتصدى لمهمة البحث العلمي ان تواجهه بعض الصعوبات العلمية، والصعوبة التي اعترضت طريقي هي صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع ولا سيما تلك التي عاصر مؤرخوها الأحداث على الرغم من أني حاولت جاهدة للحصول عليها سواء داخل العراق أو خارجه.

أما المنهج الذي اعتمدته فهو المنهج التاريخي الوصفي القائم على تحليل بعض المعلومات ونقدها ومقارنة الآراء للوصول الى الحقائق التاريخية التي كانت أهم مواردها:

1ـ المصادر التاريخية السريانية:

أهمها كتاب (التاريخ الصغير) واصله وثيقة سريانية يعود تاريخها الى ما بين سنة 670 – 680م، كتبها مؤرخ سرياني مجهول، ترجمت الى لغات عدة منها اللاتينية والالمانية والروسية والفرنسية وتحت عناوين عدة منها: التاريخ المجهول، والتاريخ المغمور، وتاريخ غويدي نسبة الى ناشرها الأول المستشرق الايطالي اغناطيوس غويدي (1844 – 1935م)، اما تسمية الكتاب بـ (التاريخ الصغير) فهي التسمية التي وضعها له المرحوم الأب الدكتور (بطرس حداد) بعد ترجمته الى اللغة العربية عن النص الاصلي السرياني، وعلى الرغم من أيجاز مرويات هذا الكتاب الا أن أهميته تكمن في ان أخباره جاءت مؤيدة ومطابقة في كثير من الاحيان لروايات المصادر العربية، وقد اعتمادت عليه بشكل خاص في اغلب موضوعات الفصل الخامس.

أما كتاب (تاريخ السعردي) فصاحبه مؤرخ سرياني مجهول عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، يتألف هذا الكتاب من جزئين تناول فيه تاريخ المسيحية منذ بدايتها حتى منتصف القرن السابع الميلادي، ومما يميزه انه كتب باللغة العربية، وقد نشره البطريرك (ادي شير) مع الترجمة الفرنسية له سنة 1907م، وعلى الرغم مما يمتزج بهذا التاريخ من الاساطير فهو وثيقة ذات أهمية كبيرة لدراسة التاريخ والأدب الشرقية، وقد اعتمدت عليه في اغلب موضوعات الفصل الثالث والرابع.

2ـ المصادر التاريخية اليونانية والبيزنطية.

أهمها كتاب (تاريخ هيرودوتس) للمؤرخ اليوناني (هيرودوتس) (484 – 425ق.م) الذي قام برحلات عدة، وزار بلاداً كثيرة، لقب بـ (أبي التاريخ)، كتب تاريخاً عن الصراع الفارسي – اليوناني بجانب كبير من الإحاطة والتفصيل، وتاريخه مقسم الى تسع كتب كل كتاب مؤلف من عدة فقرات لا يتخللها فصول ولكل فقرة عدد الى أخر الكتاب، وقد اعتمدت عليه في الفصل الأول من هذا البحث في موضوع العلاقات الاخيمينة – اليونانية 559 – 330ق.م.

أما كتاب (العراق في القرن الرابع الميلادي) فصاحبه مؤرخ بيزنطي اسمه (اميانوس مرسيلينوس) (330 – 401م) ولد في مدينة انطاكيا السورية وشارك في حرب الإمبراطور قسطنطيوس (337 – 361م) الثانية مع الدولة الساسانية سنة 359م وشارك في حملة الامبراطور جوليان على العراق سنة 363م، وقد دون تفاصيل تلك الحروب ضمن كتابه الذي اسماه (الحوادث الجارية) (Rerum Gestarum Libri) تناول فيه تاريخ الامبراطورية الرومانية منذ سنة (96 – 378م) ويتكون هذا الكتاب من 31 جزءً فقدت معظم أجزائه ولم يبق منه سوى الجزء 18 الذي غطى المدة من سنة 353 – 378، وقد اطلعت على نسخة من هذا الكتاب وهو باللغة السويدية ولصعوبة الترجمة فقد اعتمدت فيما يخص شرح تفاصيل حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة 363م على ترجمة الأستاذ فؤاد جميل للجزء الخاص بالعراق عن النسخة الانكليزية.

أما كتاب (جنكهاي ايران وروم) فكاتبه مؤرخ بيزنطي يسمى (بروكوبيوس) (490 – 560م) ولد في مدينة قيسارية بفلسطين، درس القانون في القسطنطينية، واشتغل بالمحاماة، وفي سنة 527م رافق القائد البيزنطي بليزاريوس في حملاته العسكرية مما أتاح له فرصة متابعة الأحداث وتدوينها عن قرب في كتابه (تاريخ

الحروب) الذي يقع في ثمانية أجزاء تناول في الجزئين الأول والثاني منه حروب الإمبراطور جستنيان الاول (527 – 565م) مع الملك قباذ الاول (488 – 531م) وكسرى انوشروان (531 – 579م) بالتفصيل.

3ـ المصادر الفارسية

أهمها كتاب (الشاهنامة) للفردوسي (411هـ/ 1020م) ويعد اهم اثر ادبي فارسي ترجم الى العربية والى لغات عدة، واصله قصيدة عدد ابياتها 60 الف بيت، تناول فيها تاريخ بلاد فارس منذ عهدها الاسطوري حتى سقوط الدولة الساسانية مستعرضاً تاريخهم السياسي والديني والاجتماعي، وفيما يتعلق بالدولة الساسانية فقد تناول مدة حكم كل ملك من ملوكها شارحاً بالتفصيل أهم الأحداث التي وقعت في عهده، ومما يؤخذ عليه انه لم يعط لعلاقة الساسانيين بالبيزنطيين الاهتمام الكاف، ومع ذلك فقد أمدني هذا المصدر بمعلومات قيمة استفدت منها في الفصل الثاني والرابع والخامس ولا سيما في موضوع حرب الملك سابور الاول (241 – 272م) مع الإمبراطور فاليريان (253 – 260م) سنة 260م وعلاقة الملك قباذ الاول بالهياطلة، والأخطار التي تعرضت لها الدولة الساسانية في عهد الملك هرمز الرابع (579 – 590م) وهزيمة الملك كسرى ابرويز(590 – 628م) أمام الإمبراطور هرقل (610 – 641م) في دستكرد سنة 627م وغيرها من الموضوعات.

أما كتاب (فارس نامة) لابن البلخي الذي ألفه في بداية القرن الثاني عشر الميلادي فان شرحه المفصل عن أوضاع بلاد فارس ولا سيما الداخلية في عهد الملوك الساسانيين قد زودني بمعلومات مهمة اعتمدت عليها في الفصلين الثالث والرابع.

4ـ المصـادر العربيـة

أ ـ المصادر التاريخيـة

يقف في مقدمتها: (نهاية الارب في اخبار الفرس والعرب) للاصمعي (ت216هـ/ 830م) وهي مخطوطة تبدأ أحداثها بسرد قصة خلق ادم عليه السلام ثم قصة النبي ادريس ونوح وغيرهم من الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين حتى مبعث النبي شعيب بعدها ينتقل للحديث عن ملوك الفرس بدءً من رستم واسفنديار الى ملوك اليمن فالاسكندر المقدوني وملوك الطوائف ومنها الى الساسانيين الى نهاية دولتهم ودخول الإسلام في بلاد فارس، وقد امدتني هذه المخطوطة بمعلومات قيمة استفدت منها في الفصل الثاني ولا سيما في معرفة كيف تمكن الملك سابور الأول من الاستيلاء على مدينة الحضر وكذلك في الفصل الثالث في موضوع حروب سابور الثاني مع البيزنطيين (337 – 364م).

أما كتاب (الاخبار الطوال) للدينوري (ت282هـ/ 895م) فهو من المصادر التاريخية المهمة التي سلطت الأضواء على تاريخ الدولة الساسانية الديني والسياسي، وقد كان له حضور متميز في مواضيع متفرقة من الفصل الثالث والرابع والخامس ولاسيما في معرفة الصراع الذي دار حول العرش بين الأخوين فيروز وهرمز عقب وفاة والدهما يزدجرد الثاني(438 – 457م)، وكذلك في الحملة التي قام بها الملك كسـرى انوشروان (531 – 579م) على بلاد الشام سنة 540م وفي مواضيع غيرها.

أما كتاب (تاريخ الرسل والملوك) للطبري (310هـ/ 922م) فأهميته التاريخية تفوق المصادر التاريخية الأخرى بل أن من جاء بعده كان عيالاً عليه فيما أورده من تفصيلات عن التاريخ السياسي للدولة الساسانية التي لم يكن بإمكاني الا الاعتماد عليها في اغلب فصول البحث لا سيما فيما يتعلق بعلاقتهم مع الحضر ومع المناذرة

ومشاركة العرب في حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة 363م ومهاجمة الحارث الكندي لأرضي السواد في عهد الملك قباذ الاول والنزاع بين الغساسنة والمناذرة واثره في تجدد الحروب بين الساسانيين والبيزنطيين وفي غيرها من الموضوعات.

ولا يقل عنه اهمية كتاب (تجارب الامـم وتعاقب الهمم) لمسكويه (ت421هـ/ 1030م)، فالمادة التي قدمها عن التاريخ السياسي للساسانيين امدتني بمعلومات استفدت منها في عدة جوانب من البحث منها على سبيل المثال لا الحصر الاخطار التي تعرضت لها الدولة الساسانية في عهد الملك هرمز الرابع (579 – 590م) وهزيمة الملك كسرى ابرويز في دستكرد أمام الامبراطور هرقل سنة 627م وغيرها من الموضوعات.

ب ـ الكتب الادبية

أما الكتب الأدبية فقد ضمت في أثناءها معلومات قيمة عن التاريخ السياسي للدولة الساسانية ومنها كتاب (المحبر) لابن حبيب (ت245هـ/ 859م) فقد افدت منه في توضيح علاقة دولة الغساسنة بالبيزنطيين وكتاب (الاغاني) لابي فرج الاصفهاني (ت356هـ/ 966م) فقد أمدني بمعلومات عن كيفية سقوط الحضر بيد الملك سابور الاول، وذكر لنا رواية اعتمدت عليها في تحديد السنة التي أعاد فيها الامبراطور هرقل الصليب الى مكانه.

ج ـ المعاجم الجغرافية

أما المعاجم الجغرافية وابتداءً من كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة (ت 300هـ/ 912م) ثم كتاب (صورة الارض) لابن حوقل (ت367هـ/ 977م) الى

كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت626هـ/ 1228م) وكتاب (مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع) لابن عبد الحق (ت739هـ/ 1338م) فقد كان لها حضور متميز واضح المعالم في اغلب فصول البحث اذ مكنتني تلك المصادر وغيرها من تحديد الموقع الجغرافي للمدن والمناطق التي وردت في فصول البحث.

5ـ المراجع الحديثة

أما المراجع الحديثة ولا سيما الأجنبية منها المعربة وغير المعربة التي كتبها مؤرخون لهم باع طويل في الدراسات الإيرانية والبيزنطية فقد أسهمت إسهاماً كبيراً وواضحاً في سد الثغرات التي تركتها شحة المعلومات في المصادر الأولية، اذ أمدتني بمعلومات تفصيلية عن العلاقات السياسية بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية ومما يوسف له ان تلك المراجع في الغالب لم تشر الى المصادر التي استقت منها معلوماتها تلك ومن هذه المراجع: الفارسية الغير معربة، كتاب (تاريخ ايرانيان وعربها در زمان ساسانيان) للمؤرخ (نولدكه)، وكتاب (تاريخ ايران) للمؤرخ (سايكس)، وكتابي (تاريخ مردم ايران) و(روزكاران تاريخ ايران ازا غاز تا سقوط سلطنت بهلوي) للمؤرخ (زرين كوب)، وكتاب (خسرو برويز وجنكهاي بيست وهفت ساله ايران وروم) للمؤرخ (بهرام داهيم)، أما المراجع الانكليزية فاهمها كتاب (History of the Later Roman Empire) للمؤرخ (Bury) وكتاب (History of the Byzantine State) للمؤرخ (Ostrogorsky) وكتاب (History of the Byzantine Empire 324 – 1453) للمؤرخ الروسي (Vasiliev) وغيرها، اما المصادر المعربة فاهمها كتاب (اضمحلال الامبراطورية الرومانية)وسقوطها للمؤرخ (جيبون) وكتاب (الامبراطورية البيزنطية) للمؤرخ (اومان) وكتاب (الامبراطورية البيزنطية) للمؤرخ (عبد القادر احمد اليوسف) وكذلك كتاب (تاريخ ايران القديم) للمؤرخ (حسن بيرنيا)، وكتاب (ايران في عهد

الساسانيين) للمؤرخ (كرستنسن) وكتاب (العرب على حدود بيزنطية وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي) للمؤرخة (بيغوليفسكيا) وغيرها.

و بعد هذا أقول أن الكمال من الانسان كالثريا من الثرى وحسبي اني تصببت عرقاً وكد ذهني وجسدي، وأتوسم من أساتذتي ان يحكموا على مجمل جهدي لا على خطأ ارتكبته هنا وهناك قد لا يخلو منه أي بحث، ولا يمكن لباحث يتعثر في خطوات البحث ان يتجاوزه وأدعو من الله التوفيق والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله الغر الميامين.

الفصل الاول:

العلاقات الفارسية القديمة
559 ق.م ـ 226 م

تختلط الروايات التاريخية مع الاساطير في نسج تاريخ بلاد فارس قبل عهد الدولة الاخمينية(*)، ومع ان تاريخ هذه الدولة لا يخلو هو الأخر من تلك الاساطير الا ان في ثناياه حقائق تاريخية اكتشفها علماء الاثار(**) ودونها المؤرخون الكلاسيك (اليونان والرومان) من بينهم من عاصر الأحداث أمثال هيرودوتس (Herodotus)

---

* الدولة الاخمينيية: او الهاخمانشية، وتسميها المصادر الكلاسيكية بـ (الدولة الاكمينية)، قبيلة ايرانية استقرت مع مطلع الالف الاول قبل الميلاد في الاجزاء الجنوبية الغربية من بلاد فارس التي عرفت بـ (اقليم فارس) مؤسسها الاول (اخمينس او هاخمانيش او اكمينز) ومن المرجح ان مدة حكمه كانت ما بين الربع الاخير من القرن الثامن وحتى منتصف القرن السابع للميلاد، اذ تمكن من ان يكون لها كيان سياسي صغير تابع للدولة الميدية متخذاً من مدينة سوسيانا (سوسة او شوش) (جنوب مدينة ديزفول في الوقت الحاضر) عاصمة لها، وظل هذا الكيان يتارجح بين التبعية والاستقلال حتى عهد الملك كورش الثاني (559 – 529 ق.م) (للتفصيل ينظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ حضارة وادي النيل)، ط2، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1956م)، ج2، ص406 – 407؛ ابو مغلي، محمد وصفي، ايران دراسة عامة، (البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، شعبة الدراسات الفارسية، سلسلة ايران والخليج العربي (24)، 1985م)، ص88 – 90).

** تمكن عالم الاثار الانكليزي السير هنري رولنسن (S.H.Rawlinson) (1810 – 1895م) خلال السنوات (1837 – 1848م) من نقل وقراءة رموز الكتابات المكتوبة على صخور جبل بهستون (على الطريق بين كرمنشاه وهمدان في الوقت الحاضر) التي يعود تاريخها الى عهد الملك الاخميني دارا الاول (521 – 486ق.م) التي سجل فيها انتصاراته على اعدائه بثلاث لغات (الفهلوية القديمة والبابلية والارامية) واهمية هذه الكتابات لا تكمن في انها حفظت تاريخ الدولة الاخمينية وعلاقتها بالعالم القديم آنذاك فحسب بل انها تشبه حالة حجر الرشيد في مصر الذي من خلاله حلت رموز اللغة الهيروغليفية، فبعد قراءة الكتابة الفهلوية القديمة تمكن رولنسن من حل رموز الخط المسماري (البابلي القديم) (برستد، جيمس هنري، العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، (بيروت: 1926م)، ص140، 147 – 148).

وزينفون (Zenophon)(*)، ولعل ابرز تلك الحقائق التاريخية الحروب الاخمينية – اليونانية تلك الحروب التي استمرت سجالاً متوارثاً في الدول التي حكمت بلاد فارس حتى سقوطها بيد العرب المسلمين سنة 21هـ/ 641م، وقد أكد المؤرخ الكلاسيكي (سترابو) (1) (Strabo) ان البدايات الأولى للعلاقات (الفارسية – اليونانية) تعود الى عهد الدولة الاخمينية بقوله: " انهم دون سائر البرابرة(**) جميعاً خير من ان تعرفهم بلاد اليونان(***)، فهم في الواقع أول شعب أخضعها للحكم الأجنبي ".

من هذه الحقيقة سوف ننطلق لنبدأ البحث في العلاقات الفارسية القديمة (559ق.م – 226م).

---

* زينفون: (435 – 355ق.م) مؤرخ وجندي اغريقي، التحق بالحملة الاغريقية لمساعدة الامير الاخميني كورش الصغير في حملته سنة 401ق.م ضد اخيه الملك الاخميني دارا الثاني (424 – 404ق.م) وبعد مقتل كورش قاد الجيش الاغريقي المنسحب الى بلاده، وقد سجل اخبار هذه الحملة في كتابه المسمى (حملة العشرة الاف) (زينوفون، حملة العشرة الاف (الحملة على فارس)، ترجمة: يعقوب افرام منصور، (الموصل: منشورات مكتبة بسام، 1985م)، ص12، 17).

1- **The Geography of Strabo ,London(1966),Book 15,Ch,23.**

** البرابرة: اسم أطلقه اليونان والرومان على الغرباء عنهم الذين يحملون طابعاً عدائياً للامبراطورية الرومانية المقدسة (حاطوم، نور الدين، تاريخ العصر الوسيط في أوربا، (لبنان: دار الفكر الحديث، 1967م)، ج1، ص15).

***بلاد اليونان: هي الجزء الجنوبي من شبه جزيرة البلقان، استقرت فيها القبائل الهندو – أوربية بعد ان هاجرت من موطنها الأصلي بين بحر قزوين والبحر الاسود (جنوب روسيا في الوقت الحاضر) مع بداية الالف الثاني قبل الميلاد على شكل موجات متعاقبة، واول هذه القبائل هي القبائل الآخية (الهلينيين) التي اتجهت الى الجزر الجنوبية لبحر ايجة وسكنت شبه جزيرة البيلوبونيز (شبه جزيرة المورة في الوقت الحاضر)، وفي نحو سنة 1500 ق.م تغلبت قبائل الدوريون (الاسبارطيون) على شبه جزيرة البيلوبونيز فاضطر الآخائيون الى الهجرة الى السواحل الغربية من اسيا الصغرى، وبين سنة 1300 و1100 ق.م اجتاحت قبيلة يونانية ثالثة تسمى بـ (الايونيين) وهم سكان (اثينا) القسم الاوسط من سواحل اسيا الصغرى، بينما استوطن القسم الشمالي من اسيا الصغرى (الايوليون)، ولا يعرف بالضبط وقت هجرة هؤلاء (للتفصيل ينظر: برن، اندرو روبرت، تاريخ اليونان، ترجمة: محمد توفيق حسين، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1989م)، ص62؛ برستد، العصور القديمة، ص192 – 194).

- العلاقات الاخمينية - اليونانية (559 - 330 ق.م)

تعود اقدم العلاقات الاخمينية - اليونانية الى عهد الملك الاخميني السابع كورش الثاني (كورش الكبير) (Kurash 11) (559 - 529ق.م) الذي جعل من بلاد فارس دولة قوية ومتماسكة مدة قرنين من الزمان[1]، فقد كان إقليم فارس في السنوات الاولى من حكمه تابعاً للميديين[*]، الا ان هذه التبعية انتهت بعد انتصاره على الملك الميدي استياجس (Astyages) (594 - 550ق.م) في معركة جرت بينهما بالقرب من بازركادة[**] سنة 550ق.م[2]، ومنذ هذا التاريخ اصبح لاقليم فارس كيانه السياسي

1- ايليف، ج. هـ، فارس والعالم القديم، ترجمة: محمد صقر خفاجة، فصل ضمن كتاب تراث فارس، ترجم هذا الكتاب: محمد كفافي واحمد الساداتي والسيد يعقوب بكر ومحمد صقر خفاجة واحمد عيسى، واشترك في كتابة ومراجعة ترجمته: يحيى الخشاب، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1959م)، ص30 - 31.

* الميديين: او الماذيين، قبيلة ايرانية استقرت مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد في الأجزاء الغربية من بلاد فارس، مؤسسها الاول ديوسيس الذي حكم في حدود سنة 708ق.م، وقد اتخذ من اكبتانا (همدان) عاصمة لدولته، ويعتقد ان ديوسيس هو نفسه دياكو الذي نفاه الملك الاشوري سرجون الثاني (721 - 705ق.م) الى مدينة حماة في سوريا، ومنذ ذلك التاريخ اصبح الميديون خاضعين للاشوريين، وظلوا كذلك حتى تمكن الزعيم الميدي كي - اخسار (653 - 584ق.م) من القضاء على الدولة الاشورية واستولى على عاصمتها نينوى سنة 612ق.م (للتفصيل ينظر: باقر، مقدمة، ج2، ص 396 - 404؛ ابو مغلي، ايران، ص15 - 16، 83 - 87).

** بازركادة: او باساركاد، اولى العواصم التي اتخذها الملك كورش الثاني وتقع الى شمال برسيبوليس (اصطخر) بنحو 50 ميلاً، تعرف خرائبها اليوم بـ (مشهدي مرغاب) (الاحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الادنى القديم ايران والاناضول، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د. ت)، ص100).

2- للتفصيل ينظر: هيرودوتس، تاريخ هيرودوتس، ترجمه عن الفرنسية: حبيب افندي، (بيروت: مطبعة القديس جاورجيوس، 1886 - 1887م)، الكتاب الاول، الفقرات 127 - 130.

المستقل،وعمل كورش على توسيع هذا الكيان بحيث اصبح اسم اقليم فارس يطلق على كل بلاد إيران الحالية فسميت بـ (بلاد فارس) [1]، ليس هذا فقط بل توسع باتجاه اسيا الصغرى فاستولى على أغنى الممالك آنذاك وهي مملكة ليديا(*) في عهد ملكها قـارون (كرويسوس) (Croesus) (560 – 546ق.م) الذي اخافته قوة كورش وزيادة نفوذه فسارع الى عقد تحالف لمواجهته مع ملك بابل نبونائيد(Nabonid) (556 – 539ق.م)(**) وفرعون مصر احمس الثاني(اماسيس) (Amasis) (570 – 526ق.م)(***)

1- باقر، طه، وفوزي رشيد، ورضا جواد الهاشمي، تاريخ ايران القديم، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1979م)، ص48.

* ليديا: احدى الممالك القوية التي ظهرت في الجزء الغربي من اسيا الصغرى مع بداية القرن السابع قبل الميلاد، ويرجع الفضل في قوة هذه الدولة الى ملكها الياتيس (617 – 560ق.م) إذ تمكن من اخضاع اغلبية المدن الايونية (اليونانية) في اسيا الصغرى لحكمه، وجعل من البلاد مركزاً مهما للتجارة بين اسيا واوربا واشتهرت ليديا بانها اولى اقطار العالم آنذاك في سك النقود (ولز، هـ.ج،معالم تاريخ الانسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكي علي، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1948م)، مج2، ص293؛وللتفصيل ينظر: الاحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الادنى، ص359 – 366).

** نبونائيد: اخر الملوك الذين حكموا الدولة البابلية الحديثة (626 – 539ق.م) كان احد القادة البارزين في عهد الملك نبوخذ نصر (604 – 562ق.م)، يعتقد ان والده كان احد النبلاء المتنفذين، وامه الكاهنة العليا لمعبد الاله سين (الاله القمر) في مدينة حران، تولى عرش البلاد على اثر الانقلاب الذي قام به الجند على ملكهم الضعيف لباش – مرودخ الذي تولى الحكم سنة 556ق.م ولمدة بضعة اشهر، وعلى الرغم مما انتاب بلاد بابل في عهد الملك نبونائيد من اضطراب وارتباك في الناحيتين الاقتصادية والدينية، فقد وصف بانه اداري ورجل دولة من الطراز الاول (باقر، مقدمة، ج1(الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين)، ط2، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م)، ص552 – 553؛ سليمان، عامر والفتيان، احمد مالك، محاضرات في التاريخ القديم، القسم الاول (موجز تاريخ العراق القديم)، (الموصل: مطبعة جامعة الموصل، 1978م)، ص201 – 202.

***احمس الثاني (اماسيس): من أواخر ملوك الاسرة السادسة والعشرين (664 – 525ق.م) توفي قبل ان يستولي الاخمينيين على مصر سنة 525ق.م (مهران،محمد بيومي، مصر والشرق الادني القديم، الجزء الثالث (مصر من قيام الدولة الحديثة حتى الاسرة الحادية والثلاثين)، ط4، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1988م)، ص657 – 658.

وحاكم مدينة اسبارطة(*) - الذي لم تذكر المصادر اسمه [1]، الا ان كورش تمكن من افشال ذلك التحالف باستيلائه على عاصمة ليديا ساردیس (Sardis) واسر ملكها سنة 546ق.م [2]، وبسقوط ليديا تفاجئت الدول اليونانية بتقدم الاخمينيين، وأدركت المدن الايونية (اليونانية) في الساحل الغربي لاسيا الصغرى عدم قدرتها على ايقاف ذلك التقدم لذلك قررت ارسال رسلها الى الملك كورش الثاني تعرض عليه الدخول في تبعيته، الا انه رفض عرضها هذا لانها سبق وان ابت عليه التحالف معه ضد الليديين عندما طلب منها ذلك [3]. وهذا يعني ان هذه المدن لم تكن تمتلك من القوة ما يمكنها من الدفاع عن نفسها ضد أي خطر يواجهها ويعود ذلك الى عدم قدرتها على توحيد نفسها في دولة قوية موحدة، فكانت كل مدينة تكون مملكة قائمة بذاتها لها قوانينها وجيشها وألهتها الخاصة بها، ولكي تضمن الامن لنفسها كانت تعمد الى الدخول في حلف مع الدولة الأقوى الموجودة في المنطقة [4].

ولم يكن أمام تلك المدن بعد ان رفض الملك كورش الثاني طلبها سوى ان ترسل رسلها مستغيثة باقوى المدن اليونانية آنذاك وهي اسبارطة التي أرسلت بدورها رسولاً الى الملك كورش الثاني لينذره بانه سوف لن يغض الطرف عن سوء معاملة أو

---

* اسبارطة: هي اقوى المدن اليونانية في القرن السادس قبل الميلاد، كان نظام حكمها عسكرياً متشدداً، زاحمت اثينا على زعامة بلاد اليونان وتغلبت عليها في حرب البيلوبونيز سنة 404ق.م (عياد، محمد كامل، تاريخ اليونان، (دمشق: وزارة التعليم السورية، 1969م)، ج1، ص169 - 170).

1- للتفصيل ينظر: هيرودوتس،تاريخ، الكتاب الاول، الفقرات 69 - 70، 77؛ بورتر: هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م)، ص155؛ ابو مغلي، ايران، ص91.

2- للتفصيل ينظر: هيرودوتس، المصدر نفسه، الكتاب الاول، الفقرات 84 - 85؛ بورتر: المصدر نفسه، ص155 - 156؛ مهران، مصر والشرق الادني، ص657 - 658؛

Bury.J, A History of Greece to the death of Alexander the Great , London (1920) , p.227.

3- هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الاول، فقرة 141.

4- برستد، العصور القديمة، ص198.

إيذاء أي من المدن اليونانية [1]، فما كان من الملك كورش الثاني الا ان سخر من هذا التهديد وأجاب الرسول قائلاً: " أني لم أبال قط بأمثال هؤلاء الذين من دابهم ان يجتمعوا الى ساحة في وسط بلدتهم ويخادع بعضهم بعضا بالاقسام المتبادلة وان أحياني الرب فاني اجعل احاديثهم تدور على مصائبهم لا على مصائب اليونان " [2].

يتبين من هذا الجواب ان الملك كورش الثاني قد جعل ضمن طموحه السياسي غزو المدن اليونانية لا في اسيا الصغرى فحسب بل في بلاد اليونان نفسها.

ولعدم اكتراثه بقوة هذه المدن فقد ترك امر الاستيلاء عليها لقائده الميدي هرباخوس(Harpagus)[*] بينما سار هو نحو الشرق، فتمكن هذا القائد من اخضاع اسيا الصغرى جميعها لسيطرة الاخمينيين سنة 545ق.م، فكان هذا أول صدام مباشر بين الدولة الاخمينية واليونان [3].

وكما هو شأن جميع الولايات والمدن التي خضعت للإمبراطورية الاخمينية ترك الملك كورش الثاني امر ادارة الشؤون الداخلية للمدن اليونانية في اسيا الصغرى لحكام منها موالين له بعد ان الزمهم بدفع ضريبة سنوية [4]، ويبدو ان هؤلاء الحكام ظلوا مخلصين في ولائهم للإمبراطورية الاخمينية لضمان بقائهم في مناصبهم فلم

1- هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الاول، فقرة 152.

2- هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الاول، فقرة 153.

* هرباخوس: قائد الجيش الميدي الذي ارسله الملك الميدي استياجس (594 – 550ق.م) لمحاربة كورش الاخميني سنة 550ق.م ولكن هذا القائد كان حاقداً على الملك الميدي لاسباب شخصية فانتهز الفرصة لينتقم منه بانضمامه الى جانب كورش الاخميني (للتفصيل ينظر: هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الاول، الفقرات 123 – 127).

3- لوكهارت،ل،فارس في نظر الغرب،ترجمة:السيد يعقوب بكر، فصل ضمن كتاب تراث فارس،ص410؛ Bury, A History of Greece,p.231.

4- بيرنيا، حسن، تاريخ ايران القديم منذ البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت)، ص105.

يشاركوا في عمليات التمرد التي عمت ارجاء الامبراطورية ضد الملك الاخميني دارا الاول (داريوس الاول) (Darius 1) (521 - 486ق.م) (الذي اغتصب العرش الاخميني بعد وفاة قمبيز الثاني (529 - 522ق.م) خليفة كورش) [1]، بل انهم ساعدوه - أي الملك دارا الاول - في حملته على جنوب شرق اوربا سنة (512ق.م) التي قصد بها تأديب القبائل الاسكيثية (Scythians)[*] فاقاموا له جسراً على مضيق البوسفور(Bosphorus)[**] عبرت عليه جيوشه حتى وصلت نهر دانوبيوس (Dnubius) (الدانوب)[***] وظلوا يحمون هذا الجسر لحين عودته الى مدينة ساردیس عاصمة ليديا ومركز الحكم الاخميني في اسيا الصغرى رافضين محاولة الاسكيثيين في التحالف معهم لقطع الجسر والقضاء على جيش الملك الاخميني [2].

1- للتفصيل عن الثورات التي قامت ضد الملك دارا الاول ودوره في اخمادها ينظر: (سايكس، سير برسي، تاريخ ايران، ترجمه الى الفارسية: سيد محمد تقي فخر داعي كيلاني، جاب سوم، (تهران: جاب افست علي اكبر علمي، 1332هـ)، ج1، ص210 - 211).

* القبائل الاسكيثية: قبائل هندو - أوربية سكنت منطقة حوض نهر الفولغا بين بحر قزوين وبحر ارال (جنوب روسيا في الوقت الحاضر)، واخذت مع نهاية القرن الثامن قبل الميلاد تهاجر من موطنها الاصلي باتجاه بلاد فارس مسببة اضطرابات كثيرة في حدوده الشمالية الشرقية، وهاجموا اسيا الصغرى وبلاد الشام.

(Ghirshman ,Roman,Iran from the Earliest times to the Islamic Conquest, London (1954),p.97).

** مضيق البوسفور: وهو مضيق استنبول، والعرب يسمونه خليج القسطنطينية يصل البحر الاسود ببحر مرمرة، و يفصل بين قسمي تركيا الاسيوي والاوربي (غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، (بيروت: دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، 1987م)، ج1، ص371؛ الكرملي، انستانس ماري،المساعد، تحقيق: كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، (بغداد: مطبعة دار الحرية،1976م)، ج2، ص243).

***نهر دانوبيوس (الدانوب) ويسمى قديماً بنهر الطونة وهو أهم انهار أوربا بعد الفولغا يصب في البحر الاسود (معلوف، لويس، المنجد في الاعلام، ط3، (طهران: منشورات ذوي القربى، مطبعة اميران، 2001م)، ص240).

2- للتفصيل عن حملة الملك دارا الاول على القبائل الاسكيثية والمساعدات التي قدمتها المدن الايونية له ينظر: هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الرابع، الفقرة 1، الفقرات 118 - 143؛

Bury, A History of Greece,pp.238 - 239.

وعلى أساس ذلك يمكننا القول ان العلاقات بين الدولة الاخمينية والمدن الايونية (اليونانية) في اسيا الصغرى كانت علاقات ودية قائمة على اساس المصالح الشخصية ولا سيما من جانب اليونانيين خلال المدة (545 – 499ق.م) أي حتى قيام حاكم مدينة ملطية ارستاكوراس (Aristagores) سنة 499ق.م بالتمرد اذ اتفق مع الحاكم الاخميني ارتافرن(Artapherne)(*) على القيام بحملة مشتركة لاخضاع جزيرة ناكسوس (Naxos)(**)، غير ان هذه الحملة فشلت، فخاف ارستاكوراس عقاب الملك الاخميني دارا الاول ورأى في الثورة عليه وسيلة للتخلص من ذلك العقاب لا سيما وان ابن عمه هستيايوس (Hisitaeus)(***) المحبوس في سوسيانا (سوسه)(Susa)(****) قد حرضه على خيانة(*****) الملك الاخميني دارا الاول، ولكنه أدرك عدم قدرة المدن الايونية على مواجهة قوة الاخمينيين فذهب الى دولتي اسبارطة واثينا طالباً المساعدة،

* ارتافرن: اخو الملك دارا الاول وقد جعله حاكماً على ولاية اسيا الصغرى (هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الخامس، فقرة 30).

** ناكسوس: احدى جزر جزيرة سيكلوديس (Cyclodes) الواقعة الى الجنوب الغربي من بحر ايجة (سلطان، غانم جزر العالم (امثلة وتطبيقات من بحار العالم ومحيطاته دراسة لظروفها الجغرافية وتطور مراحل الاستقرار فيها ومواردها الاقتصادية)، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 1988م)، ص274، وناكسوس من الجزر التي لم تخضع لسيطرة الاخمينيين (هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الخامس، فقرة 30)

***هستيايوس: حاكم مدينة ملطية قبل ارستاكوراس، اخلص للملك الاخميني دارا الاول في حروبه مع القبائل الاسكيثية فكافئه بان ضم اليه مدينة ميركينوس احدى مدن تراقيا (بلغاريا)، الا ان الملك دارا الاول خاف من خيانته اذا تقوى وزاد نفوذه، لذا اخذه معه الى سوسه وعاملة هناك معاملة سيئة (هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الخامس، الفقرات 23 – 24).

**** سوسيانا (سوسه): او شوش عاصمة الدولة العيلامية التي حكمت اقليم خوزستان (الاحواز) منتصف الالف الثالث قبل الميلاد حتى الالف الاول قبل الميلاد وموقع سوسه جنوب ديزفول في الوقت الحاضر (باقر واخرون، تاريخ ايران، ص25).

***** كان هدف ارستاكوراس من القيام بهذه الحملة ان يكون له نفوذ وسلطة في جزيرة ناكسوس والجزر الاخرى جنوب بحر ايجة، الا ان حملته فشلت بسبب خلافه مع القائد الاخميني الذي رافقه فبعث الاخير الى اهالي ناكسوس يخبرهم بعزم ارستاكوراس على مهاجمتهم فاستعدوا لمواجهته وتمكنوا من هزيمته (للتفصيل ينظر: هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الخامس، الفقرات 30 – 36).

فرفضت الاولى بينما وعدته الثانية بالمساعدة [1]، ولعل الذي دفع اثينا الى تقديم المساعدة للمدن الايونية يعود الى تخمينها الصائب بان الاخمينيين سيهاجمون اثينا بعد ترسيخ سيطرتهم على المدن الايونية عندما تحين لهم الفرصة المناسبة، ولذلك قررت اثارة الاضطرابات بوجه الدولة الاخمينية كي لا تسمح لها بالهجوم عليها في الوقت الذي يقرره الاخمينينون انفسهم [2]، وعلى اثر ذلك تقدم ارستاكوراس وحلفاؤه الاثينيين نحو مدينة سارديس فاستولوا عليها واحرقوها [3]، فما كان من الملك دارا الاول الا ان جهز حملة عسكرية استطاعت في معركة لاذا[*] البحرية من الحاق الهزيمة بالمدن الثائرة واحتلال ملطية نفسها وذلك في سنة 494ق.م[4].

قرر الملك دارا الاول بعد هذا الانتصار تأديب الاثينيين بغزو بلاد اليونان واحتلال اثينا، فجهز لهذا الامر جيشاً برياً كثيفاً واسطولاً بحرياً مكوناً من ستمئة سفينة وصل بهم سنة 490ق.م الى ماراثون (Marathon)[**] بالقرب من اثينا إذ دارت رحى المواجهة وتمكنت اثينا بمفردها بعد ان رفضت اسبارطة مساعدتها من الحاق الهزيمة

1- سرسق، دميتري، تاريخ اليونان، (بيروت: 1876م)، ص63؛ فهمي، محمود، تاريخ اليونان، (مصر: مطبعة الواعظ، 1910م)، ص122؛
Burn,A.R,The Warring States of Greece from their Rise to the Roman Conquest ,London(1968) ,p.80.

2- باقر واخرون، تاريخ ايران، ص62.

3- **Tenen,I, Junior Histories of the Ancient World,Third Edition ,Macmillan and Colimited ,London(1937),pp.116 - 118.**

* معركة لاذا: سميت بذلك لوقوعها بالقرب من مدينة لاذا وهي مدينة صغيرة تجاه ملطية (هيرودوتس، تاريخ، الكتاب السادس، فقرة 7)

4- للتفصيل عن هذه المعركة ينظر: هيرودوتس، تاريخ، الكتاب الخامس، الفقرات 99 - 126 والكتاب السادس، الفقرات 1 - 18.

** ماراثون: قرية من قرى ولاية اتيكا، تبعد عن اثينا حوالي 22ميلاً وتحيط بها سلسلة من التلال (فشر، هـ. أ. ل، تاريخ اوربا في العصور القديمة، ترجمة: ابراهيم نصحي بك ومحمد عواد حسين، (مصر: دار المعارف، 1950م)، ص152 هامش رقم (39).

بالاسطول الاخميني [1]، غير ان هزيمة معركة ماراثون لم تثن الملك دارا الاول عن عزمه في الثار من اثينا فاعد جيشه لحملة عسكرية جديدة اضخم من الحملة السابقة الا ان قيام ثورة في مصر ضد الحكم الاخميني جعلته يعرض عن محاربتها ريثما يتمكن من اخماد ثورة مصر لكنه توفي قبل ان يبلغ مسعاه[2]، فخلفه ابنه الملك احشويرش الاول (خشيارشا الاول) (486 – 464ق.م) الذي تولى تنفيذ خطة والده في الاستيلاء على اثينا فسار على راس جيش كبير انطلق به من مدينة سارديس سنة 480ق.م باتجاه بلاد اليونان وتمكن من الانتصار على تحالف الدول اليونانية[*] برئاسة ملك اسبارطة ليونيداس (Leonidas) (483 – 480ق.م) في معركة ثرموبيلي (Thermopyle)[**] سنة 480ق.م، وقد مهد هذا الانتصار للجيش الاخميني الطريق للهجوم على اثينا بعد انفراط عقد التحالف اليوناني، وأخذت كل مدينة تدافع عن نفسها، وانسحب سكان اثينا عن مدينتهم الى جزيرة سلاميس (Salamis) فدخلتها الجيوش الاخمينية وعاثت بها خراباً ثم احرقتها [3].

غير ان انتصار الملك احشويرش الاول في معركة ثرموبيلي لم يكن حاسماً فلا يزال أعداؤه بأسطولهم البحري مرابطين في مضيق سلاميس وهؤلاء كانوا يتألمون من

1- للتفصيل ينظر: سرسق، تاريخ اليونان، ص65 – 67؛

Tenen, Junior Histories,pp.120 - 121; Bury, A History of Greece,pp.252 - 259.

2- عياد، تاريخ اليونان، ج1، ص302؛

Bury, A History of Greece,p.265

* دفعت استعدادات الملك الاخميني احشويرش الاول العسكرية المدن اليونانية الى عقد مؤتمر للتصالح فيما بينها في مدينة كورنثوس برئاسة ملك اسبارطة (ليونيداس) الذي أوكلت اليه مهمة القيادة العليا لجيوش التحالف اليوناني (برن، تاريخ اليونان، ص192 – 193).

** ثرموبيلي: مضيق يتصل بجنوب تساليا وشمال اليونان ويعتبر مفتاح الاقاليم الشرقية في بلاد اليونان (بورتر، موسوعة مختصر التاريخ، ص239؛ فشر، تاريخ اوربا، ص46).

3- للتفصيل ينظر: هيرودوتس، تاريخ، الكتاب السابع، الفقرات، 175 – 225؛ سرسق، تاريخ اليونان، ص70 – 78؛
Tenen, Junior Histories,pp.123 - 124.

مشاهدة السنة النيران تلتهم بيوتهم ومبانيهم ومعابدهم ومزارعهم وهم لا يستطيعون المقاومة براً، وشعروا ان المعركة القادمة ستكون مصيرية بالنسبة لهم، لذا حشدوا كل قواهم استعداداً للمواجهة، وقد شد ثيمستوكليس (Themistocles) (484 - 479ق.م) حاكم اثينا من عزيمتهم وتمكن بحنكته السياسية(*) من إجبار الاسطول الاخميني على الدخول معه في معركة في مضيق سلاميس الضيق وهنا حدثت المفاجأة إذ أسرع الأسطول الاثيني بالهجوم على الاسطول الاخميني الذي لم يتمكن من الحركة في المضيق لكثرة سفنه واوقع به الخسائر الكبيرة، وكان ذلك بعد يومين من معركة ثرموبيلي، وعندما شاهد الملك الاخميني احشويرش الاول هذا الاندحار الذي حل باسطوله انسحب من حيث جاء [1] تاركاً قائده ماردونيوس (Mardonius) قائداً اعلى على ما تبقى من جيشه فانسحب ماردونيوس بقواته القليلة الى الشمال، الا ان الجيش الاثيني لحقهم وانتصر عليهم في معركة بلاتية (Plataea)(**) سنة 479ق.م [2]، وفي الوقت نفسه كان الاسطول الاثيني يطارد الاسطول الاخميني الهارب في معركة سلاميس حتى انتصر عليه في معركة ميكالي (Mekaley) في السنة نفسها[3].

---

* دبر حاكم اثينا ثيمستوكليس حيلة شجع فيها الملك الاخميني احشويرش الاول بالهجوم على اثينا، اذ بعث اليه برسالة يخبره فيها عن الخلافات الحادة في معسكر اليونانيين، وانه مع الاسطول الاثيني على أهبة الاستعداد لترك قومه والانضمام اليه (Tenen, Junior Histories,p.126)

1- سرسق، تاريخ اليونان، ص76 - 78؛عياد، تاريخ اليونان،ص318 - 322؛ Burn, The Warring States of Greece,p.93

** بلاتية: مدينة تبعد مسافة 30 ميل شمال غرب اثينا (Tenen, Junior Histories,p.128)

2- فشر، تاريخ اوربا، ص47؛ Burn, The Warring States of Greece,p.96; Cotterill,H.B, Ancient Greece A sketch of Its Art Literature & Philosophy Viewed In Connexion with Its External History from Earliest Time to the Age of Alexander the Great ,Second Edition, London(1915),pp.269 - 272.

3- بتري، أ، مدخل الى تاريخ الاغريق وادابهم واثارهم، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، (جامعة الموصل: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، 1977م)، ص28؛ Cotterill, Ancient Greece,p.273

كان لنتائج هذه الحروب اثر واضح على تاريخ اليونان والدولة الاخمينية، ففي الوقت الذي نالت فيه اثينا كل التقدير من المدن اليونانية وتعاظم شأنها ونفوذها واصبحت زعيمة للمدن اليونانية الشمالية، فان هزيمة الاخمينيين وانسحابهم أرغمتهم على التخلي عن فكرة احتلال اليونان [1]، وبذلك تلاشت فكرة ان الإمبراطورية الاخمينية امنع من ان تخترقها الجيوش الغازية، لكن ذلك لم يحدث الا في عهد الاسكندر المقدوني[*] (336 - 323ق.م)، والسبب في ذلك يعود الى اليونانيين انفسهم فالدولتان اللتان تزعمتا الحرب ضد الاخمينيين في بلاد اليونان وهما اثينا واسبارطة لم تستمرا في توحيد جهودهما ضد عدوهما المشترك، فبعد معركة ميكالي اخذت كلا الدولتين تعمل مستقلة على زيادة نفوذها فالفت اثينا سنة 477ق.م حلف ديلوس (Delos)[**]، والفت اسبارطة حلف البيلوبونيز، وتنافس كلا الحلفين على الزعامة والسيادة ولاجل ذلك دخلا في سلسلة من الحروب استمرت قرابة سبعة وعشرين عاماً (431 - 404ق.م)[2]، لعب الاخمينيون دوراً كبيراً في اذكائها واستمرارها وحالوا دون قيام الصلح فيما بينهما لاجل اضعاف بعضهم البعض ومن ثم يتمكنون

1- **Tenen, Junior Histories,p. 128**

* سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

** حلف ديلوس: سمي بذلك نسبة الى جزيرة ديلوس إحدى جزر جزيرة سيكلوديس الواقعة الى الجنوب الغربي من بحر ايجة، كان هدف هذا الحلف تكوين أسطول بحري قوي يواصل حروبه ضد الاخمينيين، وكان دور اثينا إمداد الحلف بالسفن والجنود بينما انحصر دور بقية الدول المتحالفة في سد نفقاته، الا ان اثينا استبدت بعضوية هذا الحلف فأخذت تجبر الدويلات المستقلة عن كلا الحلفين الى الدخول في حلفها واخضاع أعضاء الحلف الذين يرغبون بالخروج عنها، بمعنى ان الحلف تحول من الناحية العملية الى إمبراطورية اثينا (**Burn, The Warring States of Greece,p.96**).

2- للتفصيل عن هذه الحروب ينظر: سرسق، تاريخ اليونان، ص117 - 143؛ الشيخ، حسين، دراسات في تاريخ حضارة اليونان والرومان، (د.م: دار المعرفة الجامعية، 1987م)، ص106 - 113، 122 - 125؛ **Cotterill, Ancient Greece,pp.327 - 345;Robinson,Chrles Alexander, Athens in the Age of Pericles,University of Oklahoma Press(1959),pp.102 - 140.**

من استعادة ما كان لهم قبل معركة ميكالي، ولما ارسلت الدولتان المتحاربتان رسلها الى الملك الاخميني دارا الثاني (داريوس الثاني) (Darius II) (424 - 404ق.م) تطلب منه مساعدتها، اقتضت مصلحة الأخير الوقوف الى جانب دولة اسبارطة كونها الدولة الأقوى التي ستحسم النتيجة لصالحها، ولانها اعترفت بالسيادة الاخمينية على المدن الايونية في اسيا الصغرى [1] التي عين الملك الاخميني دارا الثاني ابنه الامير كورش الصغير والياً عليها [2]، وقد أتت هذه المساعدة ثمارها اذ تمكنت اسبارطة من الانتصار على اثينا سنة 404ق.م، وزال بهذا الانتصار عصر اثينا الذهبي الذي ازدهرت فيه المدنية الاغريقية والديمقراطية وحل محلها عصر السيطرة الاسبارطية ذات الطابع العسكري الاستبدادي، وعلى الرغم من ادعائها بانها أعادت حريات المدن اليونانية المسلوبة من اثينا الا انها ما كادت لتنتهي من الحرب الا وأخذت تحذو حذو اثينا في اغتصاب حريات المدن الصغيرة [3].

أما الملك دارا الثاني فانه وجه جهوده بعد ان فرغ من امر اليونانيين نحو القضاء على محاولات الانفصال والاستقلال عن امبراطوريته، فتوجه سنة 404ق.م نحو بلاد بابل (Babylonien) (العراق) لاخماد تمرد القبائل الكردوخية[*] الساكنة شمال نهر

1- **Burn, The Warring States of Greece,p.112**

2- بيرنيا، تاريخ ايران، ص122.

3- بتري، مدخل الى تاريخ الاغريق، ص44.

* القبائل الكردوخية: كان الاعتقاد السائد ان الكردوخيين هم أجداد الاكراد القدامى الذين سكنوا منطقة كردستان واندمجوا بعدها مع القبائل التي أسست الإمبراطورية الميدية (زكي، محمد امين، و عوني، محمد علي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التاريخية حتى الان، (بغداد: مطبعة صلاح الدين، 1961م)، ج1، ص32)، الا ان (نيكيتين) يؤكد ان الكردوخيين لا يمتون بصلة الى الشعب الكردي، وانهم كانوا يسكنون المنطقة التي يلتقي بها الفرع الشرقي من دجلة وهو بوهتان صو بالفرع الغربي (باسيل، الاكراد، اصلهم، تاريخهم، مواطنهم، عقائدهم، عاداتهم، آدابهم، لهجاتهم، قبائلهم، قضاياهم، طرائف عنهم، تقديم: لويس ماسينيون، (بيروت: دار الروائع، 1967م)، ص16).

دجلة الا انه مرض اثناء الحملة وتوفى في العام نفسه في مدينة بابل[1]، فنشب نزاع بين ولديه ارتحششتا الثاني (اردشير الثاني) (Ardashir II) (404 – 360ق.م) وكورش الصغير حاكم اسيا الصغرى واستنجد الأخير بالمدن اليونانية فاستجابت بعضها لطلبه واجتمع لديه جيش يزيد على ثلاثة عشر ألف مقاتل يوناني[2]، فضلًا عن جيشه المكون من مئة الف جندي[3]، وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في عدد الجيش الا انه يشير الى أهمية الحملة التي أراد منها توسيع منطقة حكمه في اسيا الصغرى حتى قرب بابل.

سار كورش الصغير بذلك الجيش من عاصمته سارديس في اسيا الصغرى سنة 401ق.م فدخل شمال ارض الجزيرة الفراتية[*] ثم اتجه نحو الجنوب حيث التقى مع جيش أخيه ارتحششتا الثاني في كوناكسا[**] على بعد 65 كم شمالي بابل، فاشتبك الطرفان في معركة حاسمة قتل فيها كورش الصغير وتشتت جيشه، عندئذ قرر (كليرخوس الاسبارطي) القائد الأعلى للجيش الاغريقي الذي استقدمه كورش الصغير لمساعدته عدم الاشتراك في مقاتلة الاخمينيين [4]، وبينما هم في طريق العودة

1- لواساني، احمد، هاخمنشيان الاخمينيون،(بيروت: 1968م)، ص22 – 23؛ الجاف، حسن كريم، الوجيز في تاريخ ايران (دراسة في التاريخ السياسي من التاريخ الاسطوري الى نهاية الطاهريين)، (بغداد: بيت الحكمة، 2003م)، ج1، ص53.

2- زينفون، حملة العشرة الاف، ص35 – 41.

3- بيرنيا، تاريخ ايران، ص124؛ ابو مغلي، ايران، ص106.

* الجزيرة الفراتية: وهي التسمية التي اطلقها العرب على المنطقة الشمالية ما بين دجلة والفرات وتشتمل على ديار ربيعة ومضر (الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي(ت314هـ)، مسالك الممالك، (ليدن: مطبعة بريل، 1927م)، ص71؛ ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ)، تقويم البلدان، (باريس: دار الطباعة السلطانية، 1840م)، ص274)، ينظر خارطة رقم (1)، وسوف نستعمل تسمية الجزيرة الفراتية بدلاً من تسمية بلاد (بين النهرين) التي شاعت في مصادر المؤرخين الكلاسيك والمستشرقين.

** كوناكسا: يذكر الاستاذ (طه باقر) انه موضع على طريق الحلة – بغداد بالقرب من مدينة المسيب في الوقت الحاضر (مقدمة، ج2، ص421) في حين يذكر الاستاذ (يعقوب افرام منصور مترجم كتاب حملة العشرة الاف، ص77 (انه موضع قريب من منطقة اليوسفية في الوقت الحاضر).

4- للتفصيل ينظر: زينفون، حملة العشرة الاف، ص39 – 77.

وبعد وصولهم الى نهر الزاب(*) تعرض لهم القائد الاخميني الذي أوكل اليه الملك ارتحششتا الثاني مراقبتهم لحين مغادرتهم حدود الدولة الاخمينية، فاستدعى قادة فرقهم(**) لمقابلته وما ان دخلوا خيمته حتى قتلهم جميعاً [1]، وذلك لأضعاف وتمزيق وحدة صف هذا الجيش وشل قدرته على خلق متاعب للامبراطورية الاخمينية، بعد تلك الحادثة اختار جنود الاغريق قائداً جديداً لهم يوصلهم الى بلادهم فكان هذا القائد هو المؤرخ زينفون، فاوصلهم سنة 400ق.م[2]، وقد سجل زينفون الحملة والمصاعب التي واجهتها في كتابه القيم الذي اسماه (حملة العشرة الاف).

وعلى الرغم من فشل تلك الحملة الا أن فائدتها كانت كبيرة بالنسبة لبلاد اليونان، إذ مكنتهم من الاطلاع عن قرب على الوضع المتردي في الإمبراطورية الاخمينية بسبب الصراع بين قادتها بشأن العرش، وما لذلك الصراع من تأثير في أضعاف قدرتها العسكرية على التوسع الخارجي، فتجــرءوا عليها، وأدت فيما بعد الى استهانة الاسكندر المقدوني (336 – 323ق.م) بها والاستيلاء عليها.

وبعد ان استعاد الملك الاخميني ارتحششتا الثاني سيطرته على اسيا الصغرى شعرت المدن اليونانية بضرورة الاتحاد فيما بينها لمواجهة الخطر الذي قد تتعرض له من الاخمينيين، وتزعمت هذا الاتحاد دولة اسبارطة وبعد ان التحق بجيوشها من بقي من العشرة الاف مقاتل دخلت في حروب متقطعة مع الاخمينيين فـي اسيـا الصغـرى استمرت من (399 – 395ق.م) نجحت في عدة مواقع منها [3]، الا ان هذا النجاح لم

* لم يحدد زينفون أي زاب منهما ويرجح المترجم الاستاذ (يعقوب افرام منصور) ان يكون نهر الزاب الاعلى (الكبير) (حملة العشرة الاف، ص114، هامش رقم (1)).

** وعددهم خمسة وهم كليرخوس الاسبارطي وسقراط الاثيني وبروكسينوس البيوتي ومينون التسالي وآجياس الاركادي (زينفون، حملة العشرة الاف، ص119).

1- زينفون، حملة العشرة الاف، ص119.

2- المصدر نفسه، ص132.

3- برن، تاريخ اليونان، ص399.

يثمر بل على العكس فقد كانت له نتائج سيئة لانه زاد من غرور اسبارطة في زعامتها لبلاد اليونان فاستمرت في استبدادها وتعسفها للمدن اليونانية فثارت عليها مدينة طيبة بعد ان تحالفت مع اثينا وبعض المدن اليونانية الأخرى، وطبيعي ان يساعد الاخمينيين هذا التحالف لأضعاف بعضها بعضاً، وهكذا دخلت المدن اليونانية مرة ثانية في حرب فيما بينها استمرت ثماني سنوات (394 - 378ق.م) عرفت بالحرب الكورنثية[*][1].

وبعد ان تمكن الأسطول الاثيني وبمساعدة الأسطول الاخميني من تحطيم الأسطول الاسبارطي سنة 393ق.م[2]، شعر الاخمينيون بفقدان التوازن لما يشكله انتصار اثينا البحري من خطر على مستعمراتهم فسهل ذلك على اسبارطة ان تعقد الصلح مع الاخمينيين، وان المدن المعادية لاسبارطة لم تكن اقل رغبة منها لعقد ذلك الصلح الذي عرف بـ (صلح الملك) او (سلام الملك)[**] سنة 378ق.م والذي حقق مكاسب كبيرة للدولة الاخمينية، اذ بموجبه ضمت كل المدن اليونانية في اسيا الصغرى للدولة الاخمينية، وبذلك تمكن الملك ارتحشتا الثاني من استعادة ما كان لدولته من ممتلكات قبل معركة ميكالي [3]، وبديهي ان يكون لهذا الصلح نتائجه السيئة على يوناني اسيا بشكل خاص، لان خضوعهم للاخمينيين يعني ان الأخيرين سيتدخلون في شؤون مدنهم الداخلية باعتبارها تابعة لهم، اما فيما يتعلق باسبارطة فقد اعتبرته نصراً موقتاً لها اذ كانت تأمل بموجب بنوده استعادة سيطرتها على أعدائها من المدن

* سميت بالحرب الكورنثية لوقوع أحداثها في مدينة كورنثوس (بتري، مدخل الى تاريخ الاغريق، ص45) وكورنثوس مدينة من مدن شمال شرق جزيرة البيلوبونيز، ذات موقع ستراتيجي لوقوعها على برزخ كورنثوس، دمرها الرومان سنة 146 ق.م (غربال، الموسوعة العربية، ج2، ص1500).

1- بتري، المصدر نفسه، ص45؛ باقر، مقدمة، ج2، ص560 - 561.

2- سرسق، تاريخ اليونان، ص157؛ فهمي، تاريخ اليونان، ص193؛ بتري، المصدر نفسه، ص 46.

** ويسمى ايضاً صلح انتالكيداس (Antalcidas) نسبة الى المبعوث الاسبارطي الى البلاط الاخميني (Cotterill, Ancient Greece,p.393؛ فهمي، تاريخ اليونان، ص192)

3- بتري، مدخل الى تاريخ الاغريق، ص46.

اليونانية لا سيما اثينا وطيبة، الا ان هذا أثر عليها سلباً، فقد ظلت اسبارطة وطيبة بعد الصلح في حالة حرب مستمرة انتهت بهزيمة اسبارطة في معركة لوكترا (Leuctra) سنة 371ق.م، وانتقلت بذلك الزعامة لدولة طيبة [1]، ولكن هذه بدورها آل أمرها الى التحطيم سنة 362ق.م مرة اخرى على يد اسبارطة[2] التي خرجت من هذه الحروب ضعيفة منهوكة القوى فلم تستول على أي مدينة ولم تحصل على أي امتياز او مكسب، وهكذا قضت المدن الكبرى الثلاث بعضها على بعض وحطمت بعضها بعضا، ولم تتحقق الوحدة السياسية التي حاولت كل من هذه المدن المتحاربة فرضها على بلاد اليونان فظلت البلاد منقسمة على نفسها [3]، ولم تحاول الامبراطورية الاخمينية استغلال ذلك الضعف والانقسام لصالحها لأنها هي الأخرى كانت تعاني من الضعف بسبب كثرة المؤامرات التي كانت ترفع ملكاً وتضع الأخر الأمر الذي فسح المجال أمام الولايات التابعة لها للقيام بثورات انفصالية قللت من هيبتها وجرأت الاخرين عليها، فكان هذا سبيل الملك فيليب الثاني المقدوني (Philip11) (359 – 336 ق.م)، فبعد ان نجح في بسط سيطرة مقدونيا[*] على بلاد اليونان واخذ يستعد لبسطها على بلاد فارس الا انه قتل في الوقت الذي عقد فيه العزم على ذلك [4]، فتولى ابنه الشاب الاسكندر المقدوني (Alexander Al - Macedoniay) (336 – 323ق.م) تنفيذ هذه المهمة متظاهراً برغبته في الانتقام من الاخمينيين للحملات التي قام بها الملك دارا الاول (521 – 486ق.م) ووضع حد لتدخلها في امور بلاد اليونان بالغاء معاهدة صلح الملك [5].

1- **Burn, The Warring States of Greece,pp.114 - 115.**

2- **Ibid,p.115.**

3- ينظر: برستد، العصور القديمة، ص283 – 284؛ بتري، مدخل الى تاريخ الاغريق، ص46 – 48.

* مقدونيا: من مدن شمال اليونان التي أخضعها الملك دارا الاول لحكمه، وظلت كذلك حتى انفصلت عنها بعد معركة بلاتية 479ق.م (بيرنيا، تاريخ ايران، ص131).

4- **Bengtson,Hermann,and Others,The Greeks and the Persians from the sixth to the fourth centuries B.C ,Delacorte Press,New York(1968),p.302.**

5- بيرنيا، تاريخ ايران، ص123.

بدأ الاسكندر المقدوني حملته نحو الشرق سنة 334ق.م، فعبر مضيق هلسبونت (Hellespont) (الدردنيل)(*) الى اسيا الصغرى حيث خاض معارك متعددة فيها مع الجيش الاخميني الذي كان يضم جنوداً من المرتزقة اليونانيين يقودهم القائد اليوناني ممنون (Memnon) تمكن خلالها الاسكندر من الاستيلاء على جميع تلك الأراضي[1]، واستمر يتقدم بجيشه عبر كيليكيا (Cilicia) (قيليقية)(**) حتى وصل الى ايسوس (Issus)(***) سنة 333 ق.م حيث التقى فيها بخصمه الملك دارا الثالث (داريوس الثالث) (Darius III) (336 – 330ق.م) الذي كان يقود الجيش الاخميني بنفسه فدارت بينهما معركة كبيرة انتهت بانتصار الاسكندر ووقعت عائلة الملك دارا الثالث بالأسر بعد ان تركها في ساحة المعركة فاراً بنفسه الى بلاد بابل [2].

استولى الاسكندر بعدها على بلاد الشام ومصر ثم عاد ليتابع حملته شرقاً فتوجه سنة 331ق.م نحو ارض الجزيرة الفراتية وفي قرية كوكميلا (Gaugamela) الى شمال غرب من مدينة اربلا (اربيل)(****) التقى بجيوش الاخمينيين التي حشدها الملك دارا

* مضيق هلسبونت (الدردنيل): مضيق في تركيا يصل بحري ايجة و مرمرة، يشكل مع البوسفور فاصلاً بين البلقان والاناضول، مركز استراتيجي، والمنفذ الوحيد بين البحرين المتوسط والاسود (غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج1، ص789).

1- للتفصيل ينظر: تارن، و.و، الاسكندر الاكبر قصته وتاريخه، ترجمة: زكي علي، مراجعة: محمد سليم سالم، (القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1963م)، ص30 – 55؛
Bengtson and Others, The Greeks and the Persians,pp.307 - 309.

** كيليكيا (قيليقية): مدينة في جنوب شرق اسيا الصغرى، بين البحر المتوسط وجبال طوروس، عرفت بـ (ارمينيا الصغرى) (غربال، الموسوعة العربية، ج2، ص1530).

***ايسوس: من مدن كيليكيا، تقع في سهل لا يزيد عرضه عن ميلين ويؤدي الى الركن الشمالي الشرقي من سوريا (ولبر، دونالدو، ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد النعيم محمد حسنيين، (القاهرة: 1958م)، ص36).

2- **Bengtson and Others, The Greeks and the Persians,pp.310 - 311.**

**** اربلا (اربيل): مدينة بين الزابين ومنها الى الموصل يومان (ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت626هـ)، المشترك وضعا والمفترق صقعا، (كوتنجن: 1846م)، ص19).

الثالث للقائه فدارت في السنة نفسها معركة بين الجانبين فرّ منها الملك دارا الثالث وبعد ذلك قتل سنة 330ق.م [1].

بعد هذا الانتصار تقدم الاسكندر نحو بابل فاستسلمت له من دون مقاومة وبعد ان اقر الحاكم الاخميني مازكس (Mazkes) والياً عليها توجه نحو بلاد فارس فاستولى على مدينة سوسه ومدينة برسيبوليس (اصطخر)[*] عاصمة الاخمينيين [2]، واضعاً بذلك نهاية للإمبراطورية الاخمينية.

1- للتفصيل ينظر: لامب، هاولد، الاسكندر المقدوني، ترجمة:عبد الجبار المطلبي ومحمد ناصر الصانع، مراجعة: محمود الامين، (بغداد: المكتبة الاهلية، 1965م)، ص209 – 216؛ رستم، اسد، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني الى الفتح الروماني، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، 1969م)، ص35 – 37؛ **Robson,E.Iliff, History of Alexander and Indica ,Great Britain (N.D),Book V1,pp.135 - 137.**

* برسيبوليس (اصطخر): ثالث اكبر مدن اقيم فارس بعد دارابجرد واردشير خرة، بينها وبين شيراز اثنا عشر فرسخاً (ياقوت الحموي،معجم البلدان، (بيروت: دار الفكر، د.ت)،ج1،ص211)، بنيت على انقاض مدينة برسيبوليس التي شيدها الملك الاخميني دارا الاول لتكون عاصمة لإمبراطوريته بعد بازركادة (الاحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الادنى، ص115).

2- للتفصيل ينظر: تارن، الاسكندر الاكبر، ص30 – 55؛ **Bengtson and Others, The Greeks and the Persians,pp.307 - 309**

ـ بلاد فارس في ظل الدولة السلوقية (323 ـ 124ق.م)

ان معرفة الوضع الذي آلت اليه بلاد فارس بعد وفاة الاسكندر (323ق.م) وحتى قيام الدولة الفرثية(*) سنة 247ق.م يستوجب منا معرفة الأحداث التي سادت الشرق في ذلك الوقت، التي شكلت حلقة واحدة متصلة أثرت تأثيراً واضحاً على بلاد فارس، فبعد وفاة الاسكندر قسمت إمبراطوريته بين خمسة عشر قائداً من قواده وولاته[1]، الذين ما لبثوا أن دخلوا في نزاعات وحروب فيما بينهم استمرت اثنين وعشرين عاماً (323 – 301ق.م) سميت بـ (حروب الخلفاء) (Diadochi) أي خلفاء الاسكندر، اتخذت الامبراطورية بعدها شكلها النهائي المتكون من ثلاث دول كبرى هي:

الدولة السلوقية: وتشتمل على سوريا(**) وبلاد بابل وبلاد فارس [2]، والأخيرة ظلت تحت حكمها قرابة ثمانين عاماً [3].

---

* الفرثيين: او البارثيون سمو بذلك نسبة الى اقليم بارثوا (خراسان) الذي استقروا فيه في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، وسمو بالاشكانيين او الارشاقيين نسبة الى ارشك او ارشق المؤسس الاول لدولتهم والمصادر العربية تسميهم (ملوك الطوائف)، ويعزوا اغلب المؤرخين أصلهم الى الاسكيثيين ويرون انهم فرع من قبيلة داهي الاسكيثية التي كانت تسكن المنطقة الواقعة بين بحر قزوين وبحيرة ارال (بيرنيا، تاريخ ايـران،ص177؛ ابو مغلي،ايران، ص119 – 120؛ رجبي، برويز، هزاره هاش كمشدة، جلد جهارم – اشكانيان (بارت ها)، جاب دوم، (تهران: انتشارات توس، 1380هـ)، ص52؛ كالج، مالكوم، اشكانيان (بارتيان)، ترجمة: مسعود رجب نيا، (تهران: هيرمند، 1380هـ)،ص21 – 22.

1- للتفصيل ينظر: نصحي، ابراهيم، مصر في عصر البطالمة، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1946م)، ج1، ص27 – 28).

** سوريا: مصطلح تاريخي جغرافي يقصد به الجزء الشمالي من بلاد الشام، الا انه في العصر اليوناني والروماني توسع استعمال هذا الاسم وصار يطلق على كل بلاد الشام حتى قيام الحرب العالمية الاولى (حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رافق، مراجعة: جبرائيل جبور،(بيروت: دار الثقافة، 1950م)، ص62).

2- علي، عبد اللطيف احمد، محاضرات في العصر الهلليستي، (بيروت: مطبعة كتب كزيدية اخون،1976م)، ص107.

3- بيرنيا، تاريخ ايران، ص171.

دولة البطالمة: التي استقلت بحكم مصر حتى سنة 30ق.م.

دولة مقدونيا: كانت لها السيادة على معظم اسيا الصغرى.

وقد اندمجت هذه الدول الكبرى فيما بعد في دولة عالمية هي الإمبراطورية الرومانية[1].

تعد سنة 312ق.م بداية لتاريخ الدولة السلوقية، ففي هذه السنة استولى مؤسسها سلوقس الاول (Seleucus I) (323 – 280ق.م) الملقب بـ (نيكتور) (Nicator) أي (المنتصر) على بلاد بابل واتخذ من مدينة بابل عاصمة لدولته[2]،ثم اخذ يوسع حدوده باتجاه الشرق فصارت في سنة 302م تمتد من نهر سيردريا (سيحون)[*] شمالاً حتى البنجاب[**] جنوباً، وقد عهد بولايتها لابنه انطيوخوس الاول (Antiochos I) (280 – 261ق.م) الذي اشركه معه في الحكم وقد اتخذ من سلوقية (Seleuceia)[***] مقراً لحكمه بدلاً من مدينة بابل [3].

1- علي، محاضرات، ص107.

2- بيرنيا، تاريخ ايران، ص171.

* نهر سيحون: ويعرف بنهر الشاش ايضاً، وهو اكبر من نهر جيحون بمقدار الثلثين، ينبع من حدود بلاد الترك ويصب في بحيرة خوارزم (ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت300هـ)، صورة الارض، (ليدن: مطبعة بريل، 1938م)، ج2، ص 511 – 512؛ المقدسي، ابو عبد الله بن احمد البشاري (ت375هـ) احسن التقاسيم، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م،) ص22).

** البنجاب: تقع شمال غرب الهند (باكستان) (العربي، اسماعيل، الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، (ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1985م)، ص11).

***سلوقية: مدينة بناها الملك السلوقي سلوقس الاول على الجانب الغربي لنهر دجلة بقاياها تعرف في الوقت الحاضر بـ (تل عمر) مقابل المدائن (مكاي، دروثي، مدن العراق القديمة، ترجمة: يوسف يعقوب مسكوني، (بغداد: مطبعة شفيق، 1952م)، ص52؛ مظلوم، طارق عبد الوهاب، المدائن (طيسفون) 1970 – 1971م، مجلة (سومر)، مج 27، (بغداد: مديرية الاثار العامة، 1971م)، ص130). والسبب الذي جعل الملك سلوقس الاول يهجر بابل ويبني سلوقية هو استيلاء البطالمة على جوف سوريا(جنوب سوريا بما في ذلك فلسطين)، وعلى المنافذ الطبيعية لمسالك اتصالات نهر الفرات (شريف، ابراهيم، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، (بغداد: مطبعة شفيق، د. ت)، ج2، ص213).

3- ابو مغلي، ايران، ص118؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص69.

في هذا الوقت أي سنة 302م كان الصراع بين خلفاء الاسكندر قد خلص الى خمسة من القواد هم: سلوقس الاول حاكم بابل، بطلميوس (Ptolemaios) حاكم مصر، انتيجونوس (Antigonos) حاكم اسيا الصغرى، ليسيماخوس (Lysimachos) حاكم تراقيا(*)، كاساندروس (Cassandros) حاكم مقدونيا، وكان الاول يطمح الى جمع أواصل إمبراطورية الاسكندر والتربع على عرشها (1)، أما بقية الحكام الاربع فيبدو ان هدفهم لم يكن سوى الاستحواذ على اكبر قسم ممكن من الإمبراطورية، لذا لم يجدوا بداً من التحالف ضد انتيجونوس العائق الذي يحول دون تحقيق أهدافهم، وعند ابسوس (Ipsus)(**) سنة 301م التحمت جيوش التحالف الرباعي مع جيوش انتيجونوس وابنه حاكم اثينا ديميتريوس (Demetrius) (307 – 283ق.م) في معركة فاصلة سميت بـ (معركة الملوك) قتل فيها انتيجونوس وفرّ ابنه ديمتريوس وبمقتل الأول انتهت أي محاولة لاحياء فكرة الإمبراطورية الموحدة (2)، وبدأت مرحلة جديدة هي مرحلة تدعيم المراكز وتثبيت الحدود التي حصلت عليها الشخصيات المتنازعة على الزعامة والنفوذ على النحو الاتي:

كاساندروس: ملك على مقدونيا.

ليسيماخوس: ملكاً على تراقيا ومعظم اسيا الصغرى.

سلوقس: ملك على بابل وسوريا وبلاد فارس.

بطليموس: ملك على مصر (3).

---

* تراقيا: اقليم جنوب شرق اوربا (غربال، الموسوعة العربية، ج1، ص501).

1- للتفصيل ينظر: نصحي، مصر، ج1، ص31 – 40.

** ابسوس: مدينة في اقليم فريجيا الجنوبي الواقع على الساحل الغربي لاسيا الصغرى (غربال، الموسوعة العربية، ج1، ص7).

2- علي، محاضرات، ص117 – 118.

3- نصحي، مصر، ج1، ص48.

وفيما يتعلق بمقدونيا، فقد آل حكمها الى ليسماخوس بعد موت كاسندروس وبعد اسباب يطول شرحها [1]، أما سلوقس فما ان اطلقت يده في سوريا حتى شرع بنقل عاصمته الى انتيوخيا (Antiochia) (انطاكيا)[*]، وهذا يشير الى تبدل في اتجاه السلوقيين في نقل مركز الثقل في سياستهم من الشرق الى الغرب، ولعل الذي دفعهم الى ذلك حرصهم على الاحتفاظ بسوريا وصد أي محاولة قد يقوم بها البطالمة لاستعادتها، لان فقدانهم لها يعني انهم سيصبحون شبه منعزلين عن البحر المتوسط[2]، الا ان هذه السياسة انعكست عليهم سلباً فيما بعد فكانت سبباً رئيساً في انفصال بلاد فارس والعراق وغيرها من الاجزاء الشرقية [3].

ولسنا بصدد دراسة الصراع السلوقي البطلمي، غير اننا نشير الى ان سبب ذلك الصراع هو هدف البطالمة في احكام سيطرتهم على مصر وجعلها دولة قوية وغنية قادرة على مواجهة الاعتداءات الخارجية، وهذا يقتضي بالضرورة السيطرة على الطرق البحرية المؤدية اليها وبالتأكيد ان تلك السيطرة تتطلب بناء أسطول قوي يضمن لها السيادة على البحر الايجي[**]، وهي سيادة لا تكفل لها النفوذ السياسي فحسب بل يضمن الحصول على الجنود المرتزقة أيضاً، ويرجع الاهتمام باسيا الصغرى الى أسباب مماثلة، اما دوافع اهتمامهم بسوريا فمختلف نوعاً ما، فغابات لبنان الكثيفة كانت كفيلة بتوفير الأخشاب اللازمة لبناء الأساطيل البطلمية، ويفوق ذلك أهمية ان الطرق

1- للتفصيل ينظر: نصحي، مصر، ج1، ص48 – 51.

* انتيوخيا (انطاكيا): انزه مدن بلاد الشام بعد دمشق (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص179؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص62)، بناها الملك السلوقي سلوقس الاول شمال سوريا على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد عشرين ميل من البحر المتوسط (حتي، تاريخ سوريا، ص276؛ رستم، تاريخ اليونان، ص71).

2- علي، محاضرات، ص144.

3- باقر واخرون، تاريخ ايران، ص86.

** البحر الايجي: او بحر الارخبيل، وهو بحر بين اليونان وتركيا من متفرعات المتوسط، يربط الدردنيل ببحر مرمرة (معلوف، المنجد، ص91).

التجارية القادمة من الشرق تتوقف عند الساحل السوري، ولما كانت ثروة مصر تتوقف على تجارتها الخارجية لذلك أصبحت السيطرة على هذه الطرق أمراً حيوياً لها [1].

من هذا كله يمكن القول ان السيطرة على الطرق البحرية لا يضمن لمصر الاستقلال السياسي فحسب بل الاستقلال الاقتصادي أيضاً وهذا لا يتحقق ما لم يقوم البطالمة بمجهود حربي عنيف.

وطبيعي ان لا يسلم السوقيون باستيلاء البطالمة على جنوب سوريا لان ذلك كان يحرمهم من إنشاء الأساطيل الكبيرة والاحتفاظ بها في موانيهم السورية، بل يقطع عليهم سبل الاتصال بالبحر المتوسط، وأن سيطرة البطالمة على شواطئ اسيا الصغرى والطرق المهمة الحربية والتجارية يترتب عليه ان تصبح دولتهم مملكة شرقية بحتة منعزلة عن العالم الاغريقي، إزاء ذلك لم يكن أمام السلوقيين مناصاً غير الاصطدام بالبطالمة صداماً عنيفاً ويخوضوا معهم سلسلة حروب عرفت بـ(الحروب السورية)[2] انهكت قوى الدولتين، فاستغلت الأقاليم الشرقية الخاضعة لنفوذ السلوقيين تلك الظروف، فاعلنت تمردها وعصيانها على الحكام السلوقيين في أقاليمهم، فنجحت مملكة باكتريا (Bactria)[*] بقيادة ملكها ديودوت الثاني (Diodot 11) (256 – 250ق.م) مـن إعلان استقلالها سنة 250ق.م [3].

1- نصحي، مصر، ج1، ص28؛ علي، محاضرات، ص144.

2- نصحي، المصدر نفسه، ج1، ص57.

* مملكة باكتريا: او بلاد البخت نسبة الى اقليم بلخ (افغانستان في الوقت الحاضر)، وهي مملكة يونانية – فارسية وضع الاسكندر المقدوني أساسها عندما اسكن فيها اكثر من 20.000 من جنوده غير القادرين على مواصلة القتال معه، وبعد وفاة الاسكندر عاد قسم منهم الى اوطانهم، وكون ما تبقى منهم بعد ان انضم اليهم قسم من سكان البلاد المحليين كيان سياسي خاص بهم تزعمهم شخص يوناني يقال له ديودوتس، والمعلومات التي ذكرتها المصادر عن هذه المملكة قليلة ومقتصرة على ذكر أسماء البعض من ملوكها من دون الاشارة الى سنوات حكمهم في الغالب (علي، محاضرات، ص106، 217؛ باقر، مقدمة، ج2، ص458 هامش رقم (1)).

3- بورتر، موسوعة مختصر التاريخ، ص568؛ ولسكي، يوزف، شاهنشاهي اشكاني، ترجمة: مرتضى ثاقب فر، (تهران: ققنوس، 1383هـ)، ص50.

ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى تشجع الفرثيون بقيادة زعيمهم ارشك (Arshak)[*] على القيام بثورات مماثلة خلال السنوات (250 - 247ق.م) في إقليم بارثوا (Parthave) (خراسان)[**] وتمكن من انتزاعه من ايدي السلوقيين سنة 247ق.م، بعد ان قتل حاكم الإقليم السلوقي معلنا بذلك عن قيام الدولة الفرثية [1]، الا انه ما لبث ان قتل في إحدى معاركه مع الباكتريين سنة 247ق.م، إذ حاول الاستيلاء على بلادهم وضمها الى دولته الجديدة [2]، وخلفه على عرش البلاد أخوه الملك تيرداد الاول (Tiridad I) (247 - 214ق.م) الذي سمي نفسه بـ (ارشك الثاني)[***] ويذكر انه اول من تلقب بلقب (شاهنشاه) أي (ملك الملوك)، ويعد المؤسس الحقيقي للدولة الفرثية اذ استغل الوضع المضطرب في الدولة السلوقية وانشغال الملك السلوقي سلوقس الثاني (246 - 226ق.م) بحروبه في الغرب مع البطالمة فوسع حدود مملكته فضم اليها هيركانيا (جرجان)[****] وزدراكارتا (استر آباد)[*****] [3].

* اعتمدنا في ذكر أسماء الملوك الفرثيين وتحديد سنوات حكمهم ودرجة القرابة بينهم على ما أورده المؤرخ (ابو مغلي) في كتابه (ايران دراسة عامة) واضعين هذا الاسم بين قوسين، أما الاسم الذي ذكرناه خارج القوسين فهو الاسم الشائع في أغلبية المصادر.

** خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، واخر حدودها مما يلي الهند، وتشتمل على المدن المهمة منها نيسابور وهراة ومرو (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص350؛ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت739هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت)، ج1، ص455).

1- بيرنيا، تاريخ ايران، ص178؛ كرانتوسكي واخرون، تاريخ ايران از زمان باستان تا امروز، ترجمة: كيخسرو كشاوزي، (تهران: انتشارات يويش، 1359هـ)، ص132 - 133؛ كالج، اشكانيان، ص22.

2- ابو مغلي، ايران، ص120.

***لقد درج ملوك تلك الدولة على اضافة اسم (ارشك) او (ارشاق) الى اسمائهم احتراماً لاسم مؤسس دولتهم، ولذلك سميت بالدولة الارشاكية او الارشاقية (ابو مغلي، ايران، ص120).

**** هيركانيا (جرجان):او كركان، اقليم واسع بين خوارزم وطبرستان، فخوارزم منه في جهة الشرق وطبرستان منه في جهة الغرب (المهلبي، الحسن بن احمد(ت 380هـ)،الكتاب العزيزي او المسالك والممالك،جمع وتعليق: تيسير خلف،(دمشق:التكوين للطباعة والنشر والتوزيع،2006م)،ص151).

***** زدراكارتا (استر آباد): من اعمال طبرستان بين سارية وجرجان (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص174 - 175).

3- بورتر، موسوعة مختصر التاريخ، ص568؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص414.

وبعد ان حسم الملك سلوقس الثاني مشاكله في الغرب قرر تأديب الفرثيين فتحالف مع ملك باكتريا ديودوت الثاني وسارا معاً لمحاربة الملك الفرثي تيرداد الاول سنة 235ق.م(*)، الا ان الدائرة دارت على الملك سلوقس الثاني ووجد نفسه غير قادر على المواجهة اذ توفي حليفه ديودوت الثاني وخلفه ابنه ديودور (Diodore) الذي لم تذكر المصادر سنوات حكمه فانحاز هذا الى جانب الفرثيين، وان اخاه (أي الملك سلوقس الثاني) انطيوخوس هيراكس (Antiochus Hierax) حاكم اسيا الصغرى استعد للاستيلاء على انتيوخيا مستغلاً فرصة غيابه، عندئذ لم يجد الملك سلوقس الثاني أمامه من خيار سوى العودة الى بلاده لمواجهة الوضع المضطرب فيها[1]، فاستغل الملك الفرثي تيرداد الاول هذه الأحداث في توطيد مملكته وتوسيعهـا الى الجهات الغربية ونقل عاصمته الى مدينة هيكاتومبيلوس (Hecatompylos) (قومس)(**)[2].

خلف الملك تيرداد الاول في حكم الدولة الفرثية ابنه الملك اردوان الاول (ارطبان الاول) (Artaban1) (214 – 196ق.م) وقد سار على خطى والده في توسيع مملكته فضم اليه ميديا (ماذي او ماد)(***) بعد مدة من توليه العرش، غير انه لم يتمكن

* يذكر (بورتر) ان ذلك كان سنة 237ق.م (موسوعة مختصر التاريخ، ص569) وهذا غير صحيح لان في هذه المدة كان الملك سلوقس الثاني منشغلاً بمحاربة اخيه انطيوخوس هيراكس الذي تمرد عليه وتفرد بحكم اسيا الصغرى، وقد استمرت الحرب بينهما سميت بحرب الاخوين خلال السنوات (239 – 236ق.م) (علي، محاضرات، ص148).

1– بورتر، موسوعة مختصر التاريخ، ص569.

** هيكاتومبيلوس (قومس): كورة من كور اقليم الديلم قصبتها الدامغان (المقدسي، احسن التقاسيم، ص353 – 354)، ومعنى هيكاتومبيلوس المدينة ذات المئة بوابة (بيرنيا، تاريخ ايران، ص179)، بناها الاسكندر المقدوني على ملتقى طرق القوافل التجارية بين الشرق والغرب (باقر واخرون، تاريخ ايران، ص94).

2– بيرنيا، تاريخ ايران، ص179؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص413.

***ميديا (ماذي او ماد): اقليم جبلي واسع يسميه الجغرافيون العرب اقليم الجبال، وعامة الناس الناس تسميه عراق العجم، حدوده من جهة الغرب اذربيجان ومن جهة الجنوب العراق وخوزستان ومن جهة الشرق مفازة خراسان وفارس (الصحراء الكبرى وسط بلاد فارس) ومن جهة الشمال بلاد الديلم وقزوين، اهم مدنه همذان والدينور واصبهان (ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص357 – 358؛ الاصطخري، مسالك الممالك،ص195؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص408).

من الاحتفاظ بها، اذ تولى عرش الدولة السلوقية بعد الملك الضعيف سلوقس الثالث (Seleucus III) (226 – 223ق.م) ملك كفء هو انطيوخوس الثالث (Antiochus III) (223 – 187ق.م) الملقب بـ (الكبير)، فحارب الفرثيين وتمكن من الاستيلاء على عاصمتهم هيكاتومبيلوس (قومس) سنة 209ق.م، واجبر ملكها اردوان الاول الذي فرّ الى هيركانيا على الاعتراف بتبعيته للدولة السلوقية[1].

ويبدو ان نشوة النصر شجعته على مواصلة جهوده لاستعادة ما استولى عليه البطالمة من ممتلكات السلوقيين في سوريا، فخاض لاجل ذلك معارك عدة مع ملك البطالمة بطلميوس الرابع (Potlemaios IV) (221 – 205 ق.م) الملقب بـ(فيلوباتور) (Philpateor) أي (محب أبيه) كان أخرها معركة رافيا (Raphia) (رفح)[*] سنة 217ق.م، وكان نصيبه منها الفشل، الا ان جهوده اثمرت سنة198 ق.م بانتصاره على الملك بطلميوس الخامس (Potlemaios V) (204 – 180ق.م) [2].

كما انه انتهز فرصة انشغال فيليب الخامس (222 – 179 ق.م) ملك مقدونيا بحروبه مع الرومان[**]، فاستولى على اسيا الصغرى وأجزاء من تراقيا سنة 196ق.م، الامر الذي اثار ريبة مجلس الشيوخ الروماني اذ عد نشاطه هذا مقدمة لغزو روما نفسها بمساعدة حليفه فيليب الخامس، لذلك انذروه بوجوب التراجع الذي رفضه انطيوخوس الثالث، فأعلنت روما الحرب عليه وتمكنت من الانتصار عليه في معركة

1- ابو مغلي، ايران، ص121؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص415؛ كرانتوسكي واخرون، تاريخ ايران، ص133.

* رافيا (رفح): من مدن بلاد الشام، بينها وبين غزة ثمانية عشر ميلاً (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص93).

2- حتي، تاريخ سوريا، ص265؛ وللتفصيل عن هذه المعركة ينظر:علي، محاضرات، ص149 – 150.

** الرومان: بعد استيلائهم على مقدونيا وبلاد اليونان استولوا على قرطاجنة سنة 146ق.م عند ذلك تفرغوا للاستيلاء على اسيا الصغرى وغيرها من المناطق الشرقية (للتفصيل ينظر: الاحمد، سامي سعيد، تاريخ الرومان، (بغداد: مطبعة التعليم العالي، د.ت)، ص61 – 69؛ عبو، عادل نجم ومحمد، عبد المنعم رشاد، اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، (الموصل: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1993م)، ص279 – 289).

مغنيسيا (Magnesia)(*) سنة 190ق.م، وفرضت عليه معاهدة صلح سنة188 ق.م لم يقتصر الامر فيها على فقدانه ممتلكاته في اسيا الصغرى بل فرضت عليه غرامة حربية كبيرة[1].

وكانت لهذه الهزيمة نتائجها السيئة على الدولة السلوقية اذ استغلت الولايات الشرقية هذا الضعف لصالحها فأعلنت ارمينيا (Armenia)(**) استقلالها سنة 190ق.م في عهد ملكها ارتاكسياس الاول (159 – 190) (Artaxias I ق.م)[2]، اما الفرثيون فقد عملوا على استغلال ذلك الضعف في توطيد اركان دولتهم وتوسيعها وبلغ هذا الاتساع ذروته في عهد الملك مهرداد الاول (174 – 138ق.م)، اذ تمكن من الاستيلاء على مملكة باكتريا كما ضم ميديا الى دولته[3]، وفي سنة 143ق.م هاجم الملك السلوقي ديمتريوس الثاني (138 – 146) (Demterius II ق.م) وتمكن من الاستيلاء على بلاد بابل واسر الملك السلوقي نفسه[4]، وبذلك أصبحت حدود دولته تمتد من

* مغنيسيا: سميت بذلك لوقوعها بالقرب من مدينة مغنيسيا الواقعة في ولاية ازمير التركية في الوقت الحاضر (ستارجيان، ل.ل، تاريخ الامة الارمنية، (الموصل: مطبعة الاتحاد الجديدة، 1951م)، ص62).

1- حتي، تاريخ سوريا، ص266؛ الناصري، سيد احمد علي، تاريخ وحضارة الشرق الادنى في العصر الهلنيستي، (القاهرة: دار النهضة العربية، 2001م)، ص249 – 250.

** ارمينيا: اقليم جبلي، يحيط بها مما يلي الشرق الجبال والديلم وغربي بحر الخزر (كردستان واذربيجان)، ومما يلي الغرب حدود الارمن واللان (اسيا الصغرى)، ومما يلي الشمال اللان وجبال القبق (جبال القفقاس)، ومما يلي الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة (ارض الجزيرة الفراتية) (ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص331؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص180 – 181؛ ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص44).

2- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص62.

3- ابو مغلي، ايران، ص121؛ كرانتوسكي واخرون، تاريخ ايران، ص134؛ ولسكي، شاهنشاهي اشكاني، ص95.

4- بورتر، موسوعة مختصر التاريخ، ص331؛ الاعظمي، علي ظريف، تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، تقديم وتعليق: عزة رفعت، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت)، ص16؛ الفتيان، احمد مالك، التنقيبات الاثارية في العراق في العهد الفرثي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، 1975م)، ص23.

مملكة باكتريا الى نهر الفرات غرباً ومن بحر قزوين شمالاً حتى الخليج العربي جنوباً[1]، قد اتخذ من طيسفون (المدائن)[*] التي بناها على الضفة الشرقية من دجلة مقابل سلوقية عاصمة له[2].

أما عن مصير الملك السلوقي ديمتريوس الثاني فيقال انه ظل في الاسر قرابة عشر سنين وان الملك الفرثي مهرداد الاول اسكنه في هيركانيا وعامله باحترام وزوجه احدى بناته[3]. وهذا يعني تحسن في العلاقات السلوقية الفرثية وبالتأكيد ان اتخاذ الملك الفرثي لهذا المنحى السلمي الايجابي قصد منه كسب صداقة السلوقيين وتأمين جانبهم ليتمكن من توطيد اركان دولته الفتية.

وعلى الرغم من ضعف الملوك السلوقيين المتأخرين فانهم لم يتخلوا عن اطماعهم وطموحهم في اعادة الاقاليم المنفصلة الى سلطتهم وكانت اخر محاولة لهم ما قام به الملك السلوقي انطيوخوس السابع (Antiochus VII)[*] (137 – 128 ق.م)

1- ابو مغلي، ايران، ص121 – 122.

* طيسفون (المدائن): تقع على دجلة من شرقيها جنوب بغداد على مرحلة منها (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص344؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص303) و(المدائن) اسم اطلقه العرب المسلمون على سبع مدن على ضفتي نهر دجلة متقاربة فيما بينها في المسافة وهي (طيسفون، سلوقية، اسبانير، به اردشير (بهر سير)، درزنبذان، بلاش آباد، ماخوزا) وتمسى في الوقت الحاضر سلمان باك ايضاً لوجود مرقد الصحابي الجليل سليمان الفارسي فيها (لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد: مطبعة الرابطة، 1954م)، ص52؛ كمال، احمد عادل، سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، (بيروت: دار النفائس، 1979م)، ص32 – 33).

2- باقر واخرون، تاريخ ايران، ص95.

3- كالج، اشكانيان، ص25 – 26؛ ابو مغلي، ايران، ص121 – 122.

** بعد أسر الملك السلوقي ديمتريوس الثاني سنة 143ق.م اغتصب العرش السلوقي شخص يقال له تريفون (Tryphon) (143 – 137ق.م) وقد اتبع سياسة قاسية مع السكان الذين انحازوا الى جانب الملكة المصرية كليوبترا ثيا ابنة الملك البطلمي بطلميوس السادس (180 – 145ق.م) وزوجة الملك السلوقي ديمتريوس الثاني التي تحالفت بدورها مع اخيه انطيوخوس السابع ضد تريفون فتمكنا من قتله سنة 137 ق.م، واصبح انطيوخوس السابع صاحب الامر بعد زواجه من كليوباترا ثيا (حتي، تاريخ سوريا، ص308، 301؛ الناصري، تاريخ وحضارة الشرق الادنى، ص267).

الذي شن حملة على الاقاليم الشرقية لاسترجاعها وتخليص اخيه ديمتريوس الثاني من الاسر، فسار على راس جيش كبير الى العراق وتمكن من اعادته الى حظيرة الدولة السلوقية سنة 130ق.م، وواصل تقدمه في بلاد فارس حتى وصل الى مدينـة اكبتانا (Ecbatana) (همدان)(*) وقد منعته احوال الجو وبعد المسافة من التوغل الى مسافات ابعد فعسكر في تلك المدينة القديمة واسكن جنوده في مدن الاقاليم المجاورة[1]، وقد حاول الملك الفرثي فرهاد الثاني (Phraats II) (138 – 125ق.م) عقد صلح معه الا ان الشروط التي فرضها الملك السلوقي كانت مجحفة، اذ اشترط عليه التخلي عن جميع الاقاليم التي احتلها الفرثيون والاكتفاء ببلادهم ودفع غرامة حربية[2]،ازاء ذلك وجد الملك الفرثي فرهاد الثاني في اطلاق سراح اسيره الملك السلوقي ديمتريوس الثاني خير وسيلة يوهن بها قوة عدوه ويشغله بحرب داخلية تجعله يصرف معها النظر عن محاربته، وبالفعل حدث ما توقعه الملك الفرثي، فاستغل ذلك وهاجم انطيوخوس السابع وتمكن من قتله والحاق الهزيمة بجيشه[3] في معركة جرت بين الطرفين سنة 128ق.م وكـــان مـــن نتيجتهـا ان اصبحت بلاد بابل ضمن ممتلكات الدولة الفرثية [4].

وأخذت الكوارث تتفاقم على الدولة السلوقية حتى ان سلطتهم في سوريا اصبحت مهددة بالزوال لعوامل عدة، فالى جانب الانشقاق الداخلي والنزاع العائلي والصراع مع بطالمة مصر والتدخل الروماني وغارات الفرثيين في الشرق، تعرضت

* اكبتانا (همدان): من مدن بلاد الجبل، مقدارها فرسخ في فرسخ (الاصخري، مسالك الممالك، ص198)، بينها وبين حلوان وهي اول مدن العراق سبعة وستون فرسخا (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص417)، ومعنى اكبتانا ملتقى الطرق الكثيرة وتقع على الطريق الذي يربط هضبة ايران بالعراق عبر جبال زاكروس، اتخذها الميديون ثم الاخمينيون عاصمة لهم (باقر، مقدمة، ج2، ص400، 429).

1- Ghrishman , Iran from... ,p.248؛سايكس،تاريخ ايران،ج1،ص442؛كالج، اشكانيان،ص26.

2- بيرنيا، تاريخ ايران، ص 181؛ سايكس، المصدر نفسه، ج1، ص444.

3- ابو مغلي، ايران، ص122.

4- الاعظمي، تاريخ الدول، ص16.

الدولة لمتاعب جمة من جانب الارمنيين في الشمال،واليهود في ارض يهوذا(*) بفلسطين ومن القبائل العربية المجاورة ولا سيما من الانباط(**) في الجنوب[1]، ونحو سنة 130ق.م قامت في ادسا (Edessa) (الرها)(***) مملكة اسروهيني (Osrohene) بتأييد من الفرثيين، كما تمكنت قبيلة عربية اخرى من اقامة دولة عربية تمركزت في مدينة ايميسا(Emesa) (حمص)(****)وكانت تابعة اسمياً للفرثيين، كذلك انشأت دولة محلية أخرى على أيدي الايتوريين(*****) في (البقاع)(******) جنوب سوريا واتخذت من خالكيس (Chalcis) (قنسرين)(*******) عاصمة لها [2]، ولعل اهم سبب منع الملك الفرثي فرهاد الثاني مـن الاستيلاء على سوريا مركز الحكم السلوقي انشغاله بصد هجمات قبائل الاسكيثيين التي اندفعت نحو بلاده وتمكنت من الاستيلاء على

* يهوذا: هي المنطقة الجنوبية من فلسطين متاخمة للقدس والممتدة من شمال البحر الميت حتى البحر المتوسط (غربال، الموسوعة العربية، ج2، ص1607).

** الانباط: وهي من الممالك العربية القديمة التي نشأت في المنطقة الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، واتخذت من البتراء عاصمة لها وقد بلغت اوج ازدهارها في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وظلت قرابة اربعمائة سنة تشغل مركزاً خطيراً على طريق البخور الذي يقطع الصحراء واصلاً بين اليمن في الجنوب وبين ثغور البحر المتوسط (للتفصيل ينظر: عباس، احسان، دولة الانباط، (عمان: دار الشروق، 1978م).

1- علي، محاضرات، ص221.

*** ادسا (الرها) من مدن الجزيرة الفراتية، تقع شمال حران، والمسافة بينهما يوم (ابن حوقل، صورة الارض، ج1،ص226،210)،بناها سلوقس الاول قرب نهر البليخ بمحاذاة الفرات على نهر صغير يسمى ديصان، والسريان يسمونها اورهاي وعنهم اخذ العرب تسمية الرها،تقع في الوقت الحاضر في تركيا وتسمى اورفه (حبي،يوسف،كنيسة المشرق،ط3،(بغداد: الموصل، 1988م)، ج1، ص174 - 177).

**** ايميسا (حمص): مدينة سورية في منتصف المسافة بين دمشق وحلب (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص302؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص425).

***** الايتوريين: لم اتمكن من معرفة اصل هؤلاء ولا سبب تسميتهم.

****** البقاع:وهو ارض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق (ابن عبد الحق،مراصد الاطلاع،ج، ص211)

******* خالكيس (قنسرين): مدينة تنسب الكورة اليها وهي من اصغر المدن بها (الاصطخري، مسالك الممالك، ص61) بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص (ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج4، ص 404؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1126).

2- حتي، تاريخ سوريا، ص270.

زرنك او زرنج التي صارت تعرف منذ ذلك الوقت باسم سكستان او سجستان (Sagistan)(*) (أي بلاد السكا)، وقد قتل الملك فرهاد الثاني في احدى معاركه معهم سنة 125ق.م[1].

وفي السنة نفسها اندفعت نحو ارضي الدولة الفرثية قبيلة من سكان صحارى بحر قزوين تسمى (يوئتشي) (Yue - Tchi) فحاول الملك الفرثي اردوان الثاني (ارطبان الثاني) (Artaban II) (125 – 124ق.م) ان يعترض طريقها، الا انه قتل في المعركة التي نشبت بينهما سنة 124ق.م، وما ان تولى الملك مهرداد الثاني (124 – 88ق.م) العرش بعد ابيه حتى تمكن من الحاق الهزيمة بالاسكيثيين وطردهم عن بلاده[2]، ثـم هاجم ارمينيا في عهد ملكها ارتاكسياس الثاني (Artaxiss II) (123 – 94ق.م) والزمه بقبول الصلح بشروط فرضها عليه ولكي يضمن تبعية بلاده له اخذ ابنه تيكران الثاني (Tigran II) رهينة الى بلاطه [3]، غير ان بلاد فارس دخلت في عهده مرحلة جديدة من مراحل الصراع استمرت ما يقارب قرنين ونصف القرن وهو الصراع الفرثي – الروماني.

* سكستان او سجستان: يسميها الايرانيون سيستان، اقليم واسع قصبته زرنج، (المقدسي، احسن التقاسيم، ص297؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص340،59)، يقع الى شرقي كرمان بانحراف الى الشمال (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص131) بينه وبين مدينة هراة ثمانون فرسخاً (ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ/ 912م)، المسالك والممالك، تقديم: محمد مخزوم، (بيروت: دار احياء التراث العربي،1988م)، ص53؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص190).

1- ابو مغلي، ايران، ص122.

2- المصدر نفسه، ص122 – 123.

3- بيرنيا، تاريخ ايران، ص 184.

ـ العلاقات الفرثية ـ الرومانية (124ق.م ـ 226م)

واصل الرومان سياسة أسلافهم السابقة تجاه الشرق حيث الدولة الفرثية،لإنها المركز السياسي القوي والحاجز امام تحقيق طموحاتهم في اخضاع العالم الشرقي والاستحواذ على ثرواته وخيراته، ولم تكن أي من الدولتين قوية الى الحد الذي يمكنها من التغلب على الأخرى، لذلك استمرت العلاقات بينهما قرابة قرنيين ونصف القرن يغلب عليها طابع الحروب والمعارك تتخللها سنوات تركنان فيها الى الهدنة والسلام [1].

والواقع ان الرومان وجدوا في الفرثيين منافساً لهم لا في السيادة فحسب بل في التجارة أيضاً، فالحرير الصيني كان لا يصل الى روما الا عن طريق الفرثيين الذين استغلوا سيطرتهم على طرق تجارته[*]، واقبال الرومان الشديد على اقتنائه ففرضوا عليه الضرائب الباهضة [2]، لذلك حاول الرومان وضع حداً لهذا الاحتكار بالسيطرة على منافذه، ولذلك صارت ارمينيا وبلاد بابل (العراق) ميداناً للصراع بين الفرثيين

1- الاحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الادنى، ص22.

* كانت طرق تجارة الحرير الصيني تقع كلها او معظمها في ايدي الفرثيين، ومما عزز سيطرتهم تلك وصول وفد من قبل الامبراطور الصيني وو - تي (We - Ti) (140 - 76ق.م) الى الملك الفرثي مهرداد الثاني (124 - 88 ق.م) يعرض عليه توثيق علاقات الصداقة والتجارة بين الجانبين بفتح طريق بري خلال مسالك اواسط اسيا، وهذا الطريق كان يخترق الصين عبر تركستان الصينية وباكتريا (بلخ) الى مرو ثم يتجه الى دامغان (طبرستان) وهمدان الى العاصمة الفرثية طيسفون، وقد سمي هذا الطريق بطريق الحرير او طريق خراسان (ايليف، فارس والعالم القديم، ص49 - 50).

2- لوكهارت، فارس في نظر الغرب، ص425؛ اوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة وتعليق: موسى علي الغول، (عمان: 1960م)، ص132.

والرومان. وهذا يعني ان دوافع الصراع بين الجانبين كانت دوافع اقتصادية ترجع في أساسها الى محاولة الرومان للاستيلاء بطريق مباشر على منافذ تجارة الحرير الصيني التي تقع كلها او معظمها بيد الفرثيين.

وتؤكد المصادر ان بداية العلاقات السياسية بين الفرثيين والرومانيين تعود الى سنة 92ق.م، ففي هذا السنة وصلت الجيوش الرومانية يقودها القائد لوسيو سولا (Sulla) (93 – 78ق.م) الى اسيا الصغرى لمحاربة ارمينيا في عهد ملكها تيكران الثاني (94 – 54ق.م)(*) الذي تحالف مع مثريداتس السادس (Mithridstes) (120 – 63ق.م) ملك بلاد البُنتس (Pontus)(**)، واستوليا على عدد من الولايات الرومانية في اسيا الصغرى، فارسل اليه الملك الفرثي مهرداد الثاني (124 – 88ق.م) وفداً يعرض عليه عقد معاهدة تحالف وصداقة بين الطرفين [1].

وعلى ما يبدو ان الذي دفع الفرثيين الى كسب ود وصداقة الرومان قوة مركز ارمينيا وتزايد خطرها بعد تحالفها مع ملك بلاد البُنتس إذ أصبحت بموجب هذا التحالف في مواجهة الدولة الفرثية، وأن الفرثيين أرادوا بهذا التحالف ضمان حماية

* كان تيكران الثاني رهينة في بلاط الفرثيين، الا انه وبعد وفاة والده طلب من الملك الفرثي مهرداد الثاني ان يجلسه على عرش ارمينيا مقابل التنازل له عن جزء من أراضي ارمينيا فوافق الاخير على ذلك، الا ان تيكران الثاني بعد مدة نكث عهده وخرج على الملك الفرثي مهرداد الثاني الذي لم يقدر عليه حتى وفاته (بورتر،موسوعة مختصر التاريخ،ص571)، وقد تمكن تيكران الثاني من توسيع حدود بلاده حتى امتدت من خليج ايسوس والبحر المتوسط غرباً الى بحر قزوين شرقا (ابو مغلي، ايران، ص123).

** بلاد البُنتس: تقع على الساحل الشرقي للبحر الاسود شمالي ارمينيا، عاصمتها سينوب (علي، عبد اللطيف احمد، التاريخ الروماني (عصر الثورة من تيبريوس جراكوس الى اكتافيانوس اغسطس)، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1967م)، ص73؛

Smith,Sir William ,A smaller History of Rome from the earliest times to the death of Trajan,London(1920) p.221.

1– ايليف، فارس والعالم القديم، ص49؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص185؛ علي، التاريخ الروماني، ص72؛ عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص305؛ باقر، مقدمة، ج2، ص484.

طرق تجارتهم مع الصين، غير ان الرومان استهانوا بقوة الفرثيين واحتقروا وفدهم وطردوه، فاغاظ ذلك الملك الفرثي مهرداد الثاني ودفعه الى التحالف مع ارمينيا وبلاد البنتس، وهاجموا الجيش الروماني واوقعوا به خسائر كبيرة صححت خطأ الرومان في تقدير قوة الفرثيين واستصغار شأنهم فاضطروا الى عقد معاهدة حياد معهم مثل الجانب الرومانـي فيها القائد لوكولوس (Lucullus) (74 - 71ق.م) [1].

ولا يعرف تاريخ عقد تلك المعاهدة على وجه التحديد، الا ان المؤرخ (Ghrishman) ينسب عقدها الى الملك الفرثي مهرداد الثاني[2]، وهذا مستبعد لان وفاة الملك مهرداد الثاني كانت سنة 88 ق.م والقائد الروماني لوكولوس تولى قيادة الجيش الروماني المحارب في الشرق سنة 74ق.م، والراجح ان الذي مثل الجانب الفرثي في عقد تلك المعاهدة هو الملك الفرثي سانترويكس (Sanatroikes)[*] (76 - 69 ق.م) اخو الملك مهرداد الثاني.

جدد القائد الروماني بومبي (70 - 55ق.م) تلك المعاهدة بعد توجهه الى الشرق سنة 67ق.م مع الملك الفرثي فرهاد الثالث (Phraates III)(69 - 60ق.م) الذي اشتد النزاع بينه وبين ملك ارمينيا تيكران الثاني، وقد نجح القائد بومبي في اقناع الملك فرهاد الثالث في مهاجمة ارمينيا، وكان يقصد من ذلك ان يغل يد ملكها فلا يتمكن من مساعدة حليفه ملك بلاد البنتس، وبذلك يسهل على القائد بومبي القضاء عليه لانه سيكون بمفرده[3].

1- **Ghrishman , Iran from.. ,p.251**

2- **Ibid ,p.251**

* سانترويكس: هو والد الملك فرهاد الثالث والاخبار عن مدة حكمه التي استمرت سبع سنوات وعلاقته بالرومان تكاد تكون معدومة (بورتر،موسوعة مختصر التاريخ،ص571؛ بيرنيا،تاريخ ايران،ص185).

3- **Ghrishman , Iran from..,p.251**؛ دياكونوف، ميخائيل ميخائيوديج، تاريخ ايران باستان، ترجمة: روحي ارباب، (تهران: 1380هـ)، ص231؛ علي، التاريخ الروماني، ص127.

أما النزاع بين الملك الفرثي فرهاد الثالث وملك ارمينيا تيكران الثاني فكان سببه ان الاخير استغل الفوضى والاضطرابات الداخلية التي أعقبت وفاة الملك الفرثي مهرداد الثاني فاستولى على ممتلكاته الخاصة ومنها ميديا ومملكة حدياب(*) وبعض المدن في الاجزاء الشمالية والغربية من ارض الجزيرة الفراتية وجعل تلال سنكارا (Singara) (سنجار)(**) الحد الفاصل بينه وبين الفرثيين، وبذلك اصبح المدخل الرئيس لطريق الحرير الى العراق من جهة هضبة بلاد فارس(***) بيده [1]، وأن ضعف السلوقيين مكنه من ان يضم الى دولته سنة 83 ق.م سوريا وكيليكيا [2]. وضمه لتلك المناطق يعني ان منافذ تجارة الحرير من العراق الى القسم الغربي من الشرق اصبحت خاضعة له وتحت سيطرته.

* حدياب: هو الاسم الارامي لمدينة اربيل يقابله في المصادر الكلاسيكية اسم اديابيني، ومعناه اقليم الزابين، واقليم حدياب يكاد يطلق من الناحية الجغرافية على الجزء الاكبر من بلاد اشور القديمة حتى سمي احياناً باسم مرادف هو (اثوريا) أي بلاد اشور، (باقر، طه، وسفر، فؤاد، المرشد الى مواطن الاثار والحضارة، (مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الارشاد،سلسلة الثقافة الشعبية (45)، 1962م)، الرحلة الخامسة، ص4).

** سنكارا (سنجار): من مدن الجزيرة الفراتية، بينها وبين الموصل ثلاثة ايام (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص210).

*** هناك ثلاث طرق محتملة لدخول الحرير الصيني من جهة هضبة بلاد فارس الى العراق خضعت لسيطرة الملك تيكران الثاني هي:

(1) طريق بحر قزوين الى ميديا (اذربيجان)، وفي وادي نهر الرس الى ارتاكساتا عاصمة ارمينيا.

(2) طريق خراسان، من بوابة خراسان الى قزوين، وفي وادي زنجان مارة عن طريق ميانة واردبيل او تبريز الى وادي الرس ومن ثم الى ارتاكساتا.

(3) طريق خرسان، بين بوابة خرسان وبين بوابة جبال زاركوس، ثم تتحول بعد خروجها من البوابة الأخيرة مباشرة في تجاه مسالك كركوك الى ديكرانوسرتا (ميافارقين) وهي العاصمة الجديدة التي اتخذها تيكران الثاني لبلاده (شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج2، ص242).

1- اميل، بول، تاريخ ارمينيا (عرض مبسط لتاريخ الشعوب الارمنية منذ فجر التاريخ حتى اليوم)، ترجمة: شكري علاوي، (بيروت: دار مكتبة الحياة،د. ت)، ص10؛ شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج2، ص241.

2- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص 70 – 71؛ اميل، تاريخ ارمينيا، ص10.

تمكن القائد بومبي سنة 66ق. م من القضاء على مملكة البُنتس واخضاع ارمينيا بمساعدة الملك الفرثي فرهاد الثالث وابن الملك تيكران الثاني الذي انحاز الى جانب الفرثيين [1]، ومنذ ذلك التاريخ دخلت العلاقات بين الرومان والفرثيين مرحلة جديدة تمثل بالصراع الحقيقي على تجارة الشرق، إذ تخلى القائد بومبي عن وعده الذي قطعه للملك الفرثي فرهاد الثالث في ان يكون نهر الفرات الحد الفاصل بينهما وفي إطلاق يده في الأراضي التي تعد من ممتلكات الفرثيين التي سبق واستولى عليها الارمن مقابل المساعدة التي قدمها له في تمكينه من القضاء على مملكة البُنتس واخضاع ارمينيا [2]، ومقابل ان يكون ولاء الاخيرة الى روما وافق على إبقاء تيكران الثاني على عرش ارمينيا، وسمح له بالاحتفاظ بما كان تحت يده من أملاك الدولة الفرثية بعد ان تنازل له - أي تيكران - عن سوريا وكيليكيا ودفع له مبلغاً كبيراً من المال كغرامة حربية[3]، ولا شك انه بسلوكه ذلك السلوك قد غرس بذور النزاع الاولى بين الفرثيين والرومان الذي استمر فيما بعد، والظاهر ان بومبي أراد ان يجعل من ارمينيا مصداً على أهم طريق لسير جيوشه بين بلاد الجزيرة الفراتية وسوريا[4] التي جعل منها ولاية رومانية سنة 64ق.م [5].

1- **Robinson ,Cril, A history of Rome from 753 B.C To 410 A.D,London (N.D),Part 1,pp.170 - 171; Smith, A smaller History of Rome,pp.250 - 252.**

2- **Robinson , A history of Rome,Part 1,p. 171;**

علي، التاريخ الروماني، ص129.

3- شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج2، ص244؛ ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص83؛ ابو مغلي، ايران، ص125 - 126.

4- شريف، المصدر نفسه، ج2، ص244.

5- حتي، تاريخ سوريا، ص274؛

Ferrero, Guglielmo and Barbagallo, Corrado, A Short History of Rome (The Monarchy and the Republic from the Foundation of the city to the Death of Julius Caeser 754 B.C - 44 B.C, New York and London (1918) ,p.383.

ولم يبق أمام الرومان بعد استيلائهم على سوق التجارة الشرقية عبر الجزيرة الفراتية الى شرق البحر المتوسط سوى الاستيلاء على بلاد بابل (العراق) المركز الرئيس لتوزيع التجارة الشرقية(*) أي الاتصال المباشر بالفرثيين، فاستعد لهذا الامر حاكم سوريا الروماني كراسوس (Crassus) (54 – 53ق.م) مستغلاً حالة الفوضى التي أعقبت وفاة الملك الفرثي فرهاد الثالث سنة 60 ق.م والنزاع بين ولديه مهرداد الثالث وأخيه الاصغر ارد الاول على العرش، فعبر سنة 53ق.م نهر الفرات وبالقرب من كرها (Carrhae) (حران)(**) التقى بجيوش الملك الفرثي ارد الاول (اورود) (Orodes I) (55 – 37 ق.م) فدارت بين الطرفين سنة 53ق.م معركة كبيرة اندحر فيها الرومان وقتل عدد كبير من جنودهم على رأسهم القائد كراسوس نفسه[1]، وهذه أول هزيمة يلحقها الفرثيون بالرومان في اول صدام مباشر بينهما.

كان لهذه الهزيمة اثر كبير على سياسة روما اذ انها وضعت حداً لتوسعها في اسيا منذ ذلك الوقت فصاعداً،وقد استعد الحاكم الروماني يوليوس قيصر(Julius Caesar) (49 – 44ق.م) للثأر من الفرثيين الا انه اغتيل قبل ان يحقق ذلك[2]، وقد شجع انغماس

* هناك طريقان تجاريان يتجهان من العاصمة طيسفون غربا الى سوريا أحدهما طريق اشور – الحضر – نصيبين، والثاني طريق دورا حيث كان من الممكن السير بحذاء ضفة الفرات اليمنى نحو الخابور او سلوك طريق مختصر عبر الصحراء عن طريق تدمر (ايليف، فارس والعالم القديم، ص50؛ عثمان، فتحي، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، (مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م)، ج1، ص114).

** كرها (حران): قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها مسافة يوم، وكانت منازل الصابئة الحرانيين (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص210، 226؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص389).

1- للتفصيل عن هذه المعركة ينظر: لويد، سيتن، الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ اقدم العصور حتى الان)، ترجمة: طه باقر وبشير فرنسيس، (القاهرة: 1948م)، ص145 – 151؛ كالج، اشكانيان، ص36 – 39؛

Robinson , A history of Rome,Part 1,pp.197 - 198.

2- بيرنيا، تاريخ ايران، ص192؛ دياكوف. ف و كوفاليف. س، الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، (دمشق: منشورات دار علاء الدين، 2000م)، ج2، ص604.

الرومان في مشاكلهم الداخلية بعد مقتل يوليوس قيصر[*] الفرثيين على مد نفوذهم نحو الغرب فاستولوا خلال المدة ما بين (40 - 39 ق.م) على سوريا والساحل الكنعاني (الشامي) وجزء كبير من اسيا الصغرى وسكوا فيها نقوداً نقشت عليها صورة الملك ارد الاول، فاصبحوا بذلك يشكلون خطراً كبيراً على الرومان في البحر المتوسط[1]، وعندئذ حشد الحاكم الروماني انطونيوس (Antonius) (مارك انطوني) (40 - 36 ق.م)[2] الذي كان في مصر آنذاك قواته سنة 39 ق.م لايقاف تقدم الفرثيين واعادة توطيد النفوذ الروماني في الشرق من جديد فتمكن جيشه بقيادة فينتيديوس (Ventedius) من الحاق الهزيمة بالفرثيين بقيادة الامير باكر (Pacr) بن الملك ارد الاول في منطقة كيليكيا، وحقق نصراً اخر بعد عام أي سنة 38ق.م استرجع فيه سوريا والساحل الكنعاني [3]، وفي سنة 36 ق.م تغلغل انطونيوس داخل بلاد فارس عن طريق ارمينيا ولكنه لم يوفق اذ حلت بجيوشه هزيمة منكرة في معركة بالقرب من تبريز (شمال غرب ايران) اضطر معها الى عقد هدنة مع خصمه الملك الفرثي فرهاد الرابع (Phraates IV) (37 - 2ق.م) امنت له الانسحاب والعودة الى مصر [4].

* بعد مقتل يوليوس قيصر اتفق القادة الثلاثة المتنازعين على الحكم وهم انطونيوس واغسطس ولبيدوس على تكوين حكومة ثلاثية، يحكم انطونيوس القسم الشرقي واغسطس القسم الغربي بينما يحكم لبيدوس شمال افريقية عدا مصر، وبعد موت الثالث بمدة قصيرة أصبحت الإمبراطورية مقسمة بين انطونيوس الذي تفرد بالقسم الشرقي واغسطس الذي تفرد بالقسم الغربي (باقر،مقدمة، ج2، ص624 - 625؛ كسواني، جورية حنا، الإدارة والتنظيمات الادارية الرومانية في سورية (64ق.م - 305م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة دمشق: كلية الاداب والعلوم الانسانية، 2005م)، ص59).

1- دياكونوف، تاريخ ايران، ص240 - 241.

2- اشتهر بعلاقته العاطفية مع الملكة كليوباترا السابعة اخر الملكات من اسرة البطالمة الحاكمة في مصر (نصحي، مصر، ج1، ص119).

3- Smith, A smaller History of Rome,p.314 ;

الجاف، الوجيز، ج1، ص77.

4- للتفصيل ينظر: دياكونوف، تاريخ ايران، ص243 - 244.

ويبدو ان هذه الهزيمة اقنعت الامبراطور[*] اغسطس (Augustus) (اكتافيانوس) (27ق.م – 14م) بعدم الجدوى من استمرار الحرب مع الفرثيين، ورأى ان مصلحة الامبراطورية الرومانية تقتضي عقد معاهدة سلام بين الطرفين تتجه خلالها الى الاهتمام بشؤونها الاقتصادية [1]، ولعل أهم سبب لهذا التوجه الجديد في السياسة الرومانية ان مصر أصبحت ولاية رومانية منذ عام 30ق.م[2]، وعن طريقها اصبح قسم من تجارة الشرق ولا سيما مع الهند بيدهم عن طريق البحر الاحمر[3]، ولم يكن الفرثيون اقل منهم استجابة لتحقيق هذه الرغبة وعليه عقدت في اول سنة للميلاد معاهدة للسلام بين الملك الفرثي فرهاد الرابع والامبراطور اغسطس اتفق فيها الطرفان على ان يكون نهر الفرات الحد الفاصل بينهما، ولضمان سلامة تخوم الإمبراطوريتين ولتنظيم العلاقات التجارية بينهما وافقا على قيام تدمر[**] وارمينيا كدول محايدة وحاجزة بينهما [4].

* الامبراطور: لقب شرفي معناه القائد الاعلى المظفر كان الجنود يحيون به قائدهم بعد انتصاره في المعركة وكان امتياز يكسب صاحبه الحق في ان تحتفل به الدولة رسمياً، الا انه لقب مؤقت يزول عن صاحبه بعد دخوله روما، واول قائد لقب بهذا اللقب هو القائد بومبي، الا ان هذا اللقب اصبح لقباً رسمياً خاصاً بصاحب العرش دون سواه في عهد اغسطس (27ق.م – 14م) فهو اول من تلقب به رسمياً بعد انتصاره في معركة اكتيوم (Actium) سنة 30 ق.م وعودته الى روما (علي، التاريخ الروماني، ص102، 331، 333)، وللتفصيل عن معركة اكتيوم ينظر: (سلامة، امين، التاريخ الروماني، (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، 1959م)، ص421 – 424).

1- جيبون، ادوارد، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي ابو دره، مراجعة: احمد نجيب هاشم، (القاهرة: مطبعة الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969م)، ج1، ص65؛ دياكوف وكوفاليف، الحضارات القديمة، ج2، ص612.

2- علي، عبد اللطيف احمد، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية،(القاهرة: دار النهضة العربية، 1965م)، ص54؛ دياكوف و كوفاليف، الحضارات القديمة، ج2، ص611.

3- جيبون، اضمحلال، ج1، ص110 – 111؛ الاحمد، تاريخ الرومان، ص137.

** تدمر: سيأتي الحديث عنها تفصيلياً لاحقاً.

4- شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج2، ص248؛

Robinson, A history of Rome,Part11,p.266;

سليمان والفتيان، محاضرات،ج1، ص224.

ولتوطيد العلاقات بين الطرفين ارسل الامبراطور اغسطس الى الملك الفرثي فرهاد الرابع أميرة رومانية تسمى موزا (Muse) انجب منها ولده فرهاد الخامس، وتلقى الملك فرهاد الرابع بدوره تلك العلاقات الطيبة بقبول حسن فارسل ابناءه الاربعة ليقيموا في البلاط الروماني ويتثقفوا بالثقافة الرومانية الغربية [1].

وقد اتبع الأباطرة(*) الذين خلفوا اغسطس هذه السياسة السلمية مع الفرثيين حتى عهد الإمبراطور تراجان (Trajan) (98 - 117م) الذي انتهج سياسة مغايرة قائمة على التوسع ووضع يد الرومان على كل منافذ تجارة الشرق ومنها طريق العراق الخاضع لسيطرة الفرثيين[2]، وهذا يعني انه اختار ارض العراق لتكون ميداناً لحروبه مع الفرثيين وقاعدة تنطلق منها حملاته القادمة الرامية الى الاستيلاء على مناطق الشرق.

ويبدو ان ظروف الشرق كانت مهيئة ومشجعة لتحقيق سياسة تراجان في التوسع، فالند والمنافس القوي له في ميدان الحرب وهو الدولة الفرثية قد أصابها بعد عهد الملك فرهاد الرابع الضعف وأخذت تسير نحو التدهور والانحطاط لان ملوكها أهملوا النواحي الحربية وانشغلوا بصراعاتهم الداخلية طمعاً في عرش

1- ابو مغلي، ايران، ص129؛ كالج، اشكانيان، ص41 - 42؛ ولسكي، شاهنشاهي اشكاني، ص166 - 167.

* تربع على عرش روما بعد وفاة الامبراطور اغسطس حتى عهد الامبراطور تراجان (98 - 117م) عدد من الاباطرة وهم: تيبريوس (Tiberius) (14 - 37م)، كاليجولا (Caligula) (37 - 41م)، كلوديوس الاول (Claudius 1) (41 - 54م)، نيرون (Neron) (54 - 68م)، جالبا (Galba) (68 - 69م)، اوثو(Otho) (69م)، فيتليوس (Vitellius) (69م)، فسباسيان (Vespasian) (69 - 79م)، تيتوس (Titus) (79 - 81م)، دوميتيان (Domitian) (81 - 96م)، ماركوس نرفا (Marcus Nerva) (96 - 98م) (Tenen, Junior Histories,p.784)؛ تشارلزورث، م.ب، الامبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبده جرجيس، مراجعة: محمد صقر خفاجة، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1961م)، ص227).

2- شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج2، ص252.

السلطنة(*)، فما كان من الامبراطور تراجان الا ان اتخذ من تدخل الملك الفرثي خسرو(Khusrau) (106 - 129م) في الأمور الداخلية لارمينيا(**) التابعة للرومان ذريعة لتوجهه نحو الشرق سنة 114م، فتمكن من اخضاع ارمينيا ثم سار الى سوريا ونـزل عاصمتها انتيوخيا ثم سار منها سنة 115م لمحاربة الفرثيين في ارض العراق فتمكن من عبور نهر دجلة بسفن كان قد امر بصنعها في نيسيبيس (Nisibis) (نصيبين)(***) اوصلته الى العاصمة طيسفون فدخلها من دون مقاومة، اذ هرب الملك

* شهدت المدة التي تلت وفاة الملك الفرثي فرهاد الرابع سنة 2ق.م مشاكل وحروب داخلية بين امراء البيت الفرثي حول العرش بحيث صعب على المؤرخين تحديد اسمائهم وتاريخ حكمهم على وجه الدقة حتى سنة 51م، وعلى اية حال فاننا سنذكر اسماء ملوك هذه المدة كما اوردها (ابو مغلي) وكما يأتي:
فرهاد الخامس 2ق.م - 1م.
ارد الثاني 1 - 6م.
فانان الاول (ابن فرهاد الرابع) (مشاكل داخلية)
اردوان الثالث كان ملكاً على ميديا ثم استولى على العرش من فانان الاول = =
فردان = =
كودرز = =
فانان الثاني (7 - 51م)
(ايران، ص129 - 131)

** اصبحت ارمينيا ومنذ عهد الحاكم الروماني تيبريوس (14 - 37م) تابعة للرومان، وتولى الحكم فيها ابن اخيه جرمانيوس باسم (ارتاكزيا) سنة 18م، وظل ملكاً عليها حتى سنة 34م (ابو مغلي، ايران، ص130) وتاريخ ارمينيا بعد هذه المدة مضطرب ويحيطه الغموض حتى سنة 51م ففيها تولى عرش الدولة الفرثية الملك بلاش الاول (51 - 77م)، الذي زحف نحو ارمينيا سنة 58م وتمكن من الاستيلاء عليها ونصب على عرشها اخيه تيرداد فاغاظ عمله هذا الإمبراطور نيرون (54 - 68م) فحاول رد هذه الاهانة بالاشتباك مع الملك الفرثي بلاش في معركة خسرها الرومان سنة 63م عقدت بعدها معاهدة صلح بين الطرفين استمرت خمسين عاماً، أصبحت ارمينيا بموجب بنوده تابعة للرومان ويتولى العرش فيها تيرداد اخو الملك الفرثي بلاش بعد ان توجه الإمبراطور نيرون نفسه في روما (ابو مغلي، ايران، ص131؛ الاحمد، تاريخ الرومان، ص160).

*** نيسيبيس (نصيبين): هي قصبة ديار ربيعة (ابن خرداذبة، المسالك والممالك،ص86؛ المهلبي، الكتاب العزيزي،ص112)، تقع على طريق القوافل بين الموصل وبلاد الشام، بينها وبين الموصل اربع مراحل (الاصطخري، مسالك الممالك، ص72؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1374).

الفرثي خسرو الى سوسه[1]، واستمر تراجان بالمسير جنوباً حتى وصل الى الخليج العربي سنة 116م فكان اول واخر امبراطور روماني يصل الخليج العربي[2]، ولم يمض وقت طويل هناك حتى اضطر الى العودة شمالاً بعد سماعه نبأ استعادة الملك الفرثي خسرو لجميع المدن التي اخضعها، ولما فشل في اعادة اخضاعها ثانية عاد الى روما لكنــه توفـي في الطريق سنة 117م[*][3].

وعلى الرغم من ان تراجان فشل في السيطرة على ارض العراق الا ان حملته تلك كانت لها نتائج مهمة اذ انها كشفت عن ضعف الدولة الفرثية وولدت لدى الاباطرة الرومان بعده فكرة امكانية غزو العراق والسيطرة على طرق التجارة فيه، وهذا ما حدث فعلاً زمن الامبراطور ماركوس اوريليوس انطونينوس (Marcus Aurelius Antonius) (161 – 180م) اذ تمكنت الجيوش الرومانية بقيادة حاكم سوريا افيديوس كاسيوس (Avidius Cassius) سنة 165م من الاستيلاء على طيسفون وتخريب قصرها الملكي زمن الملك الفرثي بلاش الثالث (147 - 191م) ولكنه اضطر للعودة الى رومـا بسبب تفشي وباء الطاعون في جيشه [4]، وتكرر التغلغل الروماني في ارض العراق زمن الامبراطور سبتيميوس سفيروس (Septimius Severus) (193 – 211م) في سنة 198م زمن الملك الفرثي بلاش الرابع (191 - 208م) ومع انه تمكن من تخريب طيسفون وجعل شمال العراق الغربي مقاطعة رومانية، الا انه فشل في اخضاع

1- للتفصيل عن تراجان وحملته في ارض العراق ينظر: لويد، الرافدان، ص152 – 155؛

Hay Wood,R.M,Ancient Rome ,New York (1967) ,pp.455 - 481.

2- عبو ومحمد، اليونان والرومان، ص331.

* خلف تراجان في الحكم الإمبراطور هادريان (Hadrian) (117 – 138م) ثم الإمبراطور انطونيوس بيوس (Antoninus Pius) (138 – 161م) (Tenen, Junior Histories, p.784).

3- بورتر، موسوعة مختصر التاريخ، ص512؛

Hay Wood, Ancient Rome,p.481

4- الاحمد، تاريخ الرومان، ص189؛

Robinson, A history of Rome,Part 11,p.379

الحضر(*) مرتين سنة 198م وبداية سنة 199م، فاضطر للعودة الى روما دون نتيجة واضحة (1)، وكان اخر ذلك ما قام به الامبراطور كركلا (Caracalla) (211 - 217م)، اذ استغل الاضطرابات والمشاكل الداخلية التي عمت الدولة الفرثية عقب وفاة الملك الفرثي بلاش الرابع(2)، وتولي الحكم اردوان الخامس (ارطبان الخامس) (Artaban V) (208 - 226م) فارسل اليه متظاهراً برغبته في إقامة علاقات ودية بين البلدين ولتأكيد تلك الرغبة طلب الزواج من ابنة الملك، وما ان دخل طيسفون سنة 217م لاتمام حفل الزفاف الذي خرج لمشاهدته والابتهاج به عدد كبير من الناس والجيش المرابط في طيسفون حتى انقض عليهم وأوقع بهم الخسائر الكبيرة، ثم كان مصير هذا الامبراطور ان اغتيل على يد بعض جنوده(3)، وحاول خليفته الامبراطور ماكرينوس (Macrinus) (217 - 218م) عقد صلح مع الملك الفرثي اردوان الخامس الا ان الاخير فرض شروطاً قاسية لم يستجب لها الامبراطور، وكان الملك الفرثي قد استعد لاخذ الثار ومقاتلة الجيش الروماني فوقعت معركة بين الطرفين سنة 217م في مدينة نيسيبيس وهي أخر معركة بين الفرثيين والرومان انتهت باندحار الإمبراطور ماكرينوس،ثم عقدت معاهدة صلح بين الطرفين دفع الرومان بموجبها غرامة مالية كبيرة للفرثيين، ولكنهم لم ينسحبوا عن بعض أقسام العراق التي كانت قد بقيت تحت النفوذ الروماني منذ الحروب السابقة (4).

---

* سيأتي الحديث عنها تفصيلياً لاحقاً.

1- **Ghrishman , Iran from..,p.259.**

2- بعد وفاة الملك الفرثي بلاش الرابع سنة 208م وقعت الحرب بين ولديه اردوان الخامس وبلاش الخامس واخيراً اتفقا على تقسيم الدولة بينهما فاخذ اردوان الخامس الولايات الغربية ما عدا بابل التي اعطيت لاخ اخر لهما، بينما اخذ بلاش الخامس الولايات الشرقية (ابو مغلي، ايران، ص133).

3- ابو مغلي، ايران، ص208؛ الاحمد، تاريخ الرومان، ص224.

4- بيرنيا، تاريخ ايران، ص205.

وهكذا فشل الرومان في السيطرة على العراق وبلاد فارس، على الرغم من محاولاتهم المستمرة وظلت طرق ومنافذ تجارة الحرير خاضعة لسيطرة الفرثيين.

واذا كانت الحرب بين الملك الفرثي اردوان الخامس وبين الامبراطور ماكرينوس اخر حرب بين الدولتين فانها كانت كذلك نهاية لحياة الدولة الفرثية وحكمها في بلاد فارس، صحيح ان حروبها الطويلة مع الرومان كانت من بين اهم العوامل التي قوضت كيانها الا ان هناك عوامل اخرى اضعفت من قواها وحدت من تماسك ملوكها منها طبيعة نظامها الاداري (الفيدرالي) فهي لم تكن موحدة وانما كانت اشبه ما يكون بالاتحاد مكون من مقاطعات او اقاليم مستقلة يعترف حكامها بتبعيتهم لملك الملوك المقيم في طيسفون [1]، وهؤلاء كثيراً ما استغلوا ضعف الاخير وقاموا بثورات استقلالية كان اخرها الثورة التي قام بها امير اقليم فارس (جنوب ايران) اردشير بن بابك سنة 226م تمكن فيها من القضاء على الدولة الفرثية نهائياً، معلنا قيام الدولة الساسانية.

1- الاعظمي، تاريخ الدول، ص36.

الفصل الثاني:

العلاقات الساسانية ـ البيزنطية 226 ـ 337 م

الحروب الساسانية ـ الرومانية (226 ـ 272م)

عدت الدولة الساسانية نفسها وارثة للدولة الاخمينية ومجددة لتقاليدها وامجادها ولذلك سعت منذ قيامها سنة 226م وفي عهد مؤسسها الاول اردشير بن بابك (226 - 272م)(*) الى ان تبتعد عن الطابع اليوناني (الهلينستي) (**) وتعمل على بعث القومية الفارسية من خلال التركيز وتقوية سلطانها وتأكيد الوحدة الوطنية في سياستها الداخلية [1]، والى التوسع لتشمل الشرق الاوسط كله في سياستها الخارجية، فالتمرد الذي قاده اردشير بن بابك وانهى بها الدولة الفرثية سنة 226م لم يكن حدثاً سياسياً فحسب وانما حدثاً له دلالته الخاصة في بلاد فارس تمثل بظهور الوحدة السياسية التي أخذت طابعاً خاصاً ظهرت اثاره بوضوح في الحياة العامة للمجتمع الساساني واستمر حتى نهاية الدولة الساسانية[2]، وهذا الطابع يتحدد بنقطتين

* اعتمدنا في ذكر اسماء الملوك الساسانيين وتحديد سنوات حكمهم ودرجة القرابة بينهم على ما اورده نولدكه، تيودور، في كتابه تاريخ ايرانيان وعربها در زمان ساسانيان، جاب دوم، ترجمة: عباس زرياب، (تهران: بزوهشكاه علوم انساني ومطابعات فرهنكي، 1378هـ)، واضعين هذا الاسم بين قوسين، اما الاسم الذي ذكرناه خارج القوسين فهو الاسم الشائع في اغلبية المصادر.

** الطابع اليوناني الهلينستي: هو طابع يوناني متأثر بالنظم السياسية والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة في الشرق (علي، محاضرات، ص90).

1- ايليف، فارس والعالم القديم، ص53؛ حافظ، فؤاد حسين، تاريخ الشعب الارمني منذ البداية حتى اليوم، (القاهرة: دار نوبار للطباعة، 1986م)، ص53.

2- كرستنسن، ارثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، (القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1957م)، ص84؛ باقر واخرون، تاريخ ايران، ص115.

اساسيتين هما: قيام ادارة مركزية قوية بدلاً من النظام الاقطاعي، والتوحيد الديني باتخاذ الزرادشتية(*) ديانة رسمية[1].

وبعد ان حقق الملك اردشير الاول هدفه في توحيد بلاده سياسياً ودينياً، اخذ يحث الخطى على اعادة امجاد الدولة الاخمينية واستعادة هيبة بلاده التي تضعضعت كثيراً تحت حكم الملوك الفرثيين المتأخرين، ولهذا عبر نهر الفرات باتجاه الغرب اولاً لاستعادة ما استولى عليه الرومان من ارض الامبراطورية في اسيا الصغرى وسوريا، فحاصر نيسيبيس سنة 230م وهدد سوريا وكبدوكيا(Cappedoci)(**)[2]، فارسل اليه الامبراطور الروماني سفيروس الكسندر (Severus Alexander) (222 - 235م) الذي كان مع والدته في انتيوخيا رسالة حاول فيها ان يثنيه عن عزمه ومذكراً اياه فيها بالهزائم التي لحقت بالفرثيين على يد الامبراطور تراجان والامبراطور سبتيميوس

* الديانة الزرادشتية: تنسب هذه الديانة الى زرادشت (628 - 551ق.م)، كانت الديانة الرسمية لبلاد فارس لاكثر من الف سنة قبل الاسلام، وقد عرف اتباعها في العربية وفي القرآن الكريم باسم المجوس نسبة الى اسم كهانها باللغة الفهلوية (مجوش)، وقيل ان زرادشت ولد في مدينة الري (طهران في الوقت الحاضر)، وكان ابوه من اذربيجان وامه من الري، واول ما انتشرت ديانته في مقاطعات بلاد فارس الشرقية في نواحي بلخ اذ هاجر الى هناك فاكرم ملكها وفادته وقبل تعاليمه وكرس جهوده لنشرها وكان ذلك السبب الرئيس في انتشار هذا المذهب حتى عم جميع البلاد. للتفصيل عن زرادشت وتعاليم الديانة الزرادشتية ينظر: (زيهنير. ر. س، المجوسية الزرادشتية الفجر - الغروب، ترجمة: سهيل زكار، (دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م)، ص33 - 66؛ محمدي، محمد، زرادشت واصول الديانة الزرادشتية، مجلة (الدراسات الادبية)، السنة الرابعة، العدد المزدوج 4،3،2، (بيروت: الجامعة اللبنانية، 1962 - 1963م)، ص117 - 136).

1- ايليف، فارس والعالم القديم، ص54 - 55؛

Bausani, Alessandro, The Persians from the earliest days to the twentieth century, Translated from the Italian by: J.B.Donne, England, Weatherbys Printers G.C. Sansoni, Florence (1962), p.49.

** كبدوكيا: اقليم وسط اسيا الصغرى عاصمته قيصرية او قيسارية (غربال، الموسوعة العربية، ج2، ص1412 - 1413).

2- زرين كوب، عبد الحسين، تاريخ مردم ايران (ايران قبل از اسلام كشمكش باقدرتها)، (تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير، 1381هـ)، ص420؛ كرستنسن، ايران، ص84، 130.

سفيروس، جاء فيها " لا تقم بهذا العمل فتصبح سبباً في ثورة اسيا، وستدخل في حرب كبيرة، وليكن معلوماً لديك بان القتال مع الرومان يصبح غير القتال مع القبائل المتوحشة مثل قبيلتك، ومن الضروري ان يخطر على بالك انتصارات تراجان وسبتيميوس سفيروس "[1]، فارسل اليه الملك اردشير الاول رسالة مع وفد يتكون من اربعمئة فارس بكامل قيافتهم الحربية[2]، وعلى الرغم من مبالغة الواضحة في عدد الوفد الا اننا نعتقد انه اراد ان يبين لاعدائه الدرجة التي بلغها الجيش الساساني في عهده من حيث الكثرة والقوة والاعداد والتدريب.

وقد كان رد الملك اردشير في تلك الرسالة: " ان ما يمتلكه الرومان في اسيا هو ارث لي، ويجب على الرومان الاكتفاء باوربا والانسحاب من اسيا وبلاد الشام "[3]، وجوابه هذا لا يعني غير الانذار بالحرب، فاثار ذلك غضب الامبراطور سفيروس الكسندر وامر بالقاء القبض على الرسل واعتبرهم اسرى حرب[4]، وشغل نفسه بعد ذلك بالاستعداد لمحاربة الساسانيين، فحشد في انتيوخيا سنة 231م جيش كبير قسمه الى ثلاثة اقسام، ارسل القسم الاول منه الى الشمال واوكل اليه مهمة مساعدة حليفه ملك ارمينيا الفرثي خسروف الثاني (225 - 250م) في هجومه على اتروباتين (Atropaten) (اذربيجان)[*]، وارسل القسم الثاني الى الجنوب لمهاجمة اقليم فارس،

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص538.
2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص538؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص420؛ مهرابادي، ميترا، تاريخ كامل ايران باستان، (تهران: انتشارات افراسياب، 1380هـ)، ص769.
3- سايكس، المصدر نفسه، ج1، ص538؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص223.
4- سايكس، المصدر نفسه، ج1، ص538.
* اتروباتين (اذربيجان): يجعل الجغرافيون العرب اقليم ارمينيا والران واذربيجان اقليماً واحداً (ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص331؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص180)، وينفرد (ابو الفداء) من بين الجغرافيون بذكر حدود اقليم اذربيجان منفرداً بقوله " يحده من جهة الشرق بلاد الجبل وتمام الحدّ الشرقي بلاد الديلم، ويحده من جهة الجنوب العراق عند ظهر حلوان وشيء من حدود الجزيرة " (تقويم البلدان، ص386)، اما قصبته فهي مدينة تبريز (ابن حوقل، صورة الارض، ص336).

بينما تولى هو بنفسه قيادة الجيش الثالث الذي اراد به غزو العاصمة طيسفون[1]،الا ان هذا التقسيم اضعف موقف الرومان لافتقاره الى التنسيق، فلم يحقق الجيشان الاولان منها نصراً في حين انهزم الثالث امام الملك اردشير لانه ركز كل قواته ضده فاضطر الامبراطور الروماني سفيروس الكسندر الى عقد الصلح معه سنة 232م استمر اربع سنوات انسحب بموجبه من ارمينيا [2].

ومما تجدر الاشارة اليه ان ملك ارمينيا الفرثي خسروف الثاني ويقال انه اخو الملك الفرثي اردوان الخامس [3]، قام بعد مقتل اخيه بتأليف اتحاد لمقاومة الملك اردشير الاول واعادة السلطان الفرثي، ضم ملك كوشان[*] الذي التجأ اليه بعض افراد عائلة الملك اردوان الخامس، وانضم الى هذا الحلف جماعات من قبائل الاسكيثيين وبالطبع عمل الرومان على تقوية ومساعدة هذا التحالف لحماية مصالحهم الشخصية في ارمينيا التي اعتبرت منذ عهد الامبراطور نيرون (54 – 68م) ضمن ممتلكاتهم من جهة ولخشيتهم من تنامي القوة الجديدة التي ظهرت في بلاد فارس من جهة اخرى، ومهما يكن من الامر فان اردشير تمكن في سلسلة من المعارك من انهاء هذا التحالف،اذ انسحب ملك كوشان والاسكيثيون واخيراً الرومان[4]، ولم يبق في الميدان سوى ملك ارمينيا الذي استمر يقاوم اردشير حتى قتله الاخير بمؤامرة دبرها له[5].

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص538 – 539؛ رازي، عبد الله، تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسلة ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، (تهران: شركة الحاج محمد حسين اقبال وشركاه، 1335هـ)، ص56 – 57.

2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص539؛ الاحمد، تاريخ الرومان، ص226.

3- السيد، اديب، ارمينيا في التاريخ العربي، (حلب: المطبعة الحديثة، 1972م)، ص44.

* مملكة كوشان:مملكة هندية ظهرت في القرن الاول الميلادي، مركزها الاقسام الشمالية لشبه القارة الهندية في حدود حوض نهر السند كانت لها صلات تجارية واسعة مع الصين والرومان، وكانت من اقوى المراكز على الحدود الجنوبية للدولة الساسانية، وكانت نهايتها على يد الملك سابور الثاني (310 – 379م) (باقر واخرون، تاريخ ايران، ص116 هامش رقم (1)).

4- Ghirshman,Iran from...,p.291.

5- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص106 – 107؛ السيد، ارمينيا في التاريخ العربي،ص44.

ولم تشر المصادر الى السنة التي قتل فيها الملك الارمني خسروف الثاني الا ان المؤرخ (Ghirshman) [1] ذكر ان اردشير قتله بعد عشر سنوات، وهذا يعني ان مقتله كان سنة 235م، الا ان بعض من المصادر تحدد مدة حكم الملك خسروف الثاني بين سنة (225 - 250م) [2]، وفي هذا ما يحملنا على الاعتقاد ان قتله كان بتدبير من الملك سابور بن اردشير وليس من اردشير نفسه.

ثم ان الملك اردشير عاد ثانية الى محاربة الرومان منتهزاً فرصة انشغالهم بصد هجمات القبائل الجرمانية(*) على بلادهم من جهة وانغماسهم بمشاكلهم الداخلية بسب التنافس بين القواد على منصب الامبراطور بعد مقتل سيفيروس الكسندر سنة 235م من جهة اخرى، فساق جيشه من طيسفون لتنفيذ خطته السابقة في الاستيلاء على سوريا فتمكن سنة 238م من طرد الجيش الروماني من نيسيبيس وكرها في عهد الامبراطور الروماني مكسيمينوس (Maximinus) (235 - 238م) [3]، وكان بامكانه الدخول في سوريا الا انه انصرف الى تنظيم امور البلاد الداخلية تاركاً هذه المهمة لابنه سابور الاول (شابور الاول) (Shahpur I) (241 - 272م) الذي استغل هو الاخر الوضع الداخلي المتردي للامبراطورية الرومانية(**)، فتوغل في عاصمة سوريا انتيوخيا

1- Iran from...,p.291

2- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص107؛ السيد، ارمينيا في التاريخ العربي، ص44.

* القبائل الجرمانية: تسمية اطلقها الرومان على سكان جرمانيا وتعني في ذلك الوقت الاراضي فيما وراء نهر الراين، وقد اخذت تلك القبائل تغزو وتهاجم الامبراطورية الرومانية منذ القرن الثاني قبل الميلاد (طرخان، ابراهيم علي، دولة القوط الغربيين،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1958م)، ص أ).

3- زرين كوب، تاريخ مردم، ص422؛ زرين كوب، روزكاران تاريخ ايران ازا غاز تا سقوط سلطنت بهلوي، (تهران، جابخانة مهارت، 1378هـ)، ص188.

** وصفت سنوات حكم الامبراطور مكسيمينوس بانها سنوات رعب وارهاب لسياسته السيئة، ولا سيما مع الجيش الذي عزله ونصب بدلاً عنه الامبراطور غورديان الاول (Gordian I) (238م) وكان في الثمانين من عمره فاشرك معه ابنه واسمه غورديان ايضاً في الحكم، غير ان حكمهما استمر مدة قصيرة لا تتجاوز الشهرين فنصب مجلس الشيوخ الروماني اثنين من اعضائه هما كلوديوس بوبينوس (Pupienus) وكيليوس بلبينوس (Balpinus) امبراطورين شريكين بيد الاول السلطة المدنية والثاني العسكرية، غير انهما ما لبثا ان قتلا ايضاً فتولى الحكم غورديان الثالث (Gordian III) (238 - 244م) (الاحمد، تاريخ الرومان، ص227 - 228).

سنة 241م، وكان قد تسلم الحكم في روما في تلك الاثناء الامبراطور غوردريان الثالث (Gordian III) (238 – 244م) فجهز جيشه سنة 242م لطرد الساسانيين من انتيوخيا وتحقق له ما اراد في السنة نفسها، ثم عبر نهر دجلة سنة 244م وحاصر طيسفون، وفي اثناء حصاره لها تمرد عليه جنوده وقتلوه[1]، واختاروا قائد حرسه فيليب العربي (Philip the Arabian) (244 – 249م) ليكون خلفاً له، فعقد هذا مع الملك الساساني سابور الاول سنة 244م معاهدة صلح تنازل بموجبها عن حقوق الرومان في ارمينيا، كما التزم بدفع غرامة حربية كبيرة[2]، قدرتها بعض المصادر بـ (500.000) الف دينار[3].

وبعد 14 عام أي سنة 258م تجددت الحرب ثانية مع الرومان [4]، وكان السبب الرئيسي في تجددها مسألة ارمينيا فبعد ان تخلص الملك سابور الاول من ملكها خسروف الثاني سنة 250م على اثر مؤامرة دبرها له، عين ابنه (هرمز الاول) ملكاً عليها[5]، وكان تيرداد الثالث بن خسروف قد فرّ الى الامبراطورية الرومانية [6] ويبدو انه

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص544 – 545؛ زرين كوب، روزكاران، ص193.

2- Ghirshman, Iran from...,p.292;

الحاج حمدان، عبد المجيد، الامبراطور الروماني فيليب العربي Philip The Arabian (ماركوس يوليوس فيليبوس Marcus Julius Philippus)، مجلة (دراسات تاريخية)، العددان 85و86، (دمشق: 2004م)، ص90.

3- زرين كوب، تاريخ مردم، ص193؛ يارشاطر، احسان واخرون، تاريخ ايران از سلوكيان تا فرو باشي دولت ساسانيان، ترجمة: حسن انوشه، جاب سوم، (طهران: مؤسسة انتشارات امير كبير، مطبعة سبهر، 1380هـ)، مج3، ق1، ص226؛ مهر ابادي، تاريخ كامل، ص785؛ الحاج حمدان، الامبراطور الروماني فيليب العربي، ص90.

4- الفردوسي، ابو القاسم محمد (ت411هـ)، الشاهنامة، ترجمة: الفتح علي البنداري، تصحيح وتعليق، عبد الوهاب عزام، (طهران: 1970)، ج2، ص 58؛ ابو مغلي، ايران، ص142.

5- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص226.

6- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص107.

طلب من الامبراطور فاليريان (Valerian)(*) (253 - 260م) مساعدته في المطالبة بعرش ارمينيا وبديهي ان يوافق الامبراطور فاليريان على طلبه، اذ وجد في ذلك فرصة مناسبة لرد الاهانة التي اصابت الرومان من جراء معاهدة سنة 244م، فامتنع عن دفع الغرامة الحربية التي تعهد الامبراطور السابق فيليب العربي بدفعها الى الساسانيين، وهذا يعني انه نقض المعاهدة واستعد للحرب [1]، وبالمقابل اتخذ الملك سابور الاول من ذلك الرفض ومن ايواء الامبراطور فالريان الى تيرداد الثالث سبباً لاعلان الحرب فكتب الى الامبراطور فاليريان: " لقد كذب القيصر مرة اخرى وقد اخطأ فيما يتعلق بارمينيا ولهذا توجهت نحو الامبراطورية الرومانية " [2]. وبدأ الملك سابور الاول سنة 258م بالزحف بجيشه الى شمال سوريا فاستولى على كرها ونيسيبيس ثم انتيوخيا، مما دفع الامبراطور فاليريان الى قيادة جيشه لاستعادة ما تم الاستيلاء عليه وتمكن من ذلك في السنة نفسها[3]، الا ان الطاعون بدد قوى جيشه واعاق دخوله الى ارض الجزيرة الفراتية اكثر مما ينبغي [4]، فاعطى ذلك المجال للملك سابور الاول لاعداد خطة محكمة لمحاصرته وجيشه بالقرب من ادسا سنة 260م فشلت معها مساعيهم في

* فاليريان: يسميه الدينوري (اليريانوس) ويصفه بانه خليفة صاحب الروم (ابو حنيفة احمد بن داود (ت282هـ)، الاخبار الطوال، (مصر: مطبعة عبد الحميد احمد، د. ت)، ص49)، اما (الطبري) فقد ذكر عن الملك سابور الاول « انه حاصر ملكاً كان بالروم يقال له الريانوس بمدينة انطاكيا فاسره « (ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م)، ج1، ص394)، ويسميه الفردويس (برانوس) ويصفه بانه كان قائداً مقرباً عند القياصرة (الشاهنامة، ج2، ص57).

1- زرين كوب، تاريخ مردم، ص429.

2- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص226؛ زرين كوب، المصدر نفسه، ص429.

3- رازي، عبد الله، تاريخ كامل ايران از تاسيس سلسلة ماد تا انقراض قاجارية، (تهران: جاب اقبال، 1363هـ)، ص58؛ العابد، مفيد رائف محمود، معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الاكاسرة 226 - 651م)، (بيروت: دار الفكر المعاصر ودمشق: دار الفكر، 1999م)، ص42.

4- زرين كوب، روزكاران، ص194؛ اوليري، دي لاسي، علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ترجمة: وهيب كامل، مراجعة: زكي علي، (د.م، مكتبة النهضة المصرية، 1962م)، ص18.

ايجاد ثغرة للفرار منها [1]، وبعد معركة عنيفة بين الطرفين وقع الامبراطور فاليريان اسيراً بيد الملك سابور الاول [2].

وتختلف المصادر في تحديد عدد الضباط والجنود الذين اسروا مع امبراطورهم فـ (الفردوسي) [3] يذكر انهم كانوا " الف وستمئة نفس "، وهو رقم مقبول اذ صحت رواية (الطبري) [4] بانـه " اسكنهـم جنديسابـور[*]"،على اعتبار ان هذا رقم قد تستوعبه مدينة، وقيـل ان عددهم كان (60 الفاً) [5]، او (70 الفا) كما يذكر (Ghirshman)[6]، وهو رقم مبالغ فيه، الا انه يدل على ضخامة المعركة والاستعدادات الكبيرة التي قام بها الامبراطور فاليريان لاسترجاع حقوقهم التي فرط بها الامبراطور فيليب العربي، واذا كان الملك سابور الاول كما ذكر (ابن قتيبة) [7] قد فرقهم في ثلاث مدن

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص546؛

Cary,M,A History of Rome down to the reign of Constantine ,Second Edition ,Marcmillan & Co.Ltd ,New York & London (1960) p.724.

2- الطبـري، تاريـخ، ج1، ص394؛ ابـن الاثيـر، عـز الديـن ابـو الحسـن علـي بـن ابـي الكـرم الشـيباني (ت630هـ)، الكامـل فـي التاريـخ، تحقيـق: علـي شـيري، (بيـروت: دار احيـاء التـراث العربـي، 2004م)، ج1، ص249؛ دياكونـوف، تاريـخ ايـران، ص293؛ رسـتم، اسـد، الـروم فـي سياسـتهم، وحضارتهـم، ودينهـم، وثقافتهـم وصلاتهـم بالعـرب، (بيـروت، دار المكشـوف،1955م)، ج1، ص47.

3- الشاهنامة، ج2، ص57.

4- تاريخ، ج1، ص394.

* جنديسابور: من مدن اقيلم خوزستان، (الاصطخري، مسالك الممالك، ص93،89)، ومعنى اسمها (عسكر سابور) (الاصفهاني، حمزة بن الحسن (ت360هـ)، تاريخ سني ملوك الارض والانبياء عليهم الصلاة والسلام، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1912م)، ص39.

5- دياكونوف، تاريخ ايران، ص291؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص429.

6- **Iran from..,p.292.**

7- ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (ايران، مطبعة امير، 1373هـ)، ص654.

(جنديسابور وسابور[*] وتستر[**])، فاننا نعتقد ان هؤلاء المؤرخين قد اصابوا الحقيقة في تقدير عدد الاسرى بين 60 او 70 الفاً.

وقد خلد الملك سابور الاول انتصاره على الامبراطور فاليريان في عدد من النقوش اهمها نقش رستم[***] ونقش مدينة سابور، ففي نقش رستم يظهر الملك سابور ممتطياً جواده ممسكاً بيده اليسرى قبضة سيفه، وباسطاً يده اليمنى نحو الامبراطور فاليريان الذي جثا امامه وقد اثنى ساقه اليمنى واسند اليسرى الى الارض، ومد ذراعيه نحو الملك سابور الاول يلتمس عفوه [1]، اما في نقش مدينة سابور فيرينا فيه الملك سابور ممتطياً جواده وتحت اقدام الجواد شخص ملقي على الارض وامامه الامبراطور فاليريان راكعاً [2].

وتبالغ بعض المصادر في سوء معاملة الملك سابور الاول للامبراطور فاليريان فتذكر، ان الملك سابور الاول اجبره على خدمته وقيده بالسلاسل وكان يتخذ منه مصعداً يضع عليه قدمه عندما يريد ركوب جواده، ولم يكتف سابور بذلك بل انه امر

* سابور: من مدن اقليم فارس، المسافة بينها وبين مدينة شيراز 25 فرسخ، (الاصطخري، مسالك الممالك، ص123،97، 143؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص167)، بناها الملك سابور الاول وسماها (بى شابور) ثم اختصر الاسم فصارت تسمى (سابور) (الاصفهاني، تاريخ سني)، ص39).

** تستر: او ششتر، من اهم مدن اقليم خوزستان بينها وبين جنديسابور ثمانية فراسخ (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص122)، ومعنى (تستر) النزه الحسن والطيب اللطيف (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص29).

*** نقش رستم: هي رسومات حفرت في الواجهات الصخرية للجبل الذي يسمى في الوقت الحاضر (حسين كوه) وموقعه الى الغرب من مدينة اصطخر بمسافة 3 كم (الاحمد والهاشمي، تاريخ الشرق الادنى، ص117).

1- Ghirshman,Roman,Iran Parthian and Sassanians, France(1962),pp.160 - 161; Bausani, The Persians,p.75.

2- ينظر شكل رقم (1)

Ghirshman ,Iran Parthian ,P.159;

نفيسي، سعيد، تاريخ تمدن ايران ساساني، (ايران: انتشارات جامعة طهران،1331هـ)، ص215. ينظر: شكل رقم (2)

بعد ان مات فاليريان بسلخ جلده وحشوه بالقش واحتفظ به في احد المعابد الزرادشتية كرمز للنصر [1]، وينكر (الفردوسي)[2] سوء المعاملة تلك ويذكر ان الامبراطور فاليريان ظل اسير حرب وان الملك سابور الاول كان يصطحبه معه ويستشيره في بعض اموره، وطلب منه مقابل اطلاق سراحه ان يقوم وجنوده ببناء جسر وسد كبير[*] على نهر الكارون[**] في مدينة تستر، وبعد ان اكمل بناء هذا السد الذي عرف بـ (بند قيصر) أي سد الامبراطور[3]، عاد الى بلاده [4]، والثابت انه مات في اسره سنة 267م [5].

وامعاناً في اذلال الرومان تدخل الملك سابور الاول في شؤونهم الداخلية اذ عين للعرش الروماني خلفاً لفاليريان شخصاً موالياً له من اهل انتيوخيا يسمى سرياديس (Cyriadis) ومنحه لقب الامبراطور، واجبر فاليريان وجنوده الاسرى على التصديق على هذا التعيين بالسجود للامبراطور الجديد، ومقابل هذا التكريم اظهر سرياديس استعداده لان يكون تابعاً ودليلاً للملك سابور الاول[6]، فقاده عبر الفرات الى انتيوخيا وبعد ان استولى عليها سابور بسهولة توجه نحو كيليكيا فاستولى على مدينة طرسوس[***] ثم توغل في اواسط اسيا الصغرى (كبدوكيا) واستولى على

1- جيبون، اضمحلال،ج1،ص252؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص547؛ لويد،الرافدان،ص162.

2- الشاهنامه، ج2، ص57 – 58؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص214 – 215.

* كان الغرض من بناء هذا السد تحويل مياه نهر الكارون الى المزارع التي ترتفع عنها، وقد وصف (سايكس) بناء هذا السد بعد ان شاهد خرائبه بنفسه (ينظر: تاريخ ايران، ج1، ص550 – 551).

** نهر الكارون: يسميه العرب دجيل الاحواز لمروره بمدينة الاحواز (خوزستان)، تميزاً له عن دجيل دجلة في اعلى بغداد (لسترنج، بلدان الخلافة، ص267).

3- نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص61 هامش رقم (2)؛ دياكونوف، تاريخ ايران، ص293؛كرستنسن، ايران، ص210.

4- الطبري، تاريخ، ج1، ص394؛ الفردوسي، الشاهنامه، ج2، ص58.

5- اوليري، علوم اليونان، ص18؛ Bausani, The Persians,p.57.

6- جيبون، اضمحلال، ج1، ص250؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص429؛ مكاريوس، شاهين، تاريخ ايران، (مصر: مطبعة المقتطف، 1898م)، ص68.

*** طرسوس: مدينة بثغور الشام بين انطاكيا وحلب وبلاد الروم بينها وبين اذنة ستة فراسخ، يشقها نهر البردان، وبها قبر الخليفة العباسي المأمون (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص883)

عاصمتها قيصرية[1]،عاد بعدها الى بلاده محملًا بالغنائم الوفيرة من خزائن الممتلكات الرومانية[2].

وبالتاكيد ان هذه الانتصارات زادت غرور الملك سابور الاول واعجابه بنفسه فاتخذ في نقوشه لقب (شاهنشاه ايران وانيران) أي ملك ايران وغير ايران [3] وهو لقب يدل على غروره وطموحه في التوسع والسيطرة ويعني انه ملك العالم جميعاً.

وقد قدر للانتصار السياسي والعسكري الذي احرزه الشرق في عهد الملك سابور الاول ان يصبح نصراً ثقافياً للمدنية الفارسية، فالاسرى الرومان كانوا على شيء من العلم والمهارة الفنية وكان الملك سابور الاول يعرف فضل هؤلاء في هذه الامور ولذلك اسكنهم في ثلاث مدن وسمح لهم بان يعيشوا وفقاً لقوانينهم ويتكلموا لغتهم الخاصة ويمارسوا عباداتهم وطقوسهم الدينية بحرية تامة، ففائدة الساسانيين من هؤلاء لم تقتصر على بناء السد فحسب بل افادوا منهم كثيراً في الجوانب الفنية والمعمارية ايضاً، فقد كان من بين الاسرى العديد من المعماريين والمهندسين والصناع والمهرة الذين استعملوا على نطاق واسع في انشاء الطرق والجسور التي ظهر اثرها في ثراء مدينة خوزستان (الاحواز) [*][4]، وافادوا منهم في الجوانب العلمية ايضاً ولا سيما في مجال الطب الذي اشتهرت به مدينة جنديسابور بشكل خاص، ويؤكد (المقدسي) [5]

1- جيبون، اضمحلال، ج1، ص250 – 251؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص548.
2- لويد، الرافدان، ص162.
3- Ghirshman,Iran Parthians,P.162؛ واكيم، سليم، ايران والعرب العلاقات العربية – الايرانية عبر التاريخ، (بيروت: 1967م)، ص52؛ كرستنسن، ايران، ص210.
* خوزستان (الاحواز): وتسمى عربستان ايضاً، تقع بين البصرة واقليم فارس (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص311).
4- يار شاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص232.
5- المطهر بن طاهر (ت بعد سنة 355هـ)، البدء والتاريخ، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ج3، ص157.

التقـدم العلمي الذي اصاب المدن الساسـانية التي سـكنها الاسـرى الرومـان بقوله " ثم كثر علم الطب والاطباء في هذه المدن ".

وكان للتسامح الذي اظهره الملك سابور حيال هؤلاء في ممارسة عباداتهم وطقوسهم الدينية الخاصة اثره الكبير في نشر الديانة المسيحية في المناطق الشرقية التابعة للساسانيين، فقد سمح لهم الملك سابور الاول ببناء الكنائـس وصيانتهـا فـي الوقت الذي كانت فيه المسيحية معرضة للاضطهاد(*) من الاباطرة الرومان انفسهم، فشيدوا في مدينة سابور كنيستان، مارسوا شعائرهم الدينية في احداهما باللغة اليونانية والاخرى باللغة السريانية [1].

وهذا يعني ان الملوك الساسانيين الاوائل اظهروا تسامحاً واحتراماً للشعوب الاجنبية ومعتقداتها.

---

* لقد وقفت الامبراطورية الرومانية من المسيحية والمسيحيين موقفاً معارضاً لتحديهما المعلن للنظم الرومانية القائمة على اساس الزام رعاياها بتاليه الامبراطور فاخذت تجاهر برسالة السيد المسيح القائلة (لا تعبد غير الرب الهك) ولم يكتف المسيحيون بذلك بل تجاوزوا على الهة الدولة المقدسة (جوبيتر، ومارس، ويونو ومنيرفا) ووصفوها بانها (شر ذمة من الابالسة) (عبيد، اسحق، الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله، تقديم: الاب جورج شحاتة قنواتي، (مصر: دار المعارف، 1971م)، ص28) ولذلك كان من الطبيعي ان يتحول موقف الاباطرة الرومان ازاء هذا التشدد من سياسة المهادنة الى سياسة الاضطهاد التي لم تقتصر على الاباطرة المتطرفين امثال نيرون (54 – 68م) وهو اول من اتبع هذه السياسة، ودوميتيان (81 – 96م) وتراجان (98 – 117م) وغيرهم (للتفصيل عن ذلك ينظر: جيبون، اضمحلال، ج1، ص423 – 440)، بل شملت كذلك اباطرة مصلحين ومنهم دقلديانوس الذي عرف بسفاح المسيحيين، فقد نص مرسومه الذي اصدره سنة 303م على تهديم كنائسهم وحرق كتبهم وحبس قساوستهم وطردهم من الوظائف الحكومية، وامر بتطبيق كافة انواع العقوبات بحقهم (هادريل، ج. م. والاس، اوربا في صدر العصور الوسطى، ترجمة: حياة ناصر الحجي، (الكويت: 1979م)، ص11 – 12؛ عبيد، المصدر نفسه، ص51).

1- ابونا، الاب البير، تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيء الاسلام، (الموصل: المطبعة العصرية، 1973م)، ج1، ص27 – 28؛ اوليري، علوم اليونان، ص20.

مدن القوافل التجارية الساسانية والرومانية واثرها السياسي

من المدن المهمة التي نشأت على التخوم الفاصلة بين الامبراطوريتين الساسانية والرومانية مستغلة النزاع السياسي الدائر بينهما، وكان لها شأن في توجيه ذلك الصراع بصفتها دول حاجزة مدينتي الحضر وتدمر.

- الحضر:

تعرف بلاد الحضر باسم (عربايا) أي بلاد العرب[1]، وتقع في بريَّة (صحراء) بازاء تكريت [2]، وبالتحديد بين تكريت والموصل من جهة والفرات من جهة اخرى على بعد 3 كم من الضفة الغربية لوادي الثرثار [3]، يعتقد ان زمن تاسيسها يعود الى القرن الاول قبل الميلاد، ولكنها نمت وازدهرت في عهد الدولة الفرثية[4]، فكان ملكها احد ملوك الطوائف التابعين اسمياً لملك الملوك الفرثي، بل قيل انه كان مقدماً على سائر ملوك الطوائف [5]، ولا شك ان هذا التكريم كان مقروناً باهمية البلاد التجارية من جهة، اذ كانت تسيطر على طرق القوافل التجارية الناقلة للبضائع بين الشرق والغرب، والى اهميتها العسكرية في الدفاع عن الامبراطورية الفرثية من جهة ثانية، ولاسيما بعد

1- سفر، فؤاد، ومصطفى، محمد علي، الحضر مدينة الشمس، (بغداد: مؤسسة رمزي للطباعة، 1974م)، ص17.

2- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص85.

3- باقر وسفر، المرشد، الرحلة الثالثة، ص31.

4- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار العلم للملايين، 1969م)،ج2، ص612.

5- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت774هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م)، ج1، ص55.

استيلاء الرومان على سوريا سنة 64ق.م وامتداد نفوذهم الى مصر زمن الامبراطور انطونيوس(40 – 36ق.م) اذ ترتب على ذلك التوسع زوال اهمية دولة ارمينيا وبروز اهمية مملكة حدياب التي كانت الحضر تابعة لها [1].

وعندما تولى الامبراطور تراجان (98 – 117م) عرش الامبراطورية الرومانية واخذ يعد العدة للاستيلاء على عاصمة الدولة الفرثية طيسفون وبقية مدن بلاد بابل تبلورت فكرة تحصين الحضر للدفاع عن العاصمة واتخاذها قاعدة عسكرية تجند فيها القبائل العربية للقتال في صف الجيش الفرثي [2]، وقد مكنها ذلك التحصين الى جانب شجاعة اهلها بقيادة زعيمهم نصرو مريا (Nsru Marya)[*] (114 – 138م) من الصمود امام الحصار الذي فرضه عليها الامبراطور الروماني تراجان سنة 117م وبعد ان باءت مساعيه لاقتحام اسوارها بالفشل تخلى عنها منسحباً الى سوريا [3].

وامتنعت الحضر ثانية على الامبراطور الروماني سبتيميوس سفيروس (193 – 211م) فبعد تخريبه طيسفون سنة 198م عاد الى سوريا، غير انه في طريق عودته توقف عند الحضر وضرب حصاره عليها في السنة نفسها انتقاماً منها لوقوفها الى جانب خصمه ومنافسه على العرش الروماني حاكم سوريا نايجر (Nigger) الا انه فشل وانسحب الى نيسيبيس [4]، ثم جدد المحاولة في بداية سنة 199م وحاصرها عشرين يوماً وتمكن وجنوده من فتح ثغرة في سور المدينة الخارجي، غير ان الحضريين تمكنوا من سد

1- سفر ومصطفى، الحضر، ص11و 26.

2- سفر ومصطفى، الحضر، ص29.

* مريا: لقب مريا يعني (السيد) وهو اللقب الذي كان يطلق على الاشخاص الذين تولوا الزعامة في الحضر حتى عهد (ولجش) (158 – 165م) فهو اول من اتخذ لقب الملك (سفر ومصطفى، الحضر، ص27، 31).

3- **Al - Salihi,Wathiq, I, The Sieges of Hatra, (Sumer), p.110;**
وقد خلد الحضريون انتصارهم هذا بان وضعوا في المعبد الكبير تمثالاً لرأس تراجان امام اقدام الهتهم للسخرية منه وللتشهير بفشله (ياسين، نجمان، الحضر مملكة العرب المنتصرين، مجلة (افاق عربية)، العددان 1و2، السنة الرابعة والعشرون، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2002م)، ص44).

4- **Al - Salihi, The Sieges of Hatra,p.110; Ghirshman,Iran from...,p.259.**

تلك الثغرة وقاوموا مقاومة عنيفة اضطر معها الامبراطور سفيروس الى رفع الحصار عن المدينة والرجوع عنها [1]، وقد كان لهذا الانتصار اثره في زيادة قوة الحضريين واصرارهم في المحافظة على استقلال مدينتهم ومقاومة أي محاولة لاخضاعها فصاروا يسمون انفسهم بـ(دي عرب زكيا) أي (العرب المنتصرين) [2]، ولقب ملكهم عبد سميا (Abd Smya) (190 - 200م) بـ(ملكا دي عرب) أي (ملك العرب) [3].

واذا كان الرومان قد ابدوا تساهلاً في اخضاع الحضر لانها بحكم موقعها بعيدة عن مراكز نفوذهم فان هذا الموقف تغير بقيام الدولة الساسانية، اذ وجد فيها الملك الساساني اردشير بن بابك عائقاً امام تقدمه في اقليم الجزيرة الفراتية ومراكز النفوذ الروماني في سوريا لذلك بادر الى مهاجمتها سنة 232م في عهد ملكها سنطروق الثاني (Sanatreg II) (200 - 241م) [4] على الرغم من ان المصادر لا تتحدث عن تفاصيل ذلك الهجوم الا ان اتخاذ الملك سنطروق لقب (المظفر ملك البلاد العربية) [5]، يدل على انه تمكن من التصدي الى الملك اردشير وتغلب عليه.

والظاهر ان نفوذ الحضر بعد هذا الانتصار امتد شمالاً حتى نهر الخابور[*]، وان اهلها شرعوا في زيادة تحصينها[**]، اكد ذلك شعراء العرب قبل الاسلام ومنهم الشاعر عدي بن زيد العبادي اذ يقول:

1- الاحمد، تاريخ الرومان، ص220؛ سفر ومصطفى، الحضر، ص32.

2- ياسين، الحضر مملكة العرب، ص45.

3- سفر ومصطفى، الحضر، ص32.

4- علي، المفصل، ج2، ص615.

5- سفر ومصطفى، الحضر، ص32.

* الخابور: يسميه الرومان (ابوراس) (Aboras) مخرجه من راس العين ويستمدُ ماءه من نهر الهرماس ويصب في نهر الفرات بقرقيسيا (ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (ت 290هـ)، الاعلاق النفيسة، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1988م)، ص89؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص150)، ونهر الهرماس مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ (لسترنج، بلدان الخلافة، ص127).

** وصف ابن الفقيه الهمداني تحصينات مدينة الحضر بقوله: " كان فيها ستون برجاً كبار، وبين البرج والاخر تسعة ابراج صغار،...، وكان على الحضر باب يغلقه رجل ولا يفتحه الا خلق كثير " (ابو بكر احمد بن محمد (ت365هـ)، مختصر كتاب البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1988م)، ص124.

وأخُو الحضْر إذ بناهُ وإذْ دجْـ   لَـةُ تُـجـبْـى الـيـه والـخـابـورُ
شـادَهُ مـرَمْـراً وَخَـلَّـلَـهُ كِلْسـ   ـاً فللطَّيرِ في ذُراهُ وكُـورُ[1]

ومع ان الحضريين حرصوا على ان تكون بلادهم مستقلة استقلالاً تاماً عن أي تدخل اجنبي الا ان ادراكهم للخطر المحدق بهم من جانب الساسانيين دفعهم الى التحالف مع الرومان الذين كانوا قريبين منهم في منطقة سنكارا كان من نتيجته اقامة حامية رومانية فيها، يؤكد ذلك الكتابات الثلاثة التي عثرت عليها في المعبد التاسع دائرة الاثار العراقية في اثناء اعملها التنقيبية التي اجرتها في مدينة الحضر سنة 1951م، احد هذه الكتابات يعود تاريخها الى سنة 235م او قبل ذلك بقليل أي زمن الامبراطور الروماني سفيروس الكسندر (222 – 235م)، والكتابتان الاخيرتان يعود تاريخهما الى عهد الامبراطور غورديان الثالث (238 – 244م) [2].

ومع ان وجود هذه الكتابات يدل على وجود علاقات حضرية – رومانية قامت سنة 235م او قبل ذلك بقليل واستمرت حتى سقوط الاولى، الا اننا لم نجد ذكراً في المصادر عن تقديم الرومان لاي تعاون ومساعدة للحضر في محنتها التي أدت الى نهايتها وفيما يتعلق بتلك المحنة فان روايات المصادر تختلف فيما بينها في تحديد اسم الملك الساساني الذي كانت نهايتها على يده، فـ (ابن قتيبة) [3] ينسب ذلك الى الملك اردشير بن بابك، اما (ابن الفقيه الهمداني)[4]

1- عدي بن زيد بن ايوب العبادي، ديوانه، تحقيق وجمع: محمد جبار المعيبد، (بغداد: دار الجمهورية للنشر والطباعة، 1965م)، ص88.
2- سفر ومصطفى، الحضر، ص32؛ سفر، فؤاد، ثبت بسادة الحضر وملوكها، مجلة (سومر)، ج1و2، مج28، (بغداد: مديرية الاثار العامة، 1972م)، ص15.
3- المعارف، ص653.
4- مختصر كتاب البلدان، ص185.

فلـه فـي ذلـك روايتيـن متناقضتيـن، فنجده فـي الاولى يؤيـد (ابـن قتيبـة)، الا انه في الروايـة الثانيـة [1]، يسـاير بعـض المؤرخيـن الذيـن نسـبوا تلـك النهايـة الـى الملـك سـابور ذي الاكتـاف (309 - 379م) [2]، امـا الطبـري[3] والثعالبـي [4]ويتبعهمـا ياقوت الحمـوي[5] وابـن خلـدون[6] فيحـددون ذلك السـقوط في عهـد الملك سـابور الاول وهو الراي الراجح ذلك ان المـؤرخ الرومانـي اميانوس مرسـيلينوس (Ammianus Marceilinus) [7] وكان مرافقـاً للامبراطـور البيزنطي جوليان (Julian) (361 - 363م) فـي حملتـه علـى العراق في القـرن الرابـع الميلادي قد شـرح تفاصيل تلـك الحملة، فلمـا وصلـوا الـى الحضـر وصفهـا قائـلاً: " وهـي مدينـة عتيقـة واقعـة فـي وسـط صحـراء، لقـد خربـت منذ امـد بعيد "، ويفـوق ذلك اهميـة وثيقة اكتشـفت حديثاً في مصـر معاصرة للاحـداث ذكر فيها ان الملك الساسـاني سـابور الاول حاصر الحضر

1- مختصر كتاب البلدان، ص124.
2- الاصمعي، عبد الملك بن قريب (ت216هـ)، نهاية الارب في اخبار الفرس والعرب، مخطوط مصور عن نسخة المتحف البريطاني محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت الرقم 63/ تاريخ، ورقة رقم 234 - 235؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص51؛ الاصفهاني، علي بن الحسن بن محمد القرشي (ت356هـ)، الاغاني، تحقيق: سمير جابر، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج2، ص134؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص64 - 65؛ الابشيهي، ابو الفتح شهاب الدين محمد بن احمد (ت850هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، ط2، تحقيق: مفيد محمد قميحة، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م)، ج1، ص450.
3- تاريخ، ج1، ص395 - 396.
4- حسين بن محمد المرغني (ت429هـ)، غرر السير المعروف بـ (غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم)، ترجمة: هـ. زوتبرغ، (باريس: المطبعة الوطنية، 1950م)، ص489.
5- معجم البلدان، ج2، ص268.
6- عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1971م)، ج2، ص170.
7- العراق في القرن الرابع للميلاد، ترجمة: فؤاد جميل، مراجعة: سالم الالوسي، (بغداد: الموسوعة الصغيرة (413)، دار الشؤون الثقافية العامة، 1998م)، ص84.

سنة كاملة من 12 نيسان 240م الى 1 نيسان 241م [1]، والراجح ان ذلك تم والملك اردشير بن بابك لا يزال على قيد الحياة، وعليه فان اساس الخلط في الروايات بين الملك سابور الاول والثاني يعود الى تشابه الاسماء وهذا ما اكده (ياقوت الحموي)[2] بقوله "... وانما ذكرت هذا لان بعضهم يغلط ويروي انه ذو الاكتاف".

وعلى وفق ما كشفت عنه الاعمال التنقيبية في الاثار الكتابية التي عثر عليها في اثار الحضر، فان اخر ملوكها هو سنطروق الثاني (200 - 241م) الذي حرف الى (الساطرون) عند الاخباريين وفيه يقول الشاعر عدي بن زيد العبادي:

وَأَرَى الْمَوتَ قَدْ تَدَلّى مِنْ الحَضْـ ـر على رَبِّ أهله السَّاطرون[3]

اما الضيزن (Dhaizan) الذي عزا المؤرخون العرب سقوط الحضر الى خيانة ابنته (النضيرة) فاصله كما يذكر (الطبري) [4] في رواية رفعها الى (ابن الكلبي) من قبيلة قضاعة(*) التي استغلت ضعف الدولة الفرثية ومدت سلطانها على القبائل العربية في ارض الجزيرة الفراتية الى حدود بلاد الشام، وقد استغل غياب الملك سابور الاول في خراسان فاغار على منطقة شهرزور(**) التي كانت ضمن ممتلكات الدولة الساسانية،

1- نقلاً عن: سفر ومصطفى، الحضر، ص34؛
Al - Talibi, Ahlam, Hatra: Une Ville Au passe Prstigieux (Memoire de D.E.A'' langues, histoire et civilisations des mondes anciens, des origines a'la fine du moyen - Age", Annee Universitaire, France (1986 - 1987), p.74.

2- معجم البلدان، ج2، ص268.

3- ديوانه، ص205.

4- تاريخ، ج1، ص395.

* قال في نسبه هو (الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الاجرم بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وان امه من تزيد بن حلوان اسمها جيهلة، وانه انما كان يعرف بامه (تاريخ، ج1، ص395).

** شهرزور: مدينة من مدن بلاد الجبل، تقع بين اربل وهمدان، بينها وبين حلوان اثنا وعشرون فرسخاً (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص146؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص375) ويطلق اسم شهرزور في الوقت الحاضر على القسم الجنوبي الشرقي لوادي (تانجه رو) بمدينة السليمانية (وهبي، توفيق، اصل تسمية شهرزور، مجلة (سومر)، ج1و2، مج17، (بغداد: 1961م)، ص129).

وتمكن من تأسير الاميرة (ماه) اخت سابور [1]، وقد وردت اشارة الى تلك الواقعة في شعر عمرو بن سليح القضاعي وهو من شعراء العرب قبل الاسلام بقوله:

لَقِيْنَاهُمْ بِجَمْع مِـنْ عِـلاف   وَبالخْيلِ الـصَّـلادمـةِ الذُّكور
فَــلاقَــتْ فَــارسٌ مِـنـا نـكَـالاً   وقَـتَـلْـنَـا هَـرَابِـذَ شـهـرْزور [2]

وما ان علم الملك سابور الاول بذلك بعد عودته من خراسان حتى جهز جيشه وتوجه به نحوه فهرب الضيزن من وجهه محتمياً باسوار الحضر[3]، برضى ملكها سنطروق الثاني او بالتحالف معه، ويرجح ان ذلك كان بعد سنة 238م[4]، أي قبل هجوم الملك الساساني سابور الاول على الحضر، ومن المؤكد ان الضيزن شارك ملك الحضر سنطروق الثاني في الدفاع عن المدينة ولهذا اختلط الامر على المؤرخين العرب ومنهم (الطبري) [5] فذكر ان ملك الحضر الساطرون وانه الضيزن نفسه.

وقد استمر حصار الملك سابور الاول للحضر شهر [6]، واربع سنوات على وفق ما رواه (الطبري) [7] عن (ابن هشام الكلبي)، وسنتين على ما جاء في شعر الشاعر الاعشى الكبير:

الــمْ تَــر لــلـحَـضْـر إذ أهْـلَـهُ   بنعَمى وهَــلْ خالدٌ مَــنْ نَعمْ
اقـــامَ بـــه شـــاهـبُـــورُ الـجُـنُـو   دَ حَولَيْنِ تَضرْبْ فيه القدمْ [8]

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص395؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص268؛ الابشيهي، المستطرف، ج1، ص450.
2- الاصفهاني، الاغاني، ج2، ص134.
3- الطبري، تاريخ، ج1، ص395؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص268؛ الابشيهي، المستطرف، ج1، ص450.
4- سفر ومصطفى، الحضر، ص35.
5- تاريخ، ج1، ص395.
6- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 235.
7- تاريخ، ج1، ص395.
8- ميمون بن قيس، الديوان، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، (مكتبة الاداب: المطبعة النموذجية، د. ت)، ص43.

والثابت ان حصار الملك سابور الاول الى الحضر استمر سنة واحدة من 12 نيسان الى 240م الى 1 نيسان 241م بحسب ما ذكرته الوثيقة التي عثر عليها علماء الاثار حديثاً في مصر [1].

ومهما يكن الامر فان طول مدة الحصار يدل على مناعة تحصينات المدينة وشجاعة اهلها في الدفاع عنها، ويبدو ان الملك سابور الاول استعمل الى جانب حصاره للمدينة وسائل لهدم السور المحيط بحصنها يتضح ذلك من قول الشاعر عمرو بن سليح القضاعي:

وَمَصْرَعُ ضَيزنِ وَبَني ابيهِ — وَأَحْلاس الكَتائب مِنْ تزيد

اتاهُمْ بالفيُول مْجللات — وبالأبطال سَابورٌ الجُنُودِ

فَهَدَّمَ مِنْ أواسي الحِصْنِ صَخْراً — كان ثقاله زُبر الحديدِ [2]

واخيراً اضطرت المدينة الى الاستسلام بعد ان فقدت قدرتها على الصمود بسبب نفاذ مؤنتها، فدخلها الملك سابور الاول واسر ابنائها واستولى على ثرواتها، وتدل التنقيبات ان ابنيتها تركت قائمة وتماثيلها سالمة في اماكنها دون ان يصيبها تخريب او تشويه متعمد [3].

وعلى الرغم من اتفاق المؤرخين العرب على ان سقوط المدينة كان بسبب خيانة النضيرة ابنة الضيزن الا انهم اختلفوا في الوسيلة التي استعملتها النضيرة في مساعدة الملك سابور الاول على دخولها، فقيل انها عندما رأت سابور الاول اغرمت به فارسلت اليه تخبره باستعدادها لتسهيل عملية دخوله المدينة شريطة ان يتزوجها فقبل الملك سابور الاول، فكتبت اليه تدله على باب صغير للمدينة مردوم باللبن، فهاجمه سابور وجنوده وتمكنوا من دخول المدينة والاستيلاء عليها بعد ان قتل

1- سفر ومصطفى، الحضر، ص34؛ Al - Talibi, Hatra,p.74.
2- الاصفهاني، الاغاني، ج2، ص135.
3- سفر ومصطفى، الحضر، ص34.

الضيزن وحراسه الذين اثقلتهم النضيرة بالخمر [1]، وقيل ان النضيرة خانت اباها عندما افشت لسابور سر الطلسم الذي توقف عليه هدم سور المدينة، وانه بعد ان تمكن من ذلك وفي بوعده لها فتزوجها الا انه ما لبث ان قتلها لانه لم يأمن جانبها بعد ان خانت ابيها [2]، وقيل ان خيانة النضيرة لابيها كانت في اعطاء سابور معلومات عن مصدر ماء المدينة الذي يقع خارج اسوارها، فلما قطع الملك سابور الماء عنها اضطرت الى الاستسلام،فدخلها سابور وقتل الضيزن [3].

ويبدو ان ما اورده المؤرخون كانت قصة اسطورية ربما قصدوا برواياتهم لها تأكيد شجاعة وقوة اهل الحضر ومدينتهم بحيث كانت الخيانة السبيل الوحيد لسقوطها وهذا ما اكده علماء الاثار الذين قراءوا كتابات الحضر فلم يجدوا اشارة الى اسم النضيرة واسم ابيها الضيزن ولم يجدوا دليل يثبت انهما كانا شخصيتان تاريخيتان [4].

ـ تدمـــر

واحة تقع في الاطراف الشمالية لبادية الشام[5]، الى الشرق من مدينة حمص[6]، بينها وبين مدينة دمشق خمسة ايام[7]، أي انها تقع تقريباً في منتصف المسافة بين الفرات

1- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 234 - 235 ويسمي النضيرة بـ (مليكة)؛ الثعالبي، غرر السير، ص490 - 491؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص171.

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص395 - 396؛ الاصفهاني، الاغاني، ج2، ص134؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص58 - 59.

3- المقدسي، البدء والتاريخ، ج3، ص157.

4- سفر، ثبت بسادة الحضر، ص16؛

Al - Salihi, The Sieges of Hatra,p.112

5- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص17.

6- ابو الفداء، تقويم البلدان، ص89.

7- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص17.

من جهة وبين دمشق وحمص من جهة اخرى [1]، وهي رأس المثلث الوهمي المتساوي الاضلاع، يمثل ضلعه الشرقي حدود العراق، وضلعه الغربي مشارف بلاد الشام، اما قاعدته الجنوبية فتمثل شمالي شبه الجزيرة العربية [2].

ولهذا الموقع اهميته الكبيرة في حياة تدمر، اذ جعل منها محطة للقوافل التجارية (ترانزيت) تلتقي وتتبادل فيها البضائع القادمة من الشرق والغرب [3]، ونقطة تنطلق منها التجارة العربية الجنوبية الى الشمال [4]، ولذلك وصفت بانها مدينة قوافل (Caravan City)[5]. هذا النشاط التجاري عاد على تدمر بالخير العميم اذ جعل منها مدينة غنية وانعكس ذلك في تقدمها العمراني والفني والاجتماعي[6]، فاصبحت العاصمة المالية للشرق القديم انذاك[7].

ولم يكن حال تدمر باحسن حال من سبقتها من المدن ذات المال والثراء في توجه انظار الطامعين نحوها، ولا سيما انها لا تمتلك جيشاً قوياً ولا مجال حيوياً لتكوين هذا الجيش لذا طمع فيها الطامعون، واول الطامعين الاقوياء الذين

1- الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1994م)، ص167.
2- ابن المغيرة، عبد الله، تاريخ العرب القديم، مخطوط محفوظ في المركز الوطني للمخطوطات، تحت الرقم 24030، رقم الفلم 1988، ورقة 146؛ باشميل، محمد احمد، العرب في الشام قبل الاسلام (دراسة وتحليل لتاريخ خمس اجيال عربية حكمت واستوطنت الشام لمدة اكثر من عشرة الاف سنة قبل الاسلام)، (المملكة العربية السعودية: دار الفكر، 1973م)، ص41.
3- علي، المفصل، ج3، ص81.
4- الخالدي، شذى احمد عيسى، تدمر ابان القرنيين الثاني والثالث الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة البصرة: كلية الاداب، 2001م)، ص2.
5- البني، عدنان، تدمر والتدمريون،(دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1978م)، ص104.
6- زهدي، بشير، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، مجلة (الحوليات الاثرية السورية)، مج42، (دمشق: 1996م)، ص139.
7- Robinson, David, Baalbek Palmyra,The Johns Hopkins University, Publisher, New York (N.D), p.57.

تمكنوا من الاستيلاء عليها الملك الاشوري (تجلاتبليزر الاول) (Tiglat Pileser I) (1117 - 1080ق.م)، ثم صارت تدمر ضمن جملة المدن التي اخضعها الاسكندر المقدوني (336 - 323ق.م) لحكمه ثم من حصة السلوقيين اذ بنى فيها احد القادة السلوقيين حصناً ليقيم فيه الجنود المقدونيين المنضمين الى قيادته وذلك نحو سنة280 ق.م [1].

ويظهر ان التدمريين افادوا من السلوقيين الذين نجحوا في توحيد العراق وسوريا وشجعوا طريق التجارة الدولي الذي يمر بالعراق وتدمر لمنافسة البطالمة الذين كانوا يريدون ان تمر التجارة الهندية عن طريق البحر الاحمر ومصر [2]، ولهذا وقفوا الى جانب السلوقيين في حروبهم مع البطالمة يؤيد ذلك المؤرخ بوليبيوس (Polybius)[*] [3] الذي ذكر: " انه في معركة رافيا عام 217م التي جرت بين السلوقيين والبطالمة كان الى جانب الملك السلوقي انطيوخوس الثالث (223 - 187م) شيخ عربي يدعى (زبدي بل) وتحت امرته عشرة الاف رجل " وحيث ان هذا الاسم لا يوجد الا في تدمر، فمن المحتمل جداً ان يكون هذا القائد تدمرياً [4].

وعندما انهى الامبراطور الروماني بومبي (70 - 55ق.م) الحكم السلوقي في سوريا سنة 64ق.م وجعل من الاخيرة ولاية رومانية كانت تدمر تدير امورها بصفتها

1- علي، المفصل، ج3، ص85.

2- العلي، صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بغداد:مطبعة العاني، 1960م)، ص47.

* بوليبيوس: مؤرخ عاش بين 200 ق.م و117ق.م، يعد تاريخه المكتوب باليونانية ادق مصدر عن تاريخ الجمهورية الرومانية منذ اوائل الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني ق.م، ويمتاز بتحليله التاريخ تحليلا علمياً يدل على نظرته الواقعية وخبرته العسكرية ومعرفته بالجغرافية واعتقاده بوحدة التاريخ (علي، عبد اللطيف احمد، روما (تاريخ الجمهورية والامبراطورية الرومانية)، (القاهرة: مكتبة النهضة، د.ت)، ج1، ص36 هامش رقم (1)).

3- نقلاً عن: البني، تدمر والتدمريون، ص68.

4- البني، المصدر نفسه، ص68.

امارة مستقلة [1]، ومنطقة محايدة بين الإمبراطوريتين المتصارعتين في المنطقة الفرثية والرومانية [2].

ويبدو ان طمع الرومان في ثروة اهل تدمر وعدم اطمئنانهم لمحاولة اهلها في الحفاظ على استقلالهم دفعهم الى العمل على اخضاعها واول من استعد لذلك الامبراطور الروماني انطونيوس، اذ يذكر المؤرخ (ابيانوس)[*][3] في حوادث سنة 41 ق.م " ان الامبراطور انطونيوس بعد عودته من حرب الفرثيين توجه الى بلاد الشام عائداً الى روما، فلما اقترب من تدمر ارسل الى اهلها رسلاً يخبرهم انه قاصد مدينتهم ليريح عندهم جنوده مما نالوه من عناء الحرب ومشقة الطريق، الا ان التدمريين سرعان ما ادركوا حقيقة نواياه، فاخلوا مدينتهم وسارعوا حاملين امتعتهم الثمينة لعبور نهر الفرات، الا ان انطونيوس وجنوده اقتفوا اثرهم حتى ادركوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيه للتدمريين ".

ويستدل من قائمة الضرائب الكمركية (المكوس) الصادرة سنة 17م والمفروضة على البضائع الواردة الى روما في عهد الامبراطور (تيبريوس) (14 – 37م) ان تدمر قد اعترفت بسيادة روما عليها [4]، وانها كانت تدفع الضريبة للرومان تعبيراً عن ولائها لهم[5]، والراجح ان هذا الاعتراف كان اعترافاً اسمياً املته طبيعة مصالح تدمر

1- ستاركي، جان، والمنجد، صلاح الدين، تدمر عروس الصحراء، (دمشق: مديرية الاثار العامة، 1947م)، ص (ي)).
2- حتي، فيليب وجرجي، ادورد وجبور، جبرائيل، تاريخ العرب المطول، ط4، (بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1965م)، ج1، ص17؛ حتي، تاريخ سوريا، ص433.
* ابيانوس: مؤرخ روماني ولد في الاسكندرية وانتقل الى روما، عاش في القرن الثاني الميلادي وعاصر الاباطرة تراجان (98 – 117م) وهادريان (117 – 138م) وانطونيوس بيوس (138 – 161م)، كتب تاريخ روما في اربعة وعشرين جزءاً وقد فقد بعضها (للتفصيل ينظر: غربال، الموسوعة العربية،ج1، ص42).
3- نقلاً عن: اليسوعي، الاب سبستيان رتزفال، زينب (الزباء) ملكة تدمر، مجلة (المشرق)، العدد 13، السنة الاولى، (دمشق: 1898م)، ص558 – 589؛ علي، المفصل، ج3، ص85 – 86.
4- حتي، تاريخ سوريا، ص435؛ حتي، تاريخ العرب، ج1، ص98.
5- البني، تدمر والتدمريون، ص70؛ الملاح، الوسيط، ص171.

الاقتصادية وارتباطها مع مصالح الرومان، الذين اصبحوا منذ عهد الامبراطور اغسطس (27ق.م – 14م) يسيطرون على الطرق والموانئ في سوريا ومصر واسيا الصغرى [1]، فالمدينة لم تفقد حكمها الذاتي بل ظلت تدير شؤونها بنفسها، فبقيت ادارة البلاد بايدي وجوه وزعماء المدينة (مجلس الشيوخ) اذ كان الرومان يعدونهم وكلاء لهم في المنطقة [2]، كما انهم سمحوا لاهل تدمر الاحتفاظ بقواتهم العسكرية للمحافظة على امن المدينة وتامين حراسة الطرق والقوافل والمواضع التي تخدم تجارتها [3]، واكثر من ذلك يلاحظ ان قوات تدمر اخذت تشارك الرومان في هذه المرحلة في نشاطاتهم الحربية، فقد ذكر ان هذه القوات ساهمت الى جانب الفرق الرومانية في محاربة اليهود وتهديم هيكل سليمان في القدس سنة 95م في عهد الامبراطور دوميتيان (81 – 96م) فقد جاء في التلمود " يا لسعادة من سوف يرى نهاية تدمر، فقد اشتركت في هدم المعبد الاول[*] والثاني، ففي المرة الاولى قدمت ثمانين الفاً من الرماة، ولهدم المعبد الثاني ثمانية الالف " [4]، ويبدو ان عدد الرماة في النص اعلاه فيه مبالغة كبيرة، فلا يعقل ان يكون لدى تدمر مثل هذا العدد الضخم من الرماة والراجح ان هذا العدد يمثل مجموع الرماة الذين ساهموا في القتال من التدمريين والرومان وغيرهم ممن انضم الى جانب الرومان.

ومن اجل ازاله أي عائق يحول بين الرومان وبين عدوهم الاكبر الفرثيون في الشرق عمل الامبراطور تراجان(98 – 117م) على اخضاع تدمر لحكمه اخضاعاً تاماً[5]،

1- البني، المصدر نفسه، ص70.

2- Encyclopedia Britanica ,Palmyra ,The Edition 15, London (1985) ,Vol 9,p.96

3- علي، المفصل، ج3، ص90.

* في عهد الملك نبوخذ نصر (605 – 562ق.م) (العلي، محاضرات، ص46).

4- نقلاً عن: البني، تدمر والتدمريون، ص71؛ الملاح، الوسيط، ص172.

5- البني، المصدر نفسه، ص71.

وضمها الى ما يسمى بالولاية العربية او الكورة العربية (Provincia Arabia) التي اقامها بعد استيلائه على الانباط سنة 106م [1]، ووضع فيها حامية رومانية وممثل عسكري يتخذ القرارات المهمة [2]، وهذا يعني ان تدمر اصبحت تابعة كلياً للرومان في عهد الامبراطور تراجان.

وقد استغلت تدمر سياسة الامبراطور هادريانوس (Hadrianus) (117 – 138م) القائمة على السلم ومجانبة الحرب، فوسعت تجارتها وزادت عدد قوافلها التي درت عليها ارباح طائلة انعكست اثارها في تقدمها العمراني [3]، وعند زيارته لها سنة 130م منحها لقب هادريانا بالميرا (Hadriana Palmyra) أي تدمر الهادريانية [4]، وهو لقب يتضمن في معناه حصول المدينة على نوع من الاستقلال الذاتي فاصبح لمجلس شيوخها بموجب هذا اللقب حق فرض الضرائب على القوافل التجارية وحق جبايتها من دون تدخل الرومان [5]، يدلل على ذلك الكتابة التي عثر عليها سنة 1882م ويعود تاريخها الى سنة 137م أي الى ايام الامبراطور (هادريانوس) تنظم الرسوم الكمركية (الضرائب) في تدمر [6]، ولتوفير الامن لقوافلها التجارية المارة في البادية سمح باقامة حاميات عسكرية لها على شواطئ الفرات الغربية [7]، فاصبح نشاطها التجاري يمتد على طول الطريق بين روما والخليج العربي [8]، وفي عهد الامبراطور انطونيوس بيوس

1- حتي، تاريخ سوريا، ص424.
2- البني، عدنان،الفن التدمري، سلسلة تاريخ الفن في سوريا رقم (3)،(دمشق: مكتبة اطلس، د.ت)، ص12.
3- علي، المفصل، ج3، ص88.
4- ابن المغيرة، تاريخ العرب القديم، ورقة 147؛ حتي، تاريخ سوريا، ص435؛ ستاركي والمنجد، تدمر عروس الصحراء، ص (ي).
5- البني، تدمر والتدمريون، ص72.
6- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع12، ص538؛ علي، المفصل، ج3، ص87.
7- علي، المصدر نفسه، ج3، ص87.
8- **Encyclopedia Britanica ,Palmyra,Vol,9,p.96.**

(Antoninus Pius) (138 – 161م) ازدادت اهمية تدمر وارتفع شأنها وشمل العمران انحائها كافة [1].

وواصلت المدينة تقدمها فمنحها الامبراطور سبتيميوس سفيروس (193 – 211م) لقب (مستعمرة رومانيا عليا) (Colonia Roman) تكريماً لاهلها الذين وقفوا الى جانبه في حربه مع الفرثيين [2] سنة 198م وتمكن فيها من تخريب طيسفون وجعل شمال العراق الغربي مقاطعة رومانية [3]، وبموجب ذلك اللقب اصبحت تدمر مساوية للمدن الرومانية في الحقوق فاعفيت من دفع الضرائب، وصار لها حق التملك الكامل والحرية التامة في ادارة سياسة المدينة [4]، وقد اضاف رجالها البارزين اسماء رومانية الى مقدمة اسمائهم العربية ولعلهم ارادوا بهذه المحاكاة اضفاء صفة القوة والمهابة على انفسهم، واول من لقب نفسه بـ (سبتيميوس) حاكمها (حيران بن وهب اللات)[*] فصار اسمه (سبتيميوس حيران) [5] وظلت تدمر تتمتع بمكانتها العالية لدى الرومان في فترة حكم الامبراطور كركلا (211 – 217م) [6].

ومع قيام الدولة الساسانية 226م وتجدد الحرب بينها وبين الرومان زادت اهمية ومكانة تدمر حتى صارت سيدة الشرق الروماني، وطمع اهلها في رتب الدولة ومناصبها [7]، اذ استغل حاكمها اذينة الاول بن حيران بن وهب اللات (235 – 251م)

1- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع13، ص590؛ علي، المفصل، ج3، ص88.

2- ابن المغيرة، تاريخ العرب القديم، ورقة 148؛ حتي، تاريخ سوريا، ص436.

3- الاحمد، تاريخ الرومان، ص220؛ Ghrishman ,Iran from... ,p.259

4- علي، المفصل، ج3، ص87.

* لم تذكر المصادر مدة حكمه الا انها تشير الى انه اول حكام التدمريين الذين تمتعوا بمكانة عالية عند اهل تدمر وعند الرومان (علي، المصدر نفسه، ج3، ص91؛ حتي، تاريخ سوريا، ص436).

5- حتي، المصدر نفسه، ص435 – 436.

6- علي، المفصل، ج3، ص88.

7- زيدان، جرجي، تاريخ العرب قبل الاسلام (مؤلفات جرجي زيدان الكاملة)، (بيروت: دار الجيل، 1982م)، مج10، ص118 – 119).

انغماس الاباطرة الرومان بمشاكلهم الخارجية المتمثلة بمواجهة الساسانيين في الشرق والقبائل الجرمانية في الغرب، فاخذ يعمل على استقلال بلاده متحديا سلطة الامبراطور في روما بتخليه عن عضويته في مجلس الشيوخ الروماني، واتخاذه لقب (ملك) من دون اخذ موافقة رجال المجلس والامبراطور تريبنيانوس جالوس (Trebonianus Gallus) (251 – 253م)، الذي ادرك خطورة هذا الطموح على مصالح الرومان فاوعز الى قائده روفينوس (Rufinus) بقتله سنة 251م [1].

وقد ترك اذينة ولدين احدهما (حيران) والاخر (اذينة الثاني) ولم تذكر لنا المصادر شيء عن صلة حيران بالامبراطورية الرومانية الا انها تشير الى انه توفي سنة 258م وترك ابناً صغيراً اسمه (معنى) [2].

وتولى رئاسة تدمر من بعده اخيه اذينة الثاني وهو اشهر ملوك تدمر، فقد تركزت معظم السلطات بيده وكانت له خبرة عسكرية ليست بقليلة منذ عهد والده الذي اشركه معه في الحكم وعهد اليه مسؤولية قيادة الجيش [3]، وقد طلب اذينة من الامبراطور فاليريان (253 – 260م) ان يقتص من قاتل ابيه القائد روفينوس، الا ان الامبراطور لم يبد تجاوباً لمطلبه، فاثار ذلك نقمة اذينة وحقده على الرومان واخذ يتحين الفرص للاطاحة بهم والثار لابيه [4]، وقد جاءته تلك الفرصة عندما اوقع الملك الساساني سابور بن اردشير الهزيمة بالجيوش الرومانية بالقرب من ادسا سنة 260م واسر الامبراطور فاليريان، وواصل الملك سابور الاول تقدمه في شمال بلاد الشام فاستولى على انتيوخيا ثم توجه نحو كيليكيا واستولى على طرسوس وقيصرية عاصمة كبدوكيا، فسرّ ذلك الملك اذينة الثاني تشفياً بالرومان وارسل رسله الى الملك سابور الاول

1- علي، المفصل، ج3، ص91 – 92؛ باشميل، العرب في الشام، ص47 – 48.

2- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع13، ص592.

3- ستاركي والمنجد، تدمر عروس الصحراء، ص30؛ علي، المفصل، ج3، ص92.

4- علي، المصدر نفسه، ج3، ص93.

حاملين اليه الهدايا الثمينة وكتاباً يتودد فيه اليه ويظهر رغبته في التحالف معه[1]، الا ان الملك سابور الاول استخف باذينة ورسله واظهر تعجبه من جرأته وهو شيخ قبيلة يعيش في صحراء قفرة على الكتابة اليه ومخاطبته مع انه ملك الملوك فتساءل " من هو اذينة هذا الذي تبجح هكذا وكتب الى مولاه؟ اذا كان يمني نفسه بتخفيف عقابه فدعوه يخر راكعاً تحت اقدام عرشنا ويداه مغلولتان الى ظهـره، فـاذا تردد، فلتصبوا الخراب فوق راسه وبني جنسه وبلده "[2]، ثم مزق رسالته وامر برمي هداياه في نهر الفرات[3].

لقد اثار تصرف الملك سابور الاول هذا غضب اذينة الثاني فتناسى ما بينه وبين الرومان وارسل الى الامبراطور جالينوس (Gallinus)[*] (260 - 268م) يخبره بعزمه على محاربة الملك الساساني سابور الاول وطلب منه مناصرته، فمده الاخير ببعض الكتائب الرومانية ضمها اذينة الثاني الى جيشه المتكون فضلاً عن اهالي تدمر من رجال القبائل العربية الموالية له على اطراف تدمر وعهد بقيادتهم الى ابنه سبتيميوس هيرودس(Septimius Herodes) واثنين من كبار قواده هما (زبدا) على فرقة الفرسان و (زّباي) على فرقة الرماة، وسار بنفسه قاصداً طيسفون[4] للانتقام من الملك سابور الاول الذي كان مشغولاً بمحاصرة مدينة بومبيوبوليس (Pompeiopolis)[**] الساحلية الا انه واجه مقاومة من القائد الروماني كاليستوس (Callistus) الذي تمكن من الايقاع

1- زيدان، تاريخ العرب، مج10،ص119؛ علي، المصدر نفسه، ج3، ص93.

2- جيبون، اضمحلال، ج1، ص251 - 252؛ زرين كوب، روزكاران، ص193.

3- علي، المفصل، ج3، ص93؛ باشميل، العرب في الشام، ص50؛ رازي، تاريخ مفصل، ص58.

* جالينوس: هو ابن الامبراطور فاليريان وقد اشركه معه في الحكم وعهد اليه قيادة الجيش الروماني المرابط على حدود الراين (الاحمد، تاريخ الرومان، ص229).

4- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع14، ص637؛ محل، سالم احمد، دور العرب في الصراع بين الساسانيين والبيزنطيين، مجلة (اداب الرافدين)، العدد 16، (الموصل: 1986م)، ص377 - 378.

** بومبيوبوليس: لم اتمكن من تحديد اسمها العربي الذي كانت تسمى به ولا موقعها على وجه الدقة والراجح انها من المدن التي بناها الامبراطور بومبي على الساحل السوري وسماها باسمه عندما ضم سوريا الى الامبراطورية الرومانية سنة 64ق.م.

بجيش الملك سابور الاول فقتل منهم جماعة وسبى بعض نسائه [1]، وقد وصلت انباء هذا الانتصار الى اذينة الثاني فغير اتجاهه واسرع بقطع طريق العودة على الملك سابور الاول وجيشه فالتقى بهم غرب الفرات حيث دارت هناك معركة عنيفة اجبرت الملك سابور الاول على التراجع الى ما وراء نهر الفرات، وتمكن اذينة الثاني من استعادة كرها ونيسيبيس [2]، وارمينيا التي تنازل عنها الامبراطور فيليب العربي [3].

ولم تذكر المصادر تاريخ حدوث هذه المعركة ولم تحدد موقعها بدقة، ونعتقد ان حدوثها كان سنة 262م لانه في تلك السنة منح الامبراطور جالينوس اذينة الثاني لقب (زعيم الشرق) [4]، وهو ارفع لقب يحصل عليه حاكم من غير الرومان وبالتأكيد ان اذينة الثاني حصل على هذه المكافئة بعد انتصاره على الملك سابور الاول ذلك الانتصار الذي اعاد الى الرومان هيبتهم التي فقدوها بعد اسر الامبراطور فاليريان سنة 260م، وقد علق المؤرخ (جيبون) [5] على ذلك بقوله " وهكذا احتفظ سوري او عربي من تدمر لروما بعظمتها التي امتهنها الفرس".

ومما يلفت النظر ان الملك سابور الاول لم يول اهتماماً لهذه الخسارة فلم يحاول الانتقام لها، وهذا يحملنا على الجزم بان حروبه مع الرومان كانت مجرد عمليات كر وفر وليست من اجل الاستيلاء على البلاد وحكمها وان ما حققه من انتصار على الرومان في البداية يعود الى ضعف قدرات الاخيرين على المواجهة بسبب ما كانوا يعيشونه من الفوضى العسكرية المتمثلة بكثرة تنصيب وعزل الاباطرة وتوالي هجمات القبائل الجرمانية عليها من جهة الغرب.

1- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع14، ص639؛ اوليري، علوم اليونان، ص18؛ الخالدي، تدمر ابان القرنيين الثاني والثالث، ص 53.
2- كرستنسن، ايران، ص213؛ علي، المفصل، ج3، ص94 – 95.
3- السيد، ارمينيا في التاريخ العربي، ص46.
4- حتي، تاريخ سوريا، ص437.
5- اضمحلال، ج1، ص252.

ازداد اذينة الثاني ايماناً بقدراته العسكرية فواصل نشاطه الحربي ضد الساسانيين اذ سار سنة 264م بجيوشه نحو طيسفون فذعر الملك سابور الاول وجمع كل ما عنده من قوة للدفاع عن العاصمة غير ان تدابيره لم تستطيع ايقاف زحف التدمريين الذين وصلوا العاصمة ونصبوا عليها الات الحصار من منجنيقات وغيرها، فانهار الملك سابور الاول واوشك ان يطلب الامان من اذينة الثاني، غير ان الاخير اضطر الى رفع الحصار عن المدينة والعودة الى بلاد الشام لمعالجة الوضع فيها [1]، اذ تمرد على الامبراطور جالينوس اثنان من قواده، وهما القائد كاليستوس (Callistus) الذي انقذ مدينة بومبيوبوليس من الملك سابور الاول، والقائد مكريانوس (Macrianus) نائبه الاعلى في ادارة الامور المدنية والعسكرية، واعلن الاخير نفسه امبراطوراً على اسيا الصغرى ومصر وبلاد الشام كلها ما عدا تدمر التي ظلت موالية الى الامبراطور جالينوس [2]، واستعد اذينة الثاني للقضاء عليه الا ان مكريانوس قتل فنشط ابنه كياتوس لمقاومة اذينة الثاني الذي حاصره في مدينة ايميسا، وبعد ان اشتد حصاره على المدينة ورأى اهلها عدم جدوى المقاومة، قتل القائد كاليستوس سيده كياتوس، وفتح ابواب المدينة امام اذينة الثاني بعد ان استامنه، الا ان الاخير ما لبث ان قتله لخروجه عليه واعلان نفسه ملكاً [3].

بعد هذه الانتصارات التي حققها اذينة الثاني على اعداء الامبراطور جالينوس من الساسانيين ومعارضيه من الحكام الرومان كافئه الامبراطور بمنحه لقب امبراطور على الشرق، وجعل تحت قيادته جميع القوات الرومانية الموجودة هناك [4]، وضربت النقود باسمه [5]، ومنحه مجلس الشيوخ الروماني لقب (اغسطس) وهو لقب اباطرة

1- علي، المفصل، ج3، ص95؛ محل، دور العرب، ص378.
2- باشميل، العرب في الشام، ص51؛ اوليري، علوم اليونان، ص18.
3- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع15، ص686 - 687.
4- علي، المفصل، ج3، ص96.
5- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع15، ص688؛ علي، المصدر نفسه، ج3، ص97.

الرومان انفسهم [1]، وهذا يعني انه صار برضى روما مساوياً للاباطرة الرومان في مناصبهم، الا ان اذينة الثاني اختار لنفسه لقب اكثر قرباً الى نفوس الشرقيين وهو لقب (ملك الملوك) [2]، ويبدو انه ارداد بهذا اللقب منافسة الساسانيين وانتزاع اقوى الالقاب منهم بعد انتصاراته المتكررة عليهم، اذ ان الملك الساساني كان يتلقب بلقب (شاهنشاه) أي ملك الملوك.

وامعاناً في اذلال الملك سابور الاول ولتوثيق عرى الصداقة مع الامبراطور جالينوس قرر اذينة الثاني سنة 265م الزحف على العاصمة الساسانية طيسفون والقضاء على ملكها سابور الاول نهائياً، فاعد لتحقيق هذه الغاية جيشاً كبيراً سار على رأسه نحو طيسفون بعد ان عين ابنه سبتيميوس هيرودس (من زوجته الاولى التي هي غير زنوبيا)، نائباً عنه في تدمر ليدير شؤونها، ولم يجد في طريقه أي مقاومة من الساسانيين حتى وصل الى طيسفون فحاصرها حصاراً شديداً اضطر معه الملك سابور الاول الى اظهار استعداده لقبول الصلح الذي اشترط فيه اذينة الثاني اطلاق سراح الامبراطور فاليريان [3]، غير ان عبور القوط (Gothes)[*] للبحر الاسود وتوجههم نحو اسيا الصغرى بهدف الاستيلاء عليها وعلى بلاد الشام، اجبرت اذينة الثاني على انهاء حصار طيسفون والعودة الى بلاده لمواجهة القوط الذين ما ان علموا بقدومه نحوهم حتى سارعوا بالعودة الى البلاد التي جاءوا منها [4]، عندئذ قرر اذينة الثاني العودة من جديد

1- علي، المصدر نفسه، ج3، ص97؛ باشميل، العرب في الشام، ص53.

2- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع15، ص688؛ باشميل، المصدر نفسه، ص52.

3- علي، المفصل، ج3، ص98؛ باشميل، العرب في الشام، ص53 – 54.

* القوط: القوط بقسميهم الشرقي والغربي من اكثر القبائل الجرمانية عدداً واشدهم خطراً على اوربا، وموطنهم الاصلي شبه جزيرة اسكندناوة في (السويد في الوقت الحاضر)، عبروا الى الساحل الاوربي واستقروا سنة 214م في شمالي البحر الاسود في حوض نهر الدنيبر، واصبحوا وجها لوجه مع الامبراطورية الرومانية في عهد الامبراطور كركلا (211 – 217م) (للتفصيل: ينظر: طرخان، دولة القوط الغربيين، ص32 – 37).

4- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع15، ص691؛ علي، المفصل، ج3، ص98 – 99.

لمحاربة الساسانيين والاستيلاء على طيسفون، الا انه قتل مع ابنه هيرودس على يد ابن اخيه معنى اثناء وجوده في مدينة حمص سنة 266م [1].

ومما ينبغي التنويه عنه ان الاخباريين والمؤرخين العرب لم يذكروا لنا شيئاً عن انتصارات اذينة الثاني على الملك الساساني سابور الاول على الرغم من اهميتها، والراجح ان السبب في ذلك الموارد الاصلية التي استقوا معلوماتهم منها وهي موارد فارسية[*] متعصبة لم يرق لها الاشارة الى الانتصارات التي حققها ملك كون مملكة في البادية على ملك الملوك سابور الاول الذي تمكن من اسر امبراطور اقوى امبراطورية منافسة لهم في العالم القديم انذاك.

تولت رئاسة تدمر بعد اذينة الثاني زوجته زنوبيا(Zanobia) وصية على ابنها الصغير وهب اللات [2]، وقد اظهرت مقدرة وكفاءة عالية في امور السياسة والحرب، جعلتها عدواً شديداً وخصماً عنيداً للامبراطوريتين المتعاديتين الساسانية والرومانية، ويبدو انها حصلت على تلك الخبرة من مصاحبتها لزوجها ومساعدتها له في تحقيق اهدافه [3]، ومما يؤكد ان دورها السياسي كان كبيراً في حياة زوجها اذينة الثاني ما قاله عنها الامبراطور الروماني اورليان (Aurelian) (270 - 275م) في رسالة وجهها الى مجلس الشيوخ الروماني رداً على منتقديه " يلومونني لانني تباهيت بالنصر على امرأة،

1- علي، المصدر نفسه، ج3، ص99؛ باشميل، العرب في الشام، ص55.

* من اهم المصادر التي تناولت التاريخ السياسي للدولة الساسانية وكان مصدراً اصيلاً لاقدم الكتب العربية كتاب (خداي نامة) الذي الف في عهد الملك الساساني يزدجرد الثالث (632 - 651م) وترجمه ابن المقفع (ت143هـ/ 760م) بعنوان (سير ملوك العجم) او (سير الملوك)، غير ان هذه الترجمة مع الاصل فقدت (كرستنسن، ايران، ص46)، وعن صحة الاخبار الواردة في المصدر اعلاه والمصادر الفارسية الاخرى التي تناولت تاريخ ايران القديم يقول (الاصفهاني) « وتواريخهم (يعني تواريخ الفرس) كلها مدخولة غير صحيحة لانها نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان الى لسان » (تاريخ سني، ص9).

2- ابن المغيرة، تاريخ العرب القديم، ورقة 151؛ اليسوعي، زينب (الزباء)، ع16،ص731 - 732.

3- اليسوعي، المصدر نفسه، ع15، ص691.

انهم ما كانوا يتفوهون بمثل ذلك لو كانوا يعلمون أي امرأة هي، لو كانوا يعلمون ثباتها على القرارات، وحزمها مع الجنود،...، ان اذينة مدين لزوجته بنصره على الفرس، وفرار سابور أمامه ووصوله الى طيسفون "[1].

عملت زنوبيا جاهدة على استقلال بلادها التام لبلادها من التبعية الرومانية وتكوين دولة ذات سيادة عربية، فتبعت سياسة زوجها في التقرب من القبائل العربية المجاورة والاعتماد عليهم كقوة فعالة ضاربة في حروبها مع الرومان التي بـدأت بهـا سنة 268م[2]، ففي هذه السنة ارسل الامبراطور جالينوس الذي توجس خيفة من استعداداتها العسكرية جيشه الى الشرق للقضاء عليها في عقر دارها والتخلص منها قبل ان يستفحل امرها، متظاهراً بالانتقام من الملك سابور الاول وقاتلي اذينة الثاني، غير ان زنوبيا كشفت حيلة الامبراطور وسوء مقصده فسارت على رأس جيشها لمواجهة جيوشه التي كان يقودها القائد الروماني هراقليانس والتقت بهم شمال سوريا[*]، فدارت بين الطرفين معركة انهزمت بها الجيوش الرومانية بعد ان تركت قائدها مقتولاً في ارض المعركة، وقد وصف المؤرخ الفرنسي (شامباني)[3] نتائج تلك المعركة بقوله "وفي تلك الواقعة انتصرت اسيا على روما، وانقطعت الروابط التي كانت تربط بينهما الى الابد ".

وكان لهذه الهزيمة صداها المؤثر في روما يتجلى ذلك في مناداة مجلس الشيوخ في اثناء انتخابهم اوريليوس كلوديوس (Aurelius Claudius) (268 – 270م) خلفاً للامبراطور جالينوس الذي قتل بعد مدة قصيرة من هزيمته امام زنوبيا " يا كلوديوس اغسطس نجنا من زنوبيا... اغثنا من التدمريين "[4].

1- نقلاً عن: البني، تدمر والتدمريون، ص79.
2- علي، المفصل، ج3، ص113.
* لم تذكر المصادر المكان على وجه التحديد.
3- نقلاً عن: اليسوعي، زينب (الزباء)، ع18، ص825.
4- اليسوعي، المصدر نفسه، ع18، ص825.

اما زنوبيا فقد شجعها ذلك الانتصار على مزاحمة الرومان في ممتلكاتهم فوجهت انظارها نحو مصر ووضعت خططها للاستيلاء عليها بعد ان مهدت لنفسها التدخل في شؤونها بادعائها انها من نسل الملكة السابعة كليوبترا، ويبدو ان زنوبيا قصدت من استيلائها على مصر تعزيز نزعتها الاستقلالية بالحصول على مرافق اقتصادية جديدة ترفع من مكانتها بين القبائل العربية، فالسيطرة على مصر تعني السيطرة على طريق التجارة العالمي عبر البحر الاحمر والمحيط الهندي، وقد وجدت زنوبيا الفرصة مناسبة لتحقيق هدفها سنة 269م فالامبراطور كلوديوس قد شغل عنها بصد هجمات القبائل الجرمانية والقوط على حدود امبراطوريته[1]، كما ان المعارضين للحكم الروماني في مصر وعلى رأسهم فيرموس(Firmus)[*] كتب الى زنوبيا يشجعها على تخليص مصر من الحكم الروماني ولا سيما ان قائداً رومانياً يسمى بروبانوس(Probunos) استغل هو الاخر الارباك الذي اصاب الامبراطورية الرومانية، فاستولى على مصر معلناً نفسه ملكاً عليها[2]، واظهر فيرموس استعداده لتجهيز جيوشها بكل ما تحتاج اليه[3]، عندئذ ارسلت زنوبيا الى مصر جيشاً قيل ان عدده بلغ (70.000) الف مقاتل يقودهم القائد التدمري (زبدا) الذي ما ان دخل البلاد حتى التقى بحكمها الروماني بروبانوس ومعه (50.000) الف مقاتل فدار بين الطرفين قتال شديد كان النصر فيه للتدمريين وكان ذلك نحو سنة 269م[4]، ثم عاد القائد زبدا

1- علي، المفصل، ج3، ص113 - 114.

* فيرموس: من التجار الرومان الاثرياء في مصر، له علاقات تجارية مع الهند والعرب، وشجع المصريين على التمرد على الحاكم الروماني وقادهم بنفسه الى مدينة الاسكندرية حيث اتخذ لنفسه لقب الامبراطور، وضرب النقود باسمه، واصدر الاوامر وكون جيشاً خاصاً به انفق عليه من امواله الخاصة، حالف اذينة ثم زوجته زنوبيا فجعلت منه والياً على مصر سنة 272م، وبعد سقوط تدمر قبض عليه الامبراطور اورليان وقتله (جيبون، اضمحلال، ج1، ص274).

2- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع18، ص826 - 827.

3- علي، المفصل، ج3، ص114.

4- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع18، ص827؛ علي، المصدر نفسه، ج3، ص114.

الى تدمر بعد ان ترك هناك حامية تدمرية تحت قيادة تيمجينيس (Timagenes)، الا ان بروبانوس هاجم تلك الحامية وتمكن من طردها من مصر، لذا عاد القائد زبدا ثانية الى مصر والحق ببروبانوس وجيشه الهزيمة بالقرب من بابليون (Babylon)[*] وبذلك اصبحت مصر اقليماً تابعاً لتدمر وكان ذلك نحو سنة 270م [1].

ويبدو ان الامبراطور كلوديوس ادرك عبث محاربة زنوبيا وهي على هذا المستوى من القوة لذلك اضطر في اواخر حكمه سنة 270م الى عقد اتفاقاً معها، نص على ان يكون حكم مصر مشتركاً بينهما، وقد استمر هذا الاتفاق في بداية سنين حكم الامبراطور اورليان (Aurelian) (270 – 275م) [2]، والراجح ان اقرار الاخير بحق زنوبيا في رئاسة مصر كان يريد به تهدئة الوضع ريثما يتفرغ من خطر القوط في الغرب الذي لم ينته الا بعد عقد هدنة ومعاهدة منح القوط بموجبها مقاطعة داكيا [3].

واذا كانت الملكة زنوبيا قد قبلت ان يشاركها الرومان في حكم مصر فان سيادتها كانت مطلقة على بلاد الشام واسيا الصغرى والجزيرة الفراتية وهي من الممتلكات التابعة للرومان انتزعها منهم وسيطر عليها زوجها اذينة الثاني فحافظت هي عليها ثم اضافت اليها ممتلكات جديدة هي مصر والجزء الشمالي الغربية من الجزيرة العربية (دومة الجندل)[**] [4]، ولم يحاول الملك الساساني سابور الاول وابنه هرمز الاول (272 – 273م) القيام باي عمل عسكري ضدها على الرغم من انهماكها في حروبها

* بابليون: الفسطاط في العصر الاسلامي (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص175)، وامبابة في الوقت الحاضر وهي من مدن محافظة الجيزة الواقعة على الصفة الغربية لنهر النيل (معلوف، المنجد، ص67، 209).

1- علي، المفصل، ج3، ص114؛ باشميل، العرب في الشام، ص59 – 60.

2- علي، المفصل، ج3، ص115؛ العبادي، مصطفى، الامبراطورية الرومانية (النظام الامبراطوري ومصر الرومانية)، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت)، ص155.

3- طرخان، دولة القوط، ص38 ومقاطعة داكيا هي رومانيا في الوقت الحاضر.

** دومة الجندل: هو موضع فاصل بين الشام والعراق، على سبع مراحل من دمشق، وعلى ثلاث عشر مرحلة من المدينة (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص82).

4- باشميل، العرب في الشام، ص60 – 61.

مع الرومان بل عقدوا معها معاهدة صلح[*][1]، الا ان زنوبيا بقيت حذرة من الساسانيين واحتاطت من هجماتهم التي قد يوجهونها اليها ببناء حصن علـى حدود مملكتها على نهر الفرات عرف بـ (حصن زنوبيا)[**][2].

وبعـد ان امـن اورليان حـدود امبراطوريته من هجمـات القبائـل الجرمانية قرر تأديـب زنوبيا التي اعلنت اسـتقلالها الكامـل باقاليمها الممتدة من البوسـفور والبحر الاسـود حتى الشـاطئ الشـرقي لنهر الفـرات ومصـر وافريقيا ودومة الجندل في شـبه الجزيـرة العربيـة، وصرحت بتحديهـا له بان الغـت التعامل بالنقود التـي عليها صورة الامبراطـور فـي تلـك الاقاليم، واصدرت بـدلاً عنها عملـة جديدة عليها صـورة ابنها وهـب اللات حاملاً لقـب الامبراطور [3] واسـتعدت للمواجهة، ويقـال انها تفاوضت مـع الملكـة فكتوريـا ملكـة بـلاد الغـال (فرنسـا) لتوحيـد الخطـط فـي مهاجمـة الامبراطورية الرومانية واقتسامها [4].

وبالمقابل وضع الامبراطور اورليان خطة ذات هدفين، الاول استرجاع مصر الى حظيرة الامبراطورية الرومانية، والثاني التوجه الى اسيا الصغرى والعمل على دفع زنوبيا الى سوريا ومن ثم الى تدمر حيث تتم محاصرتها فيها [5].

---

* ولم تذكر لنا المصادر نص هذه المعاهدة ولم يتسنى لنا معرفة مع من عقدتها زنوبيا مع الملك سابور الاول ام ابنه، والراجح انها عقدتها مع الملك سابور الاول.

1- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع16، ص735.

** حصن زنوبيا: يذكر (البكري) ان حصن زنوبيا هو الخانوقة (ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت478هـ)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ط3، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب، 1403هـ)، ج2، ص485) بنتها على الجانب الشرقي لنهر الفرات بالقرب من مدينة الرقة (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص448).

2- علي، المفصل، ج3، ص113.

3- العبادي، الامبراطورية الرومانية، ص155.

4- علي، المفصل، ج3، ص116.

5- الخالدي، تدمر ابان القرنين الثاني والثالث، ص64.

سارت زنوبيا في اوائل سنة 271م بعد ان اكملت استعداداتها العسكرية على راس الجيش التدمري الى اسيا الصغرى لمواجهة الامبراطور اورليان، فاستولت على اقليم بيثينية (Bithynia)(*) واستمرت في تقدمها حتى وصلت اسوار بيزانتيوم (بيزنطة او القسطنطينية)(**) فضربت الحصار على مدينة خلقدونية(***) القريبة من القسطنطينية، وهي على درجة عالية من الثقة بالنفس وبلغ بها الطموح الى حد اعتقادها انها ستستولي على روما نفسها، وتنفيذاً لتلك الخطة اضطرت الى سحب القسم الاكبر من جيشها الموجود في مصر لمساندتها [1]، فاستغل الامبراطور اورليان تلك الفرصة

---

* بيثينية: اقليم في شمال غرب اسيا الصغرى، يؤلف جزء من تركيا في الوقت الحاضر (غربال، الموسوعة العربية، ج1، ص457).

** بيزنتيوم (بيزنطة): مدينة يونانية قديمة سميت بذلك نسبة الى القائد بيزاس (Byzas) الذي قاد اليها جماعة من مدينة ميغارة (Megara) البحرية في القرن السابع قبل الميلاد للاتجار بحبوب روسيا الجنوبية ومعادن حوض البحر الاسود ومصايد البوسفور (رستم، الروم، ج1، ص62؛ Vasiliev, A.A, History of the Byzantine Empire 324 - 1453, Second Edition, The Regents of the University of Wisconsin (1952),p.57) وقد برزت اهميتها اثناء الصراع اليوناني الاخميني وفي اثناء حرب البيلوبونيز لسيطرتها على مدخل البحر الاسود الذي كانت مدينة اثينا تعتمد في غذائها على حقول القمح الواقعة على شواطئه الشمالية، وادرك كل من فيليب المقدوني (359 – 336 ق.م) وابنه الاسكندر(336 – 323ق.م) انها الباب الرئيس الموصل الى اسيا، ولكن الاباطرة الرومان عدو موقعها الاستراتيجي مصدر تهديد لهم فقضوا على ما كان لها من امتيازات حتى ضعفت اهميتها واصبحت مدينة محدودة الشان حتى عهد الامبراطور قسطنطين (306 – 337م) الذي اتخذها عاصمة لامبراطوريته سنة 330م، وقد سماها (روما الجديدة) غير ان الناس فضلوا تسميتها مدينة قسطنطين او القسطنطينية تخليداً لذكرى مؤسسها (رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد،مراجعة: زكي علي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1961م)، ص5).

*** خلقدونية: مدينة في اسيا الصغرى تقع على الضفة الشرقية من مضيق البوسفور قبالة العاصمة بيزنطة (القسطنطينية) Ostrogorsky, George , History of the Byzantine State, Translated by, Joan Hussey, Oxford (1968), p. 95.؛ عاقل، نبيه، الامبراطورية البيزنطية (دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري)، (دمشق: 1969م)، ص86)

1- علي، المفصل، ج3، ص116؛ باشميل، العرب في الشام، ص63.

واوعز الى قائده في مصر بروبوس (Probus)[*] بعد ان ارسل اليه الامدادات العسكرية بطرد ما تبقى من التدمريين، عندها ارسلت زنوبيا قائدها زبدا لمساعدة فيرموس نائبها هناك، فوقعت سنة 271م معركة بين الفريقين اندحر فيها الجيش التدمري واضطر القائد زبدا الى الانسحاب تاركاً مصر فكانت هذه اول خسارة تلقتها زنوبيا من الرومان[1].

وبالتأكيد فان خسارة مصر شجعت اهل خلقدونية على الصمود وارسلوا مستغيثين الى الامبراطور اورليان الذي تشجع هو الاخر على ملاقتها ودحرها، فعبر البوسفور في اوائل سنة 272م وفاجأ التدمريون باستيلائه على اقليم بيثينية، وقد ادركت زنوبيا حراجة موقفها العسكري، فاضطرت الى التخلي عن اسيا الصغرى كلها وانسحبت الى بلاد الشام [2]، الا ان الامبراطور اورليان تعقب اثرها حتى التقى بها بالقرب من انتيوخيا فاوقع بجيشها الهزيمة [3] اضطرت على اثرها الى الانسحاب الى مدينة ايميسا التي دارت عند اسوارها معركة بين الطرفين [4]، اجبرت زنوبيا على سحب قواتها والتحصن داخل مدينتها (تدمر) فاسرع الامبراطور اورليان الى محاصرتها قبل ان تتمكن من الاتصال بالساسانيين وبالقبائل العربية المجاورة، وقد بذل الامبراطور عدة محاولات لاقتحام المدينة من دون جدوى بسبب قوة تحصيناتها وبسالة اهلها في الدفاع عنها، حتى ان مجلس الشيوخ الروماني سخر منه لعجزه عن الاستيلاء على مدينة صحراوية والتغلب على امرأة فكتب راداً عليهم " قد يضحك مني بعض الناس على محاربتي لامرأة... فاعلموا ان زينب اذا قاتلت كانت ارجل من الرجال " [5].

---

* بروبوس: تولى اورليوس بروبوس (276 - 282م) عرش الامبراطورية الرومانية بعد الامبراطور تاسيتوس الذي حكم مدة قصيرة بعد اورليان (الاحمد، تاريخ الرومان، ص232).

1- Cary , History of Rome,p.728.

2- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع22، ص1034.

3- للتفصيل عن هذه المعركة ينظر: الخالدي، تدمر ابان القرنين الثاني والثالث، ص67 - 69.

4- للتفصيل ينظر: اليسوعي، زينب (الزباء)، ع22، ص1035 - 1036.

5- نقلاً عن: المصدر نفسه، ع22، ص1037 - 1038؛ علي، المفصل، ج3، ص120.

وكانت زنوبيا في مقاومتها للحصار قد علقت الامال في الحصول على مساعدة الساسانيين والقبائل العربية المجاورة، الا انها اصيبت بخيبة امل فالساسانيين على الرغم من انهم كانوا تواقين لمساعدتها ضد خصمهم اللدود، الا انهم كانوا في شغل عنها، اذ توفي الملك سابور الاول سنة 272م وكان ابنه هرمز الاول (272 – 273م) الذي تولى العرش من بعده رجلاً ضعيفاً فعزل بعد سنة من تنصيبه، واستعرت نيران الفتن الداخلية التي لم تسمح لهم وهم في هذه الحالة ان يقدموا أي مساعدة لزنوبيا [1]، اما القبائل العربية فامرها معروف فهي مع الاقوى دائماً، وقد وجدوا ان مساندتهم لزنوبيا لن تفيد لان قوة الرومان كانت اكبر من ان ينالوا منهم، ولذلك تخلوا عن مناصرتها، لا بل ان قسماً منهم انضم الى جانب الامبراطور الذي اغدق عليهم الاموال ووعدهم بان يكونوا ضمن عساكره الذين ينالوا الالقاب والجاه [2].

ازاء ذلك وبعد ان تعزز موقف الامبراطور اورليان بوصول الإمدادات العسكرية، لم تر زنوبيا بداً غير الالتجاء الى الساسانيين والاستنجاد بهم [3]، غير ان جند الامبراطور اكتشفوا تحركها وتمكنوا من القاء القبض عليها وهي تهم ركوب زورق لعبور نهر الفرات، وكان ذلك في اوائل سنة 273م [4]، وقد نتج عن اسر زنوبيا ان اضطر اهل تدمر الى الاستسلام، فدخل الامبراطور اورليان المدينة واستولى على ما فيها من الثروات، ثم ترك فيها حامية من جنده وانسحب مع اسيرته الى روما [5]، الا انه في طريق العودة سمع بتمرد اهل تدمر وقتلهم الحاكم الروماني وتنصيبهم احد افراد اسرة زنوبيا حاكماً عليهم، وفي الوقت نفسه تمرد اهل مصر ايضاً على الحاكم الروماني وأخذوا يسعون

1- علي، المفصل، ج3، ص121.
2- المصدر نفسه، ج3، ص121؛ باشميل، العرب في الشام،ص70 – 71.
3- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع23، ص1058.
4- للتفصيل ينظر: علي، المفصل، ج3، ص122 – 123.
5- اليسوعي، زينب (الزباء)، ع23، ص1059 – 1060.

للتعاون مع أهل تدمر لتشكيل جبهة موحدة هدفها الاستقلال عن الرومان عند ذلك عاد الامبراطور اورليان مسرعاً الى تدمر فدخلها واستباح لجيشه تدميرها ونهبها، ثم توجه بعد ذلك الى مصر وتمكن من القضاء على تمردها، ثم عاد الى روما سنة 274م بعد ان عاد لسلطان روما من جديد اقاليم الشرق [1]، ولقب بلقب (معيد الشرق الى روما) [2].

1- للتفصيل ينظر: البني، تدمر والتدمريون، ص86 – 87.

2- باشميل، العرب في الشام، ص78؛ Cary, History of Rome,p.729

الحروب الساسانية ـ البيزنطية (272 ـ 337م)

لم تسعفنا المصادر في معرفة الاحداث السياسية التي وقعت في عهد الملك هرمز الاول (هرمزد الاول) (Harmizd 1) الذي تولى العرش بعد وفاة ابيه الملك سابور الاول سنة 272م ولمدة سنة واحدة أي من (272 – 273م) [1]، ولا سيما مع الخصم والمنافس اللدود الامبراطورية الرومانية، ولم تشر تلك المصادر الى ان الامبراطور اورليان وقبله جالينوس قد استعد لمحاربة الساسانيين، والراجح ان ذلك يعود الى انشغال الاخيرين بامر مملكة تدمر وتصفية حسابات الامبراطورية مع الملكة زنوبيا التي اضطرت بعد ان اشتد خطر الامبراطور اورليان على بلادها الى الاستنجاد بالملك الساساني بهرام الاول (فهرام الاول) (Vahram 1) (273 – 276م) بن هرمز الاول، الا ان افتقاره الى الحنكة والخبرة العسكرية وسوء تقديره للخطر المحدق ببلاده بسقوط (تدمر) الحاجز الذي يحول بينه وبين اعدائه دفعه الى التقاعس عن تقديم المساعدة[2]، ولم يكتف بذلك بل انه حاول كسب ود الامبراطور اورليان وصداقته فارسل اليه الهدايا الثمينة من ضمنها (عباءة ارجوانية اللون) [3]، الا ان الاخير لم يعر لهداياه اهمية، ويبدو انه لمس في الملك الساساني بهرام الاول ضعف شخصيته فعمد سنة 275م على تحريض قبائل اللان[*] لمهاجمة شمال بلاد فارس من جهة

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص397؛ نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص76.

2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص555.

3- بيرنيا، تاريخ ايران، ص230؛ ابو مغلي، ايران، ص144.

* قبائل اللان: من القبائل الاسيوية التي سكنت احد ممرات جبال القفقاس التي نسبت اليهم والمعروفة بقلعة باب اللان، واللان اربع قبائل، الشرف والملك منهم في قبيلة يقال لها دحساس، وملك اللان يسمى بغابر (ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص136 – 137).

قفقاسية، وسار هو بنفسه على راس الجيوش الرومانية باتجاه العاصمة طيسفون لمواجهة الجيش الساساني الا ان مقتله بعد مدة قصيرة انقذ الدولة الساسانية من خطر محقق [1]، كما ان الملك بهرام الاول توفي في السنة نفسها فتولى الحكم من بعده ابنه بهرام الثاني (فهرام الثاني) (Vahram 11) (276 - 293م) الذي تجددت في عهده الحروب مع الرومـان، ففـي سنة 282م استولت جيوش الامبراطور ماكسيوس اوريليوس كـاروس (Carus M.Aurelius) (282 - 283م) على ارض الجزيرة الفراتية[2]، مستغلة انشغال الملك بهرام الثاني بتصديه لتمرد اخيه هرمز الاول في اقليم سجستان ومحاولته الانفصال عن الدولة [3]، وللخطورة التي شكلها ذلك التمرد على عرشه قرر التفرغ لمواجهته بعقد الصلح مع الامبراطور الروماني كاروس فارسل رسله اليه للتفاوض بشأن ذلك، الا ان جهوده ذهبت ادراج الريح اذ رفض كاروس الصلح ورد الرسل مهدداً " طالما ان ملك بلاد فارس لا يخضع فلن اترك القتال وساجعل بلاد فارس جرداء لا شجر فيها " [4]، ثم تقدم حتى وصل الى مشارف العاصمة طيسفون سنة 283م الا ان وفاته حالت دون ان يتخذ أي اجراء ضدها [5]، فتراجع جنوده عنها بعد ان عقد ابنه نوميريانوس (Numerianus) (283 – 284م) الامبراطور الجديد الذي اختاروه، صلحاً[*] مع الملك بهرام الثاني سنة 283م تنازل الاخير بموجبه للرومان عن ارمينيا وارض الجزيرة الفراتية [6].

1- بيرنيا، تاريخ ايران، ص230؛ جيبون، اضمحلال، ج1، ص282.
2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص556؛ ابو مغلي، ايران، ص144 – 145.
3- Ghirshman,Iran from...,P.294
4- زرين كوب، تاريخ مردم، ص444؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص231.
5- الاحمد، تاريخ الرومان، ص232؛ كرستنسن، ايران،ص217؛حافظ،تاريخ الشعب الارمني،ص56.
* وجد الامبراطور نومريانوس في عقد الصلح مع الملك بهرام الثاني فرصة جيدة ليتفرغ لمواجهة خطر قبائل السارماتيين (Sarmatiaus) (ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص112) والسارماتيين هم سكان سارماتيا الواقعة شرق نهر الراين (طرخان، دولة القوط الغربيين، ص8 هامش رقم (5)).
6- Ghirshman,Iran from...,p.295 ; Bausani, The Persians,p.58؛ كرستنسن، ايران، ص217.

ان هذا التنازل وان دل على ضعف الملك الساساني بهرام الثاني الا ان له اسبابه فاقليم سجستان من الاقاليم الاستراتيجية المهمة للامبراطورية الساسانية بسبب قربه من مملكة كوشان المركز الرئيس في تجارة بلاد فارس مع الشرق والهند من جهة ولانه الحاجز الذي يمنع عنها هجمات القبائل البربرية فيما وراء النهر من جهة ثانية، لذا تطلب الامر من الملك بهرام الثاني ان يوجه كامل قواه العسكرية لمواجهة تمرد اخيه ومحاولته الانفصالية هناك، وبعد ان تمكن من اخماده واحكام سيطرته على الاقليم(*) عهد بولايته الى ابن اخيه هرمز الامير بهرام الثالث [1]، ولقبه بـ (سكانشاه) أي ملك سجستان[2].

وما كادت مشكلة الولايات الشرقية تنتهي حتى واجه الملك بهرام الثاني تحدياً اخر من جهة ارمينيا، ففي سنة 286م عين الامبراطور الروماني دقلديانوس (Dioclctien) (284 – 305م) تيرداد الثالث (Tiridad111)(**) (286 – 331م) الناقم على الحكم الساساني ملكاً على ارمينيا، فقام وبدعم من الرومان بمهاجمة ممتلكات الساسانيين في اتروباتين وارض الجزيرة الفراتية، ولم يتمكن الملك بهرام الثاني من مواجهته[3]، فلما تولى نرسي (Narsea) (293 – 302م) بعد اخيه بهرام الثالث بن هرمز الذي لم يستمر حكمه سوى اربعة اشهر[4]، قام في بداية

* لم تذكر لنا المصادر تفاصيل ذلك، كما انها لم تذكر تاريخ قيام التمرد ولا سنة اخماده، الا انها اشارت الى ان الملك بهرام الثاني خلد انتصاره على اقليم سجستان في نقش رستم (كرستنسن، ايران، ص218).

1- كرستنسن، المصدر نفسه، ص217 – 218؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص91.

2- الاصفهاني، تاريخ سني، ص40؛ المستوفي قزويني، حمد الله بن ابي بكر احمد بن نصر (ت730هـ)، تاريخ كزيدة، باهتمام: عبد الحسين نوائي،(طهران: مطبعة الفردوسي، 1336هـ)، ص106.

** تيرداد الثالث: هو ابن الملك الارمني خسروف الثاني فرّ بعد قتل الملك سابور الاول اباه سنة 250م الى روما، ونال عطف الاباطرة الرومان وحبهم لشجاعته واخلاصه لهم (ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص112،107).

3- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص113؛ زرين كوب، روزكاران، ص199.

4- الاصفهاني، تاريخ سني، ص14؛ ابن قتيبة، المعارف، ص655.

السنة الثالثة من حكمه أي سنة 296م بمهاجمة ارمينيا فتمكن من الاستيلاء عليها وطرد ملكها تيرداد الثالث الذي سارع بالارسال الى روما مستنجداً بالامبراطور دقلديانوس الذي كان هو الاخر منشغلاً في الوقت ذاته في اخماد تمرد نشب في مصر ضد الحكم الروماني [1].

ومما ينبغي الاشارة اليه ان الامبراطور دقلديانوس بعد اعتلائه عرش الامبراطورية الرومانية سنة 284م شعر بصعوبة ان يدير رجل واحد امبراطورية مترامية الاطراف يتربص بها الاعداء من كل جانب، لذلك اصدر سنة 286م مرسوماً يقضي بان تكون السلطة العليا في يد امبراطورين يتخذ كل منهما لقب (اغسطس) أي ان الامبراطور قسم الامبراطورية الى قسمين شرقي وغربي، يتولى هو حكم القسم الشرقي وعهد بحكم القسم الغربي الى صديقه مكسيميان (Maximian) [2]، ولتجنب قيام تمرادات محلية نتيجة لمزاعم الجند بان لهم الحق في تنصيب الاباطرة اصدر دقلديانوس سنة 293م مرسوماً جديداً يقضي بان يكون لكل امبراطور نائب يحمل لقب (قيصر) ليحل محله عند وفاته او استعفائه من الحكم[3]، فاصبح كالريوس (Calerius) قيصراً له وقسطنطينوس (Constantius) قيصراً الى الامبراطور الثاني مكسيميان[4].

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص558؛ ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص114؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص56.

2- العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية 323 - 1081م، (بيروت: دار النهضة العربية، 1982م)، ص23 - 24؛

Homo,Leon,Roman Political Institutions From City to State,London (1929),p.280; Reid,J.S, The Re Organization of The Empire,In The Cambridge Medieval History , Camridge,At University Press(1936),Vol,1,p.27.

3- العريني، الدولة البيزنطية، ص24؛ **Reid, The Re Organization of The Empire,p.27.**

4- جيبون، اضمحلال، ج1، ص290؛ عبد العزيز، وسام، دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية 284 - 1025م، (القاهرة: 1982م)، ج1، ص8؛ **Homo, Roman Political,p.280**

وهذا يعني ان الامبراطورية الرومانية اصبحت من الناحية النظرية مقسمة على اربعة اقسام(*)، يحكمها اربع حكام، اثنان منهم اعلى مقاماً يحملان لقب الامبراطور والاثنان الباقيان اقل درجة ويحملان لقب (قيصر) يخلفان الاولين في حالــة الوفـاة او العزل، ومما ينبغي تاكيده ان هذا التقسيم هو تقسيم اداري ولا يعني ان الامبراطورية نفسها قسمت اذ انها ظلت تمثل وحدة واحدة يتولى زمام الامور فيها الامبراطور دقلديانوس نفسه.

وبعد استيلاء الملك الساساني نرسي على ارمينيا هاجم في السنة نفسها أي سنة 296م ارض الجزيرة الفراتية التي تعد من ممتلكات الامبراطورية الرومانية بموجب الصلح الذي عقده الامبراطور نوميريانوس مع الملك بهرام الثاني، فاثار هذا الامر غضب الامبراطور الروماني دقلديانوس فاستدعى نائبه وصهره القيصر كاليروس الذي كان يتولى قيادة الجيوش الرومانية في منطقة الدانوب وامره بقيادة الجيش الروماني الموجود في سوريا وبالتعاون مع الجيش الارمني الذي يقوده الملك تيرداد الثالث توجها لمحاربة الملك الساساني نرسي، فالتقى الفريقين في اواخر سنة 296م بالقرب من كرها ودارت بين الجانبين معركة انتهت بهزيمة الرومان وفرار القيصر

* قسم الامبراطور دقلديانوس الامبراطورية الرومانية بين الامبراطورين ومساعديهما على النحو الاتي:

I- الاغسطس مكسيميان: نطاق حكمه ايطاليا وافريقية وتشمل (فضلاً عن ايطاليا نفسها الاراضي الواقعة بين نهر الدانوب وبحر الادرياتي، والبلاد المعروفة باسماء الجزائر، تونس، وطرابلس في الوقت الحاضر).

II- القيصر قسطنطينوس: عهد اليه بالدفاع عن بلاد الغال (فرنسا) وبريطانيا واسبانيا، وقد اتخذ من تريف (ترير في الوقت الحاضر غرب المانيا) عاصمة له.=

III- القيصر كالريوس: نطاق حكمه منطقة الدانوب وشبه جزيرة البلقان وتشمل (داكيا ومقدونيا وبلاد اليونان) وقد اتخذ من سرميوم (بلغراد في الوقت الحاضر) عاصمة له.

IV- الاغسطس دقلديانوس (الامبراطور الاعلى): احتفظ لنفسه بتراقيا واسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر، وقد اتخذ من نيقوميديا في الشمال الغربي من اسيا الصغرى (مدينة ازميت التركية في الوقت الحاضر) عاصمة له

(جيبون، اضمحلال، ج1، ص290؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى،ج1، ص37؛ الحديثي، قحطان عبد الستار والحيدري، صلاح عبد الهادي، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، (بغداد: جامعة البصرة، 1986م)، ص244.

كالريوس وتيرداد الثالث [1]، الا ان القيصر كالريوس ثار لهزيمته في السنة التالية أي سنة 297م وتمكن بهجوم ليلي مباغت من جهة ارمينيا من ايقاع الهزيمة بالجيش الساساني الذي ضعفت قواه وفقد قدرته على المقاومة بعد ان اصيب ملكه نرسي وفراره متخلياً عنه وعن زوجته الملكة (ارسان) التي وقعت مع عدد من افراد اسرته اسرى بيد الرومان[2]، وعلى اثر ذلك الانتصار عبر الامبراطور دقلديانوس الفرات والتقى مع نائبه القيصر كالريوس في منطقة نيسيبيس [3]، اما الملك الساساني نرسي فلم يجد امامه خيار غير طلب الصلح فارسل رسله الى القيصر كالريوس للتفاوض بشأن ذلك فوافق الاخير سنة 298م على عقد معاهدة صلح بين الطرفين حددت مدتها باربعين سنة عرفت بمعاهدة نيسيبيس [4]،اما شروطها التي فرضها القيصر كالريوس على الملك نرسي فهي:

1. يكون نهر دجلة حداً فاصلاً بين الامبراطوريتين بدلاً من نهر الفرات.
2. بموجب الشرط الاول يتنازل الساسانيون عن الولايات الخمسة الواقعة على ضفتي نهر دجلة وهي (ارزون (ارزن)[*]، مك أو ملوك، زابدة، رحيمة، كردو او كاردو) الى ارمينيا.

1- مهر ابادي، تاريخ كامل، ص811؛ سايكس، تاريخ ايران،ج1،ص558؛حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص56؛ ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص114؛ زكي وعوني، خلاصة تاريخ الكرد،ج1،ص88.

2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص559؛ كرستنسن، ايران، ص233؛ رستم، الروم، ج1، ص50
Cary, History of Rome,p.730

3- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص115؛ رازي، تاريخ مفصل، ص61.

4- نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص81 – 82 هامش رقم (3)؛ رازي، المصدر نفسه، ص61 – 62؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص57.

* ارزون: او ارزن، مدينة بالقرب من خلاط لها قلعة حصينة، وهي غير ارزن الروم (ارضروم) التي هي بلدة اخرى من بلاد ارمينيا (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص150؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص395)، وموقع ارزن كما ذكره (لسترنج) على شيء يسير من ميافارقين على الضفة الغربية لنهر او واد يسمى سربط (بلدان الخلافة، ص141).
اما (مك او ملوك، وزابدة، ورحيمة، وكردو او كاردو) فلم اتمكن من تحديد اسمائها ومواقعها لعدم ذكر المصادر الجغرافية المتوافرة في مكتباتنا لها.

3. تكون ارمينيا دولة مستقلة تمتد حدودها الجنوبية الى قلعة زنتا(*) في اقليم اتروباتين ويعاد تيرداد الثالث ملكاً عليها.
4. اطلاق يد الرومان في اقليم ايبريا (Iberia) (كرجستان)(**)، وتاتي اهمية هذا الشرط من ان الايبريين كانوا يسيطرون على احد مضايق جبال القفقاس(***) المسمى بمضيق داريال(****) وكان سكان الشمال يستطيعون الاعتداء على حدود بلاد فارس بموافقتهم.
5. تكون مدينة نيسيبيس المركز التجاري الوحيد الذي يتم فيه تبادل البضائع التجارية بين الامبراطوريتين [1].

---

* زنتا: تشير المصادر التي اعتمدناها في معرفة شروط المعاهدة ان قلعة زنتا مكاناً مبهماً لا يعرف موقعه بدقة، كما انني لم اجد لهذه المدينة ذكراً في المصادر الجغرافية.

** ايبريا (كرجستان): قصبتها تفليس (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص403) والعرب يسمونها بلاد الكرج وهي جمهورية جورجيا في الوقت الحاضر (لسترنج، بلدان الخلافة، ص458،216،211 الهامش).

***جبال القفقاس: وتسمى جبل القبق او القيتق او جبل الالسن لان فيه امماً لغاتهم مختلفة، تقع الى شمال من اقليم ارمينيا (ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص346 – 347؛ الاصطخري، مسالك الممالك، ص181، 192؛ المهلبي، كتاب العزيزي، ص60)، يقال انه امتداد لجبل العرج الذي يقع بين مكة والمدينة والذي يمتد الى بلاد الشام فيتصل بجبال انطاكية والمصيصة ويسمى عند هاتين المدينتين جبال اللكام (امانوس في الوقت الحاضر)، ثم يستمر بالامتداد الى الشمال الشرقي فيتصل بجبال شمشاط وقاليقلا ويمتد بعد ذلك الى بحر الخزر حيث ينتهي عند مدينة باب الابواب، وطوله خمس مائة فرسخ (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص148؛ ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص 269).

**** مضيق داريال: هو احد ممرات جبال القفقاس المعروف بممر قلعة باب اللان الواقعة على راسه (ابن رسته، الاعلاق النفيسة، ص136) يوصل ارمينيا مع الاقاليم التي تقع خلف هذه الجبال (طه، صلاح الدين امين، فتح العرب ارمينية، رسالة ماجستير غير منشورة،(بغداد:جامعة بغداد – كلية الاداب، 1970م)،ص 22).

1- مشكور، محمد جواد، ايران در عهد باستان، جاب جهارم، (طهران: 1363هـ)، ص399 – 400؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص560؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص233؛ رازي، تاريخ مفصل، ص61؛ زرين كوب، روزكاران، ص200؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص57؛ زكي وعوني، خلاصة تاريخ الكرد، ج1، ص88.

وتشير بعض المصادر ان الشرط الاخير حذف من شروط المعاهدة نزولاً عند رغبة الملك نرسي [1].

لقد حققت تلك المعاهدة للرومان مكاسب لم يسبق وان حصلوا عليها لذا استمروا في تطبيق بنودها دون اخلال [2]، وفيما يتعلق بارمينيا فقد منحتها تلك المعاهدة حياة سياسية مستقلة مدة اربعين سنة (298 - 337م)، وجعلت منها طيلة المدة المذكـورة

حليفة للرومان ترتبط معهم باتفاق دفاعي عسكري[3]،اما نتائج تلك المعاهدة على الجانب الساساني فكانت وبالاً عليه اذ استغل العظماء[*] المتنفذون ورؤساء الاسر النبيلة[**] ضعف السلطة المركزية المتمثلة بالملك فتدخلوا في شؤون الدولة الداخلية المهمة والتي وصلت الى حد تعيينهم الملك وعزله وقد ظهر ذلك واضحاً في عزلهم الملك (اذر نرسي)[***] سنة 309م بعد مدة قليلة من توليه الحكم بعد ابيه هرمز الثاني(هرمزد الثاني) (Harmizd II) (302 - 309م)، كما سملوا عينا احد اخوته، وسجنوا الاخر وهو (هرمز) الا انه تمكن من الهرب من سجنه والجأ الى

1- سايكس،المصدر نفسه،ج1،ص560؛مهر ابادي، تاريخ كامل،ص812؛بيرنيا،المصدر نفسه، ص233.

2- Ghirshman,Iran from...,p.296.

3- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص114.

* العظماء: هؤلاء يمثلون الطبقة العليا او الممتازة في سلم الطبقات الرباعي الذي وضعة الملك اردشير الاول للمجتمع الساساني، وقد اسندت اليهم ادارة امور الدولة مثل، رئيس الوزراء والقائد الاعلى للجيش ورئيس الكتاب (للتفصيل ينظر: الموسوي، جواد مطر، وصالح، مهدية فيصل، طبقات المجتمع الساساني (226 - 636م)، مجلة (كلية الاداب)، العدد 68، (بغداد: 2005م)، ص79 - 85).

** رؤساء الاسر النبيلة: يقصد بهم رؤساء الاسر السبع ذات السيادة والنفوذ في الدولة الساسانية وهم: الاسرة الاردوانية (الساسانية) واسرة قارن وسورين واسباهبد وزيك وسبندياد ومَهّران (للتفصيل ينظر: الموسوي وصالح، طبقات المجتمع الساساني، ص81 - 83).

*** لم نجد في المصادر القديمة ان اذر نرسي تولى الحكم، ولعل ذلك يعود الى ان مدة حكمه كانت قصيرة جداً.

الرومان [1]، ونصبوا على عرش الدولة سابور الثاني (شابور الثانـي) (Shahpur II) (310 – 379م) الملقـب بـ (ذو الاكتاف)[*] ملكـاً وهو لا يزال صغيراً في المهد[2].

ومع ان تلك الفوضى افقدت البلاد هيبتها ومكانتها، وكانت الفرصة مؤاتية للامبراطورية الرومانية لاضعافها اكثر الا انها لم تتمكن من ذلك لان اوضاعها الداخلية لم تكن افضل حالاً من اوضاع الدولة الساسانية، ففي سنة 305م اعتزل الامبراطورين المشاركان دقلديانوس ومكسيميان الحكم فسادت انحاء الامبراطورية الفوضى والاضطرابات الاهلية مدة عشرين عاماً (305 – 324م) من جراء تقسيم الاراضي بين الحكام الاربعة الذين عينهم الامبراطور دقلديانوس[3]، وبموجب القانون الرباعي الذي اوجده اصبح كالريوس (Galerius) (305 – 311م) حاكماً مشاركاً للقسم الشرقي، وقسطنطينوس (Constantius) (305 – 306م) حاكماً مشاركاً للقسم الغربي، وقد اختارا بدورهما قيصرين لهما فاصبح ماكسيمين دايا (Maximin Daia) قيصراً للشرق وسفيروس(Severus) قيصراً للغرب[4]، ولم يستمر الامبراطور المشارك

1- نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص82 هامش رقم (1)؛ دياكونوف، تاريخ ايران، ص295؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص448.

* ذو الاكتاف: لحق هذا اللقب بالملك سابور الثاني لشدتة في الانتقام من الاسرى العرب، فقيل انه كان يجمع بين كتفي الرجل منهم بحلقة ويسبيه ولهذا لقب بـ (هويه سنبا) أي نقاب الاكتاف،(الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 235؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص41؛ ابن البلخي، فارس نامة، بسعي واهتمام وتصحيح: كي لسترانج ورينولد الن نيكلسون، (كمبريج: دار مطبعة دار الفنون، 1931م)، ص68)، وينكر المؤرخ الالماني (نولدكه) الصفة الوحشية للملك سابور الثاني ويرى ان لقب ذا الاكتاف ينطوي على صفة مشرفة ومعناه الرجل القوي الاكتاف الذي يتحمل اعباء الحكم والمسؤولية الثقيلة (تاريخ ايرانيان، ص84 هامش رقم (1)).

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، تحقيق وتعليق: خليل منصور،(بيروت: دار الاعتصام للطباعة والنشر، 1425هـ)، ج1، ص141؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص63.

3- اومان، الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى طه بدر، (القاهرة: مطبعة دار الفكر العربي، 1953م)، ص12؛ Homo, Roman Political,p.291.

4- تشارلزورث، الامبراطورية الرومانية، ص205؛ Homo, Roman Political,p.291

قسطنطينوس طويلاً في الحكم اذ توفي سنة 306م فنصب ابنه قسطنطين امبراطوراً خلفاً له [1]،وفي السنة نفسها حدث في القسم الشرقي من الامبراطورية تمرد ضد الامبراطور كالريوس، واعلن المتمردون عن تنصيب ماكسنتيوس(Maxentius) بن مكسيميان امبراطوراً، كما اعلن والده مكسيميان نفسه امبراطوراً الى جانب ابنه [2].

وبعد مقتل سيفيروس عين كالريوس قيصراً جديداً بدلاً عنه يسمى ليكينيوس (Licinius)، وهكذا اصبح في الامبراطورية الرومانية سنة 309م ستة اباطرة يحكمون معاً هم (كالريوس، ليكينيوس، قسطنطين، ماكسيمين دايا، ماكسنتيوس ومكسيميان) فكان هذا مدعاة لقيام حرب اهلية قتل على اثرها مكسيميان سنة 311م[3]، كما ان كالريوس توفي في السنة نفسها من مرض اصابه[4]، اما ماكسيمين دايا فقد اتسم حكمه بالتعسف وقد وصف بانه ذو اخلاق سيئة فستنفر شعبه منه [5]، وقد استغل قسطنطين ذلك وزحف نحو ايطاليا بعد ان تحالف مع ليكينيوس وتمكنا من ايقاع الهزيمة بجيوش ماكسيمين دايا في معركة ساكسه روبرة (Saxa Rubra)[*] سنة 312م، وتمكن ماكسيمين دايا من الهرب الا انه ما لبث ان مات في اثناء هروبه [6].

وبذلك خلا الميدان الشرقي للامبراطور ليكينيوس فانفرد بحكم القسم الشرقي حتى سنة 324م، بينما انفرد حليفه قسطنطين بحكم القسم الغربي، ولكن هذا لا يعني

1- رستم، الروم،ج1، ص52.

2- المصدر نفسه، ج1،ص 52 - 53؛ Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.44.

3- عبيد، الامبراطورية الرومانية، ص52 - 53؛ جيبون، اضمحلال، ج1،ص669.

4- رستم، الروم، ج1، ص53.

5- اليوسف، عبد القادر احمد، الامبراطورية البيزنطية،(بيروت: المكتبة العصرية، 1966م)،ص12؛ عمران، محمود سعيد، مقالات في تاريخ مصر في العصر البيزنطي، (د.م: 1996م)، ص65.

* ساكسة روبرة: تقع بالقرب من جسر ميلفيان (Milvian Bridge) شمال روما بمسافة ثلاثة اميال (تشارلزورث، الامبراطورية الرومانية، ص207).

6- Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.44; Reid, The Re Organization of The Empire,p.4.

ان الصفاء والسلام كان سائداً بين الحاكمين الشريكين حتى سنة 324م، اذ تشير المصادر الى انهما تحولا منذ سنة 314م الى خصمين، نتيجة اطماع كل منهما في فرض سيطرته على انحاء الامبراطورية كافة[1]، وقد اشتبك الطرفين في معارك عدة اخرها معركة خريسوبولس (Chrysopolis) سنة 324م واسفرت عن مقتل ليكينيوس ومنذ ذلك التاريخ اصبح قسطنطين حاكم الامبراطورية الاوحد حتى سنة 337م [2].

1- جيبون، اضمحلال، ج1، ص316؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص19.

2- تشارلزورث، الامبراطورية الرومانية، ص210 - 211؛عبد العزيز، دراسات، ج1، ص19؛

Reid, The Re Organization of The Empire,p.8.

الفصل الثالث:

العلاقات الساسانية - البيزنطية 337 - 506 م

- الحروب الساسانية - البيزنطية (337 - 364م)

اتخذ النزاع الساساني - البيزنطي خلال المدة من (337 - 364م) طابعاً دينياً بعد ان كان سياسياً واقتصادياً[1]، فالمسيحية التي اتخذها الامبراطور قسطنطين (306 - 337م) ديانة رسمية سنة 313م[2]، كانت سبباً في توثيق الصلات بين الدولة البيزنطية وارمينيا[3] التي اتخذت المسيحية ديانة رسمية لها سنة 301م[4]، وهذا يعني انها اصبحت موالية للامبراطورية البيزنطية ولم يكن ذلك ليرضي الامبراطورية الساسانية التي كانت تسعى لضمها اليها قوميا ودينياً[5]، ولذلك حاول الملك سابور الثاني اعادة سيطرته عليها، واتبع لاجل ذلك طريقة دبلوماسية قائمة على التدخل في شؤونها الداخلية باثارة التخاصم والفرقة بين ابناء البلاد، فقام بحماية وتشجيع النبلاء (الطبقة الارستقراطية) الوثنيين الموالين له على معارضة ورفض الدين الجديد واثارة الفوضى والاضطرابات[6].

1- رستم، الروم، ج1، ص 75؛ فرح، نعيم، تاريخ بيزنطة منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن للميلاد، (دمشق: جامعة دمشق، 1978م)، ج1، ص41.

2- **Ostrogorsky , History of the Byzantine State,p.27.;**
توفيق، عمر كمال، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (مصر: دار المعارف، 1967م)، ص24.

3- عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية، ج1، ص119؛
Bausani, The Persians,p.58.

4- حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص57؛ رستم، الروم، ج1، ص75؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص41؛ ويحدد (اميل) تاريخ ذلك التنصر بسنة 302، (تاريخ ارمينيا، ص18)، اما (ستارجيان) فيرجع تاريخ ذلك التنصر الى سنة 305م (تاريخ الامة الارمنية، ص116).

5- حافظ، المصدر نفسه، ص59.

6- دياكونوف، تاريخ ايران، ص297؛ وللتفصيل عن المنازعات بين القبائل الارمنية وما احدثته من فوضى في البلاد ينظر: ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص122.

ويبدو ان نجاح سياسة سابور الثاني الدبلوماسية في اضعاف جبهة ارمينيا شجعته على المواجهة العسكرية واعلان الحرب على بيزنطة، فارسل الى الامبراطور قسطنطين مطالباً اياه بان يعيد له المقاطعات الخمس التي اقتطعت من دولته في عهد جده الملك نرسي بموجب معاهدة نيسيبيس سنة 298م، ولذلك أخذ الامبراطور قسطنطين سنة 337م يستعد عسكرياً لمواجهة تهديد الملك سابور الثاني، ويقال انه طلب من بعض الاساقفة مرافقته الى ميدان الحرب لاقامة الصلوات [1].

والواقع ان المعلومات التي اوردتها المصادر عن استعدادت الامبراطور قسطنطين العسكرية قليلة وغير واضحة، فالمؤرخ (اسد رستم) [2] يشير الى ان الامبراطور قسطنطين اوقف تلك الاستعدادات لان الساسانيين فاوضوه في طلب الصلح وان هذا حدث قبيل عيد الفصح الذي صادف في 3 نيسان 337م، ومع اننا نجد اشارة مماثلة في روايات المؤرخين الاوائل وفيها " ان سابور هادن قسطنطين ملك الروم"[3]، الا اننا نعتقد ان تلك المهادنة حدثت في وقت سابق أي قبل سنة 337م ربما في الوقت الذي انشغل فيه الملك سابور الثاني بتأديب القبائل العربية[*] التي تجاوزت على المناطق الجنوبية من دولته[4] مستغلة تردي اوضاعها الداخلية بعد وفاة الملك

1- ادي شير، تاريخ كلدو واشور، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، 1912م)، ج2، ص65؛ ابونا، تاريخ الكنيسة الشرقية، ج1، ص37 – 38.

2- الروم، ج1، ص72.

3- الطبري، تاريخ، ج1، ص400؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، (بيروت: دار القلم، 1989م)، ج1، ص254؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، تعليق: محمود ديوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م)، ج1، ص83.

* ونعني بها قبائل اياد وعبد القيس وبكر بن وائل وتميم وتغلب وغيرها ممن كانت تسكن البحرين وكاظمة والخط وعمان (الطبري، تاريخ، ج1، ص399؛ علي، المفصل، ج2، ص638؛ خوري، ابراهيم والتدمري، احمد جلال، سلطنة هرمز العربية (سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي)، (راس الخيمة: 1999م)، مج1، ص136).

4- ابن قتيبة، المعارف، ص656؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص399.

هرمز الثاني سنة 309م وضعف السلطة المركزية التي يمثلها ملك الملوك (سابور الثاني) في العاصمة طيسفون، او في الوقت الذي انشغل فيه بمواجهة الخطر الذي هدد حدود دولته من جهة الشرق والمتمثل بالدولة الكوشانية[1]، وقد أكدت بعض المصادر العلاقة الطيبة بين الملك سابور الثاني والامبراطور قسطنطين، فقد جاء فيها ان الامبراطور قسطنطين ارسل الى الملك سابور الثاني رسالة يشكره فيها على حسن معاملته للمسيحيين الموجودين في بلاده ويوصيه بهم خيراً[2]، وبما ان حملة القمع والاضطهاد التي قام بها الملك سابور الثاني ضد المسيحيين بدأت سنة 319م[3] فهذا يعني ان علاقة الصداقة بينهما انتهت بتلك السنة.

وعلى وفق ذلك فاننا نشك في اشارة المؤرخ (اسد رستم) اعلاه، الذي ظهر لنا من خلال استقراء الاحداث ان استعدادت الملك سابور الثاني كانت اقوى من ان يطلب الصلح، وانه لا يوجد هناك ما يبرر هذا الطلب، فستأنف نشاطه الحربي جاء بعد ان استتبت له الامور في داخل دولته بالحد من نفوذ النبلاء والعظماء، وبعد ان حجم خطر العرب، وقضى على الدولة الكوشانية وجعل منها ولاية تابعة للساسانيين يتولى حكمها امراء من البيت الساساني[4].

وتجمع المصادر على ان الامبراطور قسطنطين توفي في 22 آيار 337م قبل ان يبدأ خططه الحربية ضد الساسانيين[5]، وخلفه على عرش الامبراطورية ابنائه الثلاث ابنائه الثلاث قسطنطين الثاني (Constantine II) (337 - 340م) الذي تولى حكم

1- Chrishman ,Iran from... ,p.296؛ مهر ابادي، تاريخ كامل، ص821.

2- ابونا، تاريخ الكنيسة، ج1، ص37؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص69.

3- الكلداني، بطرس نصري، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، (الموصل: دار الاباء الدومنيكيين، 1905م)، ج1، ص77.

4- Chrishman ,Iran from... ,p.296 ولكنه لم يذكر تاريخ ذلك والراجح انه حدث قبل سنة 337م.

5- تشارلزورث، الامبراطورية الرومانية، ص216؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص26؛ Reid, The Re Organization of The Empire, p.32.

الجزء الغربي من الامبراطورية (ايطاليا وغالة واسبانيا وقسماً من شمال افريقيا) وقسطنطيوس (Costantius) (337 – 361م) وتولى حكم الجزء الشرقي من الامبراطورية (مصر وسوريا واسيا الصغرى وتراقيا)، اما الابن الثالث وهو قسطانز (Constans) (337 – 350م) فقد تولى حكم (الليريا (وسط البلقان وبلاد اليونان) وقسماً من شمال افريقيا) [1]، غير ان هؤلاء الاخوة لم يكونوا على وفاق فقد طمع كل منهما في ملك الاخر وكانت النتيجة ان آل حكم القسم الغربي الى الاخ الثالث قسطانز بعد تغلبه على اخيه قسطنطين في معركة اكويليا (Aquileia) سنة 340م[2].

وهذا يعني انهم انشغلوا بمنازعاتهم الداخلية عن محاربة الملك سابور الثاني الذي استغل تلك الاوضاع لصالحه فهاجم في نهاية سنة 337م ارمينيا، وتمكن من استعادة اتروباتين التي كانت قد ضمت اليها سنة 298م بموجب معاهدة نيسيبيس[3]، وفي سنة 338م حاصر مدينة نيسيبيس المركز الرئيس للبيزنطيين في ارض الجزيرة الفراتية، واستمر الحصار مدة شهرين لكن تحصينات المدينة ومقاومة اهلها الى جانب الامراض التي تعرض لها جيشه بسبب كثرة الحشرات من البعوض والذباب اجبرت الملك سابور الثاني على انهاء الحصار والاكتفاء بالاغارة على نواحي المدينة وهزيمة الفرق البيزنطية التي اعترضت طريقه [4].

وفي سنة 340م توفي ملك ارمينيا المسمى خسروف كوداك (337 – 340م) فاستغل الملك سابور الثاني ذلك وبادر الى ارسال اخيه الامير نرسي للاستيلاء عليها

1- رستم، الروم، ص74؛

Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.65

2- جيبون، اضمحلال الامبراطورية الرومانية، ج1، ص553؛

Jones, A.H.M, The Later Roman Empire 284 - 602 "A social Economic and Administrative Survey", Oxford, 1964, Vol, 1, p.112.

3- زرين كوب، روزكاران، ص207.

4- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص564؛ ابو مغلي، ايران، ص148.

وتولي العرش فيها قبل ان يدخلها البيزنطيون وبالفعل تحقق للملك سابور ما كان يصبوا اليه فانظمت ارمينيا الى دولته سنة 341م[1]، الا ان ذلك لم يستمر طويلًا ففي سنة 342م تمكن الارمن من الحاق الهزيمة بالامير نرسي، واجلسوا على العرش الارمني الملك ديران بن خسروف (342 - 350م)[2].

وفي سنة 346م حاصر الملك سابور الثاني نيسيبيس للمرة الثانية ولكنه لم يوفق[3]، وبعد سنتين أي سنة 348م سار بجيش كبير نحو ارض الجزيرة الفراتية فالتقى بجيوش الامبراطور قسطنطيوس عند مدينة سنكارا، وتدل الخطة التي وضعها الملك سابور الثاني لهذه المعركة على كفاءته الحربية واستعداده التام للمواجهة، فقد انطوت تلك الخطة على افساح المجال امام البيزنطيين لنهب معسكره وسلب كل ما فيه، اما هو فقد جمع جيوشه في التلال المطلة على المدينة، فلما حل الظلام هاجم الجنود البيزنطيين الذين كانوا غارقين في الاحتفال بما وقعت عليه ايديهم من اسلاب وتمكن سابور الثاني من ان يحسم النتيجة لصالحه[4].

بعد هذا النجاح جعل الملك سابور الثاني نيسيبيس هدفه الثاني فزحف نحوها سنة 350م، ويبدو ان البيزنطيين قد احتاطوا للامر فعملوا على تعزيز وتقوية تحصيناتها وبعد سبعين يوماً من الحصار غير المجدي فكر الملك سابور الثاني بتحويل المنطقة المحيطة بالمدينة الى بحيرة فقام بسد نهر مقدونيوس (Mygdonius) (جغجغ)[*] الذي يصب في نهر الخابور بعد ان يترك نيسيبيس، ففاض النهر حتى احاط بالمدينة واحدث في سورها ثغرة واسعة عندها ساق الملك سابور الثاني جيشه من الخيالة

1- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص124؛ زرين كوب، روزكاران، ص207.
2- ستارجيان، المصدر نفسه، ص124.
3- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص565؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص60.
4- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص565.
* نهر مقدونيوس (جغجغ): هذا النهر هو بقايا نهر شُكير العباس الواقع على نهر الهرماس قرب ملتقاه بنهر الخابور (لسترنج، بلدان الخلافة، ص127 و128 هامش رقم (33)).

والفيلة باتجاه المدينة غير انه لم يوفق في دخولها بسب بسالة اهلها في الدفاع واسراعهم في اصلاح الاضرار التي اصابت اسوارها، كما ان المياه اغرقت من غرق من الجيش الساساني واربكت صفوفه واخيراً وجد نفسه مضطراً الى مهادنة البيزنطيين[1]، والعودة الى بلاده لمواجهة خطر الاسكيثيين والهون[*] الذين أخـذوا يغيرون على الحدود الشمالية الشرقية لدولته[2].

استمرت حروب الملك سابور الثاني الشرقية مدة سبع سنوات(350 – 357م)[3]، ولم توضح المصادر التي ذكرتها لنا تفاصيلها وجزئياتها وانما اكتفت بالاشارة الى ان الملك سابور الثاني تمكن من اخضاع تلك القبائل وانـه سنة 357م عقد معها معاهدة تحالف تقرر بموجبها اسكان تلك القبائل في القسم الشمالي من دولة كوشان مقابل تعهدهم بتقديم المساعدة والوقوف الى جانبه في حروبه مع البيزنطيين[4].

1- مار ميخائيل، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية: مار غريغور لويس صليبا شمعون، تقديم: مار غريغور لويس يوحنا ابراهيم، (حلب: دار ماردين للطباعة، 1996م)، ج1، ص193 – 194.

* الهون: سمو بهذا الاسم نسبة الى هيو – نج – نو (Hiu - ng - nu) وهم من اقدم القبائل المغولية التي سكنت اسيا الوسطى لا سيما منغوليا وشمال الصين،(ويلز، معالم تاريخ الانسانية، مج2، ص523؛ ايمار، اندريه و اوبوايّه،جانين، تاريخ الحضارات العام (روما وامبراطوريتها)، ترجمة: يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر، اشراف: موريس كروزيه، (بيروت، منشورات عويدات، 1964م)، ص550؛ Tenen, Junior Histories ,P. 259)، ويذكر (حاطوم) من دون ان يشير الى تاريخ ذلك انهم تمكنوا من تأسيس امبراطورية لهم في منغوليا وفرضوا احترامهم على الشعوب الاسيوية من تخوم كوريا الى الحدود الغربية لترسكتان الصينية وقادتهم حملاتهم الى سور الصين العظيم، ولكن الامبراطور الصيني يو – تي (140 – 76ق.م) صد هجماتهم واضطرهم الى الفرار سنة 128ق.م، ولاسباب لا زالت مجهولة وجدت اقوام منهم في روسيا سنة 363م على شاطئ بحر الخزر واخذت تزاحم قبائل اللان والقوط حتى وصلت الى نهر الدانوب (تاريخ العصر الوسيط، ج1، ص23).

2- دياكونوف، تاريخ ايران، ص297؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص451.

3- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص 567؛ زرين كوب، المصدر نفسه، ص451؛العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص48؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص61.

4- لويد، الرافدان، ص166؛ سايكس، المصدر نفسه، ج1، ص565 – 566.

وفي القوت الذي انشغل فيه سابور بحروبه الشرقية انشغلت الدولة البيزنطية بمعالجة مشاكلها الخاصة(*)، وانتهى الامر في سنة 353م بانفراد قسطنطيوس بالسلطة وحكم الامبراطورية من دون منافس [1].

وفيما يتعلق بارمينيا فان ملكها ديران بن خسروف بعد ان رأى رجحان كفة الساسانين في معركة سنكارا مال الى مصادقتهم وتعهد بدفع الضريبة لملكهم سابور الثاني الذي وجد في ضعف الملك ديران ونقمة الشعب ضده فرصة مناسبة للاستيلاء على ارمينيا فعهد سنة 350م بتنفيذ ذلك الى حاكم ولاية اتروباتين، وقد تمكن الاخير بمؤامرة دبرها من تأسير الملك ديران وأسرته، ونقلهم بعد ان سمل عيني الملك الى البلاط الساساني [2].

ومع ان هناك رواية مفادها ان الارمنيين طلبوا المساعدة من الامبراطور قسطنطيوس وان الاخير لبى طلبهم وسار بنفسه لمواجهة الملك سابور الثاني الذي سبقه في التوجه لاحتلال ارمينيا، وفي احدى سهولها حدثت معركة بين الطرفين اجبر فيها الملك سابور الثاني على طلب الصلح وان الامبراطور قسطنطيوس اشترط عليه اطلاق سراح الملك الارمني الكفيف واعادته الى بلاده [3]، الا اننا نشك في صحة تلك

---

* في سنة 350م ثار الجند على حاكم الجزء الغربي قسطانز وقتلوه واغتصب العرش شخص لم تذكر لنا المصادر عنه شيء سوى ان اسمه ماجنتيوس Magnentius وانه انهزم امام قسطنطيوس في معركة مورسا Mursa في 28 ايلول سنة 351م (جيبون، اضمحلال، ج1، ص553؛ Jones , The Later Roman Empire ,Vol,1 ,p.113.)

1- جيبون، المصدر نفسه،ج1،ص553؛ Jones, The Later Roman Empire ,Vol,1 ,p.113؛ اما (بينز) فيذكر ان انفراد الامبراطور قسطنطيوس بحكم الامبراطورية الموحدة كان سنة 350م (نورمان، الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، (الدار القومية للطباعة والنشر، د. ت)، ص41) اما المؤرخ (رنسيمان) فيحدد تاريخ ذلك بسنة 351م (الحضارة البيزنطية، ص26).

2- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص125 - 126؛ Baynes ,Norman, Byzantine Studies and Other Essays ,University of London , The Athlone Press(1955),p.188.

3- ستارجيان، المصدر نفسه، ص126؛ Baynes , Byzantine Studies ,p.188.

الرواية وما يبرر هذا الشك ان الامبراطور قسطنطيوس في ذلك الوقت كان مشغولاً باعادة توحيد الامبراطورية تحت سلطته بعد مقتل اخيه قسطانز، ثم ان الخطر الذي تعرضت له حدود الدولة الساسانية الشمالية الشرقية لم يكن من السهولة بحيث ان الملك سابور الثاني يتجاهله ويتوجه الى ارمينيا، والذي نرجحه من خلال سير الاحداث ان سابور الثاني خاف من ان يتحالف الارمن الذين اهينت كرامة ملكهم مع البيزنطيين ضده في الوقت الذي كان عليه مواجهة خطر القبائل الاسكيثية والهون، وتجنباً لخطر ذلك التحالف اعاد الملك ديران الى بلاده ووافق على طلبه في ان يتولى العرش ابنه ارشاك الثاني (Arshak II) (351 – 367م)،وظل الملك ارشاك حاقداً على الملك سابور الثاني ويتحين الفرص للثأر لابيه وقد استغل انشغاله في حروبه الشرقية فعقد سنة 352م تحالف مع البيزنطيين وضع بموجبه بلاده تحت نفوذهم[1] وتزوج من اولمبياس (Olympias) ابنة احد القادة البيزنطيين وبذلك خرجت ارمينيا مرة ثانية من تبعيتها للدولة الساسانية [2].

ويذكر المؤرخ (اميانوس مرسيلينوس) [3] انه في سنة 356م تلقى الملك سابور الثاني رسالة من الامبراطور قسطنطيوس يعرض عليه الدخول في المفاوضات لعقد صلح دائم بين الطرفين، فكتب له سابور الثاني رسالة بهذا المعنى يقول فيها "…. ان الامبراطور قد اصلح بالتجربة خطأه وعاد الى الطريق السوي، وقد مد آباوه (اباء سابور) سلطانهم الى حدود مقدونيا، وانه كذلك قد جاوز في الجلال وكثرة الفضائل الملوك الاولين، وان عليه ان يستعيد ارمينيا وبلاد الجزيرة اللتين اخذتا غصباً من

1- ستارجيان، المصدر نفسه، ص 126؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص61.
2- ستارجيان، المصدر نفسه، ص 126؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص568؛ ابو مغلي، ايران، ص148 – 149؛ ويحدد (رستم) تاريخ التحالف الارمني البيزنطي بسنة 355م ويسمي الملك الارمني (ارشك الثالث) (الروم، ج1، ص76).
3- نقلاً عن: كرستنسن، ايران، ص226؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص569؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص237.

جده، ....، وكما ان الاطباء يكوون او يبترون أعضاء الجسد أحياناً، فعلى الامبراطور ان يتنازل عن جزء صغير من ارضه على هذه الطريقة، واذا عاد السفراء الساسانيون من غير ان يظفروا بشيء فان الملك العظيم سيسير بكل قواه لحرب الإمبراطور، بعد استراحة الشتاء ".

ورد عليه الامبراطور قسطنطيوس "....، ارفض عرضك رفضاً تاماً، واذا كان البيزنطيون قد اثروا احياناً الحرب الدفاعية على الحرب الهجومية فان هذا الايثار لم يكن عن خوف ولكنه عن اعتدال، واذا كان البيزنطيون قد اضطربوا في الحرب في بعض المعارك فان النتيجة النهائية للحرب لم تكن تدور عليهم "[1].

ان قرأة متفحصة لمضمون رسالة الملك سابور الثاني تبين لنا انه لم تكن له نوايا صادقة في ايقاف الحرب وعقد الصلح وان الشروط المهينة التي فرضها على خصمه الامبراطور قسطنطيوس ماهي الا انذار صريح باعلان الحرب بعد ان ينتهي من مشكلة الجبهة الشرقية، وهذا ما حدث بالفعل، ففي سنة 359م بدأ الملك سابور الثاني حربه الثانية مع البيزنطيين وقد شرح المؤرخ (اميانوس مرسيلينوس) تفاصيلها فذكر ان سابور الثاني وجد في محاصرة قلاع الجزيرة الفراتية مضيعة للوقت والاموال لذا قرر الزحف باتجاه سوريا الا انه وجد البيزنطيين قد وضعوا في طريقه ما لا يمكن اقتحامه من العراقيل فاضطر الى التوجه شمالاً وسلوك الطرق الملتوية في داخل اسيا الصغرى وقد ادت به تلك الطرق الى المرور بمدينة نيسيبيس التي تجنب محاصرتها، ثم انه توجه نحو مدينة اميدا (Amida) (امد)[*] وسار بجيشه البالغ مئة الف بمحاذاة اسوارها وكان يعتقد انه بذلك العدد الكثيف سيقع الرعب في نفوس اهل المدينة وسيدفعهم الخوف الى الاستسلام، غير انه ما ان اقترب من بوابتها حتى اخذ رماة

1- نقلاً عن: كرستنسن، المصدر نفسه، ص226؛ العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص48 - 49.

* اميدا (امد): قصبة ديار بكر، تقع على غربي دجلة، وصفت بانها كثيرة الشجر والزروع (المقدسي، احسن التقاسيم، ص136، 140؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص287).

المدينة يطلقون السهام على جيشه فاصاب احدها خوذته واصاب اخر ابن الملك كرومباتس ملك الهون – الذي شارك مع الجيش في القتال الى جانب الساسانيين –[1]، فاغضب ذلك الملك سابور الثاني وقرر محاصرة المدينة محاصرة شديدة استعمل فيها كل انواع الات الحصار الى جانب الفيلة الهندية التي وصفها (مرسيلينوس) [2] بقوله: " ليس هناك من شيء أرهب واهول للعقل البشري من اصواتها وضخامة اجسامها " وبعد ثلاثة وسبعين يوماً من الحصار الذي فقد فيه الملك سابور الثاني 30.000 من جنوده انهدم جزء من سور المدينة فتمكن سابور وجنوده من دخولها وشرع في قتل وتأسير اهلها [3]، وكان من بين الاسرى المؤرخ اميانوس مرسيلينوس نفسه [4].

وفي السنة التالية أي سنة 360م تمكن من الاستيلاء على مدينة سنكارا ومدينة بازبدا[*] واقام حامية فيهما، وقد حاول الامبراطور التصدي له وايقاف زحفه الا انه فشل[5]، وفي الثالث من تشرين الثاني سنة 361م توفي الامبراطور قسطنطيوس وخلفه ابن عمه جوليان (Julien) (361 – 363م) الملقب بالجاحد او المرتد لتخليه عن المسيحية وتمسكه بالوثنية [6].

1- نقلاً عن: لويد، الرافدان، ص166؛ وللتفصيل ينظر: كرستنسن، ايران، ص229 – 233.

2- نقلاً عن: لويد، المصدر نفسه، ص167.

3- لويد، المصدر نفسه، ص167؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص569 – 570؛ خنجي، امير حسين، تاريخ ايران زمين (تاريخ ايران از دور تربن دوران تا سال 628ميلادي)، ص555 – 558 www.irantarikh.com taarikh.؛ وللتفصيل ينظر: كرستنسن، ايران، ص233 – 237.

4- مرسيلينوس، العراق، مقدمة المترجم ص12.

* بازبدا: او بيت زبدى: قرية قبالة جزيرة ابن عمر سميت كورتها بها، تقع على ضفة نهر دجلة الغربية وبالقرب منها جبل الجوديّ وقرية الثمانيين (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص311؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص152).

5- رستم، الروم، ج1، ص76؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ج1، ص41؛ ابو مغلي، ايران، ص149.

6- مار ميخائيل، تاريخ، ج1، ص202؛ رستم، الروم، ج1، ص77؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص60؛ ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص135.

كان الامبراطور جوليان امبراطوراً طموحاً وكان يعتقد انه قادر على اعادة الامور في الشرق الى نصابها لذا نقل مقر قيادته الى انتيوخيا فوصلها في التاسع عشر من تموز سنة 362م [1]، ويبدو ان الملك سابور الثاني لم يرغب في الحرب هذه المرة بل حاول مفاوضته في اقامة السلم والوئام، الا ان الامبراطور جوليان ابى ان يصغي الى رسله، واكتفى بالرد عليهم بعد ان استعد تماماً للمواجهة (قريباً تروونني)[2]، وقد حاول الامبراطور جوليان هذه المرة الافادة من الامير (هرمز) الاخ الاكبر لسابور الثاني الذي هرب[3] لاجئاً الى بلاطه فجعله من بين قواده[4].

ومما ينبغي التوقف عنده ان المؤرخ (اسد رستم) [5] يقول عن هرمز الذي يسميه (هورمزد) " وكان هذا لا يزال داخل الحدود الرومانية منذ سنة 324م"، وهذا يعني ان الامير هرمز ظل في سجنه الذي سجنه فيه العظماء المتنفذون في دولته منـذ سنة 309م حتى سنة 324م وهي السنة التي تولى فيها سابور الثاني زمام الامور في دولته بصورة فعلية، ويبدو ان خوف الامير هرمز من ان تطوله يد اخيه (من غير امه) سابور الثاني وطمعه في ان يتولى عرش البلاد دفعه الى الفرار الى الرومان املاً في الحصول على مساعدتهم في تحقيق هدفه الاخير، وهذا يفسر لنا سبب مرافقته للامبراطور جوليان في حملته ضد اخيه (أي هرمز) الملك سابور الثاني.

بالمقابل وجد الامبراطور جوليان في مساعدة الامير هرمز في الجلوس على عرش بلاد فارس فرصة طيبة في فرض شروطه عليه والحصول على بعض الامتيازات في اراضيه [6].

1- رستم، المصدر نفسه، ج1، ص83.
2- المصدر نفسه، ج1، ص84؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص237.
3- ينظر الفصل الثاني، ص 101 من هذه الاطروحة.
4- رستم، الروم، ج1، ص84؛ خنجي، تاريخ ايران، ص558.
5- المصدر نفسه، ج1، ص84.
6- خنجي، تاريخ ايران زمين، ص558.

واستناداً الى ما ذكره المؤرخ الروماني (اميانوس مرسيلينوس) الذي كان جندياً مشاركاً في حملة الامبراطور جوليان على العراق - ان الامبراطور جوليان سار[*] في 26 أذار سنة 363م من انتيوخيا باتجاه الفرات على رأس جيش كبير مكون من 65 الف جندي[**] واسطول نهري قوامه الف ومئة سفينة، وعند وصوله الى مدينة كرها قسم جيشه على قسمين ارسل القسم الاول بقيادة بروكوبيوس (Procopius) شرقاً الى نيسيبيس ليهاجم بمساعدة حليفه ملك ارمينيا ارشاك الثاني ولايات بلاد فارس الحدودية (اقليم اتروباتين) بعدها يتقدم ليلتقي بالجيش البيزنطي الرئيسي في طيسفون، وسار بنفسه مع القسم الاخر باتجاه الفرات في طريقه الى العاصمة طيسفون[1]، وكان الملك سابور الثاني قد اخطأ التقدير فحسب ان الجيش البيزنطي وكعادته في حملات الاباطرة السابقين سينطلق من نيسيبيس لذا اتجه بكامل جيشه نحو نهر دجلة للقائه هناك[2]، غير ان الامبراطور جوليان سار بالقسم الاكبر من جيشه الذي يرافقه الاسطول جنوباً وبمحاذاة الضفة اليسرى لنهر الفرات [3]، وفي احدى محطات التوقف على الفرات استقبله (المشارقة) (Saraceense) رؤساء القبائل العربية وقدموا له تاجاً من الذهب مع بعض القطعات المحاربة تعبيراً عن الدخول في طاعته فقبلها الامبراطور بالرضى[4].

* عن مسير حملة الامبراطور جوليان على العراق ينظر: خارطة رقم (2).

** في رواية ستين الف (ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص135) وفي رواية اخرى مئة الف (سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص572) علماً ان المؤرخ الانكليزي المهتم بالدراسات الايرانية سايكس اعتمد في ايراد معلوماته عن حملة جوليان على العراق على التفاصيل التي ذكرها المؤرخ الروماني مرسيلينوس.

1- نقلاً عن: سايكس، المصدر نفسه، ج1، ص572 - 573؛ لويد، الرافدان، ص168.

2- رستم، الروم، ج1، ص 85.

3- الرافدان، ص169.

4- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 23، الفصل الخامس، فقرة 1.

وتؤيد روايات المصادر مشاركة العرب في تلك الحملة الى جانب البيزنطيين اذ جاء فيها "... واجتمع في عسكر لليانوس (جوليان) من العرب مئة الف وسبعون الف مقاتل، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم بعثه على مقدمته يسمى يوسانوس(*)، اما من بقي في عسكر لليانوس من العرب.... " (1).

وعلى الرغم من المبالغة الواضحة في عدد العرب الذين انضموا الى معسكر الامبراطور جوليان الذي بلغ ثلاثة اضعاف الجيش الذي اعده الامبراطور نفسه الا انه يشير الى الحقد الكبير والضغينة الشديدة التي يكنها العرب للملك سابور الثاني لما لاقوه منه من قسوة ومن التنكيل بهم، فارادوا الانتقام والثآر منه عند سنوح اول فرصة لهم.

ويفهم من النص اعلاه ان الامبراطور جوليان قسم العرب على قسمين او فرقتين، فرقة ضمها الى قائد مقدمته يوسانوس، وفرقة ضمها الى الجيوش التي تولى قيادتها هو بنفسه.

وبصحبة القبائل العربية دخل الامبراطور جوليان حصن قرقيسيوم (Cercusim) (قرقيسيا)(**) (2)، وظل فيه حتى عبرت جيوشه الجسر العائم الذي اقاموه على نهر ابوراس (الخابور) ليوصلهم الى حدود الامبراطورية الساسانية وبعد ان عبر هو النهر وكان اخرهم امر بقطع الجسر دلالة على عزم لا رجعة منه (3) وقد اتبع في تقدمه سياسة

* يوسانوس: هو الامبراطور جوفيان الذي اختاره الجنود البيزنطيين امبراطوراً لهم بعد وفاة جوليان.

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص400؛ مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ)، تجارب الامم وتعاقب الهمم، (بيروت: دار الكتب العلمية،2003م)، ج1، ص111؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص 254.

** قرقيسيوم (قرقيسيا): مدينة على الفرات والخابور بالقرب من الرقة (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص72؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص281)، وقيل هي نفسها مدينة الزباء صاحبة جذيمة الابرش (المهلبي، الكتاب العزيزي، ص112).

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 23، الفصل الخامس، فقرة 1.

3- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 23، الفصل الخامس، فقرة 4.

الارض المحرقة اذ اباح لجيشه سلب ونهب وتخريب جميع القلاع والقرى والمدن التي يمرون بها في طريقهم او يستولون عليها، وبعد يومين من المسير من قرقيسيا وصلوا الى مدينة دورا (Dura)(*) فوجدوها مدينة خربة لكنها كثيرة الغزلان وبعد ان اصاب الجيش والبحارة مؤنتهم منها [1]، واصلوا تقدمهم واستيلاءهم على مدن الفرات الاوسط الواحدة بعد الاخرى، اذ استولت فرقة من اسطوله النهري الذي كان يحمل ما يقارب الف مقاتل يقودهم لوكيليانوس (Lucilianus) على حصن اناثا (Anatha) (مدينة عانة)(**)[2]، وبعد ان انقض الجيش على المدينة واحرقها، سار متابعاً النهر حتى وصل الى حصن ثلوثا (Thalutha)(***) الواقع وسط النهر وقد وفرت الطبيعة لهذا الحصن درجة عالية من المناعة بحيث ان الامبراطور لم يجرؤ على محاصرته واكتفى بمطالبة اهله بالاستسلام فكان جواب الاهلين بانهم لن يستسلموا حتى يروا البيزنطيين داخل بلادهم [3]، لكنهم بعد ذلك سمحوا لسفنهم ان تمر امام اسوار مدينتهم من دون مقاومة[4].

* دورا: يقصد بها دورا يوروبوس (Dura Europos) بنائها الملك السلوقي سلوقس الاول (323 – 280 ق.م)، وفي سنة 100 ق.م استولى عليها الفرثيين وصارت في عهدهم مدينة قوافل مزدهرة ثم استولى عليها الرومان سنة 165م وفي ايامهم اصبحت المدينة حصنا حدودياً، وبعد سنة 256م بقليل استولى عليها وخربها الملك الساساني سابور الاول (241 – 272م)، وخرائب دورا يوروبوس تعرف في الوقت الحاضر بـ (الصالحية) قرب دير الزور (محمد، مشتاق طالب، مدن العراق القديمة، ترجمها عن الموسوعة البريطانية، مجلة (ميزوبوتاميا)، العدد المزدوج 5 و6، (بغداد: مركز دراسات الامة العراقية، 2005م)، ص69).

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الاول، فقرة 5.

** عانة: مدينة صغيرة على جزيرة في وسط الفرات بين الرحبة وهيت (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص228؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص912).

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الاول، فقرة 6.

*** حصن ثلوثا: هذا الحصن عند (موسيل) هو جزيرة تلبس الصخرية الواقعة على بعد 14 كم جنوب شرق مدينة عانة (الوا، الفرات الاوسط « رحلة وصفية ودراسات تاريخية »، ترجمة: د. صدقي حمدي والاستاذ عبد المطلب عبد الرحمن داود، مراجعة: د. صالح احمد العلي ود. علي محمد المياح، (بغداد: مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1990م)، ص361).

3- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 1.

4- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 2.

وهـذا يعنـي ان اهـل ثلوثـا قاومـوا جيـوش الامبراطـور اول الامـر، غيـر ان عجزهـم عـن صده وخشـيتهم مـن ان يفـرض عليهـم الحصار الـذي قد يطـول امده دفعهم الى الاستسلام.

وقـد فعـل اهالـي حصـن اخيـاكالا (Achaiacala)(*) مثـل ذلـك، امـا الحصـن الاخـر(**) الـذي وصلـوا اليـه فـي اليـوم التالـي فقد وجـدوه مهجـوراً بسـبب ضعف اسـواره وعجـز اهلـه عـن المقاومـة وبعـد ان احرقـوه[1]، اسـتمروا فـي تقدمهم حتى وصلوا الى مكان يسـمى باراكسـملخا (Baraxmalcha)(***) بعــد ان قطعوا مسـافة 7 أميـال(****) (14كـم) عبـروا النهـر الـى مدينـة دياكيـرا (Dicira) (مدينـة هيـت)(*****) وقـد وجدوهـا هـي الاخرى خاليـة من السـكان، الا انها كانـت تحتوي علـى مخازن كبيــرة للحبـــوب والملــح، ويسـتطرد (مرسـيلينوس)[2] في قوله " واحرقنا المدينة وقتلنا بعض النسوة اللاتي وجدناهن فيها".

* حصن اخياكالا: يعينه (موسيل) بمدينة حديثة في الوقت الحاضر (الفرات الاوسط، ص362).

** يرجح (موسيل) ان يكون مكان هذا الحصن خربة سفلة (Sifle) الواقعة على بعد 20 كم جنوب شرق مدينة حديثة (الفرات الاوسط، ص362).

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 2.

*** باراكسـملخا: ومعنـى الاسـم (المخاضـة او الفرضـة الملكيـة) ويرجـح (موسـيل) ان يكـون موقعـه خرائــب العويــرا (Awera) الواقعــة علــى بعــد 10 كــم مــن مدينــة هيــت (الفــرات الاوســط، ص362).

**** الميل يساوي ثلث الفرسخ أي 2كم (هنتس، فالتر، المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (عمان: منشورات الجامعة الاردنية،1970م)، ص95.وبما ان المسافة كانت سبع اميال فهذا يعني انها تساوي 14 كم.

***** هيـت: مدينـة شـمالي الفـرات بهـا عيـون القـار والنفـط بينهـا وبيـن القادسـية ثمانيـة فراسـخ وبينهـا وبيـن الانبـار واحـد وعشـرون فرسـخاً (المهلبي،الكتـاب العزيـزي، ص119 - 120؛ابـو الفـداء، تقويم البلدان، ص299).

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 3.

وبعد ان دمر الجيش مدينة دياكيرا استمر في زحفه مدفوعاً بنشوة النصر بموازاة الضفة اليسرى للنهر حتى وصل الـى ماسيبراكتا (Macepracta)(*) فشاهدوا فيها بقايا اسوار مخربة يقال انها كانت تحمي بلاد اشور من الهجمات الخارجية (1)، وعند هذه المدينة يتفرع من نهر الفرات فرعان احدهما نهر ملخا (Nahr Malcha)(**) الذي يمر من طيسفون(***) وعند مدخله برج اقام عليه الجنود جسراً (2) اوصلهم الـى مدينة بيريسابوراس او فيروزسابور (Pirisaboras)(الانبار)(****) وهي مدينة كبيرة وحصينة،

* ما سيبراكتا: يرجح الاثاري البريطاني لويد ان تكون هذه المدينة هي (سبار) التي تعرف خرائبها في الوقت الحاضر بـ (ابو حبة) الواقعة جنوب غرب بغداد، وذلك لان اللفظة قريبة من الاسم (الرافدان، ص169)، ويرفض (الالوسي) راي (لويد) معللاً ذلك الرفض بقوله « ان نهر الملك وهو احد فروع نهر الفرات الذي يسقي اراضي هذه المدينة يجب ان يكون الى الشمال من مدينة الانبار التي وصلها الجيش البيزنطي بعد عبوره له « (مرسيلينوس، العراق، تعليق الالوسي ص61 هامش رقم (34)) ومن خلال تتبعنا لمسيرة الحملة كما وصفها المؤرخ الروماني (اميانوس مرسيلينوس) يتبين لنا صحة راي الالوسي. ويرجح (موسيل) ان يكون الموضع المشار اليه هو خرائب ام الروس الواقعة على بعد 12 كم شمال شرق المشهد (الفرات الاوسط، ص57، 363)، والمشهد هو الجامع الذي بني اكراماً لامير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في قرية صندودا الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات فوق مدينة الانبار (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص168).

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 5.

** نهر ملخا او نهر ملكا: يرى (موسيل) ان المؤرخ (مرسيلينوس) اخطأ في تسمية هذا النهر بنهر ملكا وذلك لان نهر ملكا يتفرع من نهر الفرات في مكان ابعد الى الجنوب الشرقي بمسافة كبيرة، وان هذا النهر هو نهر الكرمة (الصقلاوية) (الفرات الاوسط، ص 363 – 364) والذي سمي في عهد الدولة العباسية بنهر عيسى نسبة الى عيسى بن علي عم الخليفة المنصور الذي جدد حفره (لسترنج،بلدان الخلافة،ص91 – 92).

*** نعتقد ان الاصح انه يؤدي الى طيسفون لانه يصب في نهر دجلة جنوب بغداد.

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 7.

**** بيريسابوراس او فيروز سابور(الانبار): بلدة قديمة من نواحي بغداد على شاطئ الفرات (ياقوت الحموي، المشترك، ص27؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص301) المسافة بينهما اثنا عشر فرسخـا (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص71)، وصفها (البكري) بانها حد فارس وانها انما سميت الانبار تشبيها لها ببيت التاجر الذي ينضد فيه متاعه (معجم ما استعجم، ج1، ص197)، وهي من بناء الملك الساساني سابور الاول (241 – 272م) (الاصفهاني، تاريخ سني، ص39).

ولما تبين للامبراطور حصانتها امر بمحاصرتها لتخويف اهلها ودفعهم الى الاستسلام الذي رفضوه عندما انذرهم به، وما ان نصبت الآت الحصار على المدينة وبدأت برمي قذائفها[1] التي هدمت احد ابراجها [2]، حتى سارع المدافعون الى الاستسلام وبلغ عدد من استسلم 2500 شخص اما باقي السكان فهربوا بقوارب صغيرة الى الضفة الثانية من النهر، وبعد ان نهب الجيش مخازن الاسلحة والمؤن[3]، احرق كعادته المدينة [4].

وبعد ان سار قرابة 14ميلاً (28كم) من هناك وصلوا الى حقول ذات مستنقعات طبيعية[*]، ويتابع (مرسيلينوس) [5] قوله " وبما ان الفرس كانوا عارفين باننا سنسلك هذا السبيل رفعوا السدود وغمروا الارض بالمياه فتحولت الى ما يشبه البطائح ".

الذي يستوقنا في قول المؤرخ (مرسيلينوس) اعلاه التدابير التي اتخذها الساسانيين لمواجهة تقدم الجيش البيزنطي اذ يتبين لنا انها كانت تدابير احتياطية دفاعية ذاتية غير رسمية بمعنى ان سكان المدن اعتمدوا على انفسهم في صد تقدم جيوش الامبراطور جوليان من دون ان يتلقوا مساعدة رسمية من الجيش الساساني.

واذا ما عدنا لنتابع سير الحملة حسب وصفه، فان الجيش البيزنطي بعد عبوره لمنطقة المستنقعات وصل الى مدينة موكا ملخا (Maogamalcha)[**]، وهي من المدن

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 9.

2- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 12.

3- المصدر نفسه، العراق، الكتاب 24، الفصل الثاني، فقرة 22.

4- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثالث، فقرة 3.

* يحدد (موسيل) موقع منطقة المستنقعات بقناة دفّار الواقعة في جنوب شرق مدينة الانبار، ويصفها بانها سهل منخفض لا يزال يفيض عليها نهر الفرات بين حين وآخر مكوناً بحيرة او اخدوداً موحلاً يزيد طوله على 15كم وعرضه 1 كم (الفرات الاوسط، ص364).

5- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثالث، الفقرتان 10و11.

** موكا ملخا: ويسميها (موسيل) ميوزا ملخا (Maiozamalcha) ويرى ان معنى اسمها حصن الملك او الحصن الملكي وانها سميت بذلك لوقوعها على نهر ملكا ويحدد موقعها بـ (خان ازاد) على بعد 18 كم غرب طيسفون (الفرات الاوسط، ص366).وبما ان هذه المدينة تقع على ضفاف نهر ملكا او نهر الملك=

الحصينة [1]، وما ان اكمل الامبراطور استعداداته لمحاصرته حتى عاد اليه قائده فيكتور (Victor) من جولته الاستكشافية التي كان قد كلفه فيها لتأكد من سلامة الطرق المؤدية الى طيسفون، فاخبره قائلاً " ان لا عقبة في طريقنا اليها " [2]، وهذا يؤكد - ما كنا قد اشرنا اليه - في ان تدابير الجانب الساساني ظلت غير رسمية وان جيوش الامبراطور لم تواجه في تقدمها مقاومة من قبل الجيش الساساني حتى وصلت الى مشارف العاصمة طيسفون، ولعل روايات الاخباريون تسعفنا في ادراك سبب ذلك فقد جاء فيها " ان الملك سابور الثاني بعد ان علم ان الامبراطور ليانوس (جوليان) زحف نحو بلاده بجيش مكون من الروم والعرب والخزر[*] بعث عيونه لياتوه بالاخبار عن عدوه، ولما اختلفت عليه الاقاويل قرر ان يفعل ذلك بنفسه فخرج من بلاده متنكراً مع مجموعة من ثقاته، وعند اقترابهم من مقدمة جيش الامبراطور الذي كان يقوده يوسانوس (جوفيان)،ارسل الملك سابور الثاني بعض مرافقيه لاستطلاع الاخبار واخباره بحقيقة جيوش عدوه، غير ان هؤلاء قبض عليهم واخذوا الى يوسانوس فاخبره احدهم بحقيقة امرهم ودله على مكان الملك سابور الثاني وسأله ان يرسل معه

= فهذا يعني ان الجيش البيزنطي اجتاز النهر قبل وصوله اليها، ويذكر الاستاذ (سوسه) ان نهر ملكا او الملك هو النهر الثالث الذي يتفرع من الجانب الايسر لنهر الفرات في موضع يبعد بضع كيلو مترات جنوب نهر صرصر (ابي غريب في الوقت الحاضر) وذلك قرب صدر الرضوانية عند (تل ابي محمد) ثم يجري في اتجاه نهر الرضوانية حتى اذ وصل مدينة سيبار (أبي حبة) ينقسم الى نصفين، الشرقي يجري بموازاة جدول اليوسفية ماراً بـموكا ملخا (خان ازاد) ثم ينحدر الى الجنوب الشرقي نحو نهر دجلة (احمد، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثارية والمصادر التاريخية، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1986م)، ج2، ص156).

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الرابع، فقرة 2.

2- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الرابع، فقرة 13.

* الخزر: قوم من اصل تركي، سكنوا منطقة شمال بحر قزوين الذي عرف ببحر الخزر نسبة لهم، أي في مناطق جنوب روسيا، عاصمتهم اتل او ايتيل (للتفصيل ينظر: الداقوقي، حسين علي، دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا، (عمان: دار الينابيع للنشر والتوزيع، 1999م)، ص60 - 87).

بعض من جنوده ليسلم لهم سابور، فلما سمع بذلك يوسانوس وكانت بينه وبين سابور مودة قديمة ارسل معه احد المقربين منه ليحذر سابور ويطلعه على ما صار عليه امره"[*][1].

نستشف من هذه الرواية فطنة الملك سابور ومقدرته العسكرية فبعد ان اطلع على حقيقة عدد عدوه وقوته قرر عدم زج جيشه في معارك جانبية تنهك قواه، وان من

* لقد اثرنا الرواية اعلاه عن سواها من الروايات التي ذكرها قسم اخر من الاخباريين لما في تلك الروايات من خلط وتداخل بين عهد الملكين سابور الاول وسابور الثاني من جهة ولامتزاج الاسطورة فيها بالحقيقة التاريخية من جهة أخرى، وقد اكد ذلك المؤرخ (ابن خلدون) الذي علق عليها بعد ان ذكرها بشكل مختصر قائلاً « وهي قصة واهية تشهد العادة بكذبها « (تاريخ، ج2،ص174).

ومما جاء في تلك الروايات (ان سابور الثاني بعد ان فرغ من امر العرب اخبر اصحابه انه يرغب بدخول ارض الروم ليعرف اخبارهم وعدد جنودهم، فتنكر وسار الى القسطنطينية، فصادف وليمة اقامها القيصر اجتمع فيها الخاص والعام منهم فدخل سابور الثاني في جملتهم، وجلس على بعض موائدهم، وكان القيصر قد امر مصور اتى عسكر سابور فصوره له، فلما جاء قيصر بالصورة امر بها فصورت على انية الشراب من الذهب والفضة، وأتي من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس، فنظر بعض الخدم الى الصورة التي على الكأس، فعجب من اتفاق الصورتين، فقام الى الملك فاخبره، فامر به فمثل بين يديه، فساله عن خبره، فاجابه: اني من أساورة سابور استحققت العقوبة لامر كان مني، فدعاني ذلك الى الدخول الى ارضكم، فلم يقبل منه، فامر القيصر بان تذبح بقرة، ويلبس سابور جلدها، وانتهز القيصر فرصة وقوع سابور بيده، فسار بجنوده الى العراق، فقتل وخرب حتى وصل الى مدينة جنديسابور فحاصرها، فبينما هو على ذلك اذ اغفل المؤكلون بحراسة سابور، وكان بقربه جماعة من اسارى بلاد فارس، فامرهم ان يصبوا عليه زقاقا من الزيت كانت هناك ففعلوا فلان عليه الجلد وتخلص، وسار الى المدينة واخبر حراسها فادخلوه، فارتفعت اصوات اهلها، فاستيقظ الروم، وجمع سابور من بها وخرج الى الروم فقاتلهم واسر القيصر وغنم امواله ونساءه وامره ببناء سد تستر والزمه بنقل التراب من بلد الروم ليبني به ما هدم المنجيق من جنديسابور وان يغرس الزيتون مكان النخل والتمر الذي عضده ولم يكن يُعهد بالعراق الزيتون من قبل، ثم قطع عقبه وبعث به الى الروم على حمار وقال هذا جزاؤك ببغيك علينا) (ابن قتيبة،المعارف، ص657 – 658؛ ابن البطريق، سعيد (افتيشيوس) (ت340هـ)، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، 1905م)،ج1، ص119 – 121؛ المسعودي، مروج الذهب،ج1،ص242 – 243؛ الثعالبي،غرر السير، ص522 – 528؛ وذكر الفردوسي رواية غير تلك ينظر: (الشاهنامه،ج2،ص65 – 69)

1- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 237 – 238؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص52؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص400 – 401؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص111 – 112؛ الثعالبي، غرر السير، ص521 – 528؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص254؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص70 – 71.

الافضل ادخار تلك القوة للمعركة الرئيسة الفاصلة التي حرص ان تكون قريبة من العاصمة طيسفون ليجتمع على جيش العدو الذي انهكه طول الطريق وشدة الحر حصانة المدينة وقوة الجيش المستعد للمواجهة.

وبعد دخول الجيش البيزنطي مدينة موكا ملخا [1]واصل سيره تجاه العاصمة طيسفون وبينما هو في طريقه اليها شاهدوا قصراً فخماً مبنياً على الطراز الروماني فسره ذلك ولم يمسه بضرر [2].

وهذا يعني تأثر الملوك الساسانيين بفن العمارة والبناء الروماني فشيدوا قصورهم على طرازه وبالتأكيد انهم افادوا في هذا الجانب من خبرة المهندسين الاسرى.

ويضيف (مرسيلينوس) وكان في المكان ذاته حديقة حيوانات واسعة ضمت انواعاً من الحيوانات المتوحشة، اريد من جمعها تسلية الملك ولهوه، وبعد ان خرب الجيش هذا المتنزه وقتل من فيه من الحيوانات [3]، قام معسكره على مقربة من كوخي(Coche)[*] التي تسمى بـ (سلوقية) ايضاً، وبعد يومين من الاستراحة والتزود بالماء والمؤن من ذلك المكان [4]، واصل الجيش مسيرته فحاصر الحصن[**] وبعد مقاومة عنيفة واجهها من حامية الحصن المحاصرين ومن الجيش الساساني الذي كان على الجانب الايسر من النهر تم الاستيلاء على الحصن واحراقه [5]، واستمر الجيش

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الرابع، فقرة 30.
2- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الخامس، فقرة 1.
3- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الخامس، فقرة 2.
* كوخي: احدى ضواحي مدينة سلوقية، يعتقد ان موقعها كان بين النهروان والعزيزية (مرسيلينوس، العراق، تعليق الالوسي ص63 هامش رقم (48)).
4- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الخامس، فقرة 3.
** لم يذكر لنا اسمه.
5- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الخامس، الفقرات 7، 11.

في تقدمه حتى وصل الى قناة تسمى نهر الملك(*) كان الامبراطور تراجان (98 - 117م) وبعده الامبراطور الكسندر سفيروس (222 - 235م) قد عُنيا بتعميقها وتوسيعها لجعلها صالحة للملاحة بين نهري الفرات ودجلة، وقد وجد الامبراطور هذه القناة جافة [1]، ويبدو ان الساسانيين عملوا حساباً لهذه الحركة من جانب البيزنطيين فعمدوا الى اعاقة الملاحة فيها بسدها بالاحجار، وبعد ان ازال الامبراطور تلك العوائق عبرت قواربه الى نهر دجلة ثم عبر الجيش تلك القناة على جسور عائمة الى الضفة اليسرى من النهر واصبح على مقربة من كوخي في الجهة الاخرى[2].

وبعد ان اقام الجند عسكرهم في هذا المكان وضع الامبراطور خطته الحربية التي انطوت على العبور الى الضفة اليمنى للنهر (ضفة طيسفون) بعد الاستيلاء على سلوقية، وعهد بتنفيذ هذه المهمة الى قائده الكونت فيكتور [3]، وما ان استولى الاخير على سلوقية واصبح على مقربة من ضفة طيسفون[4] حتى تصدى له قسم من الجيش الساساني بافيالهم الحربية التي قال عنها " انها كالتلال المتحركة " [5] فاسرعت جيوش الامبراطور لنجدته واشتبك الفريقين في معركة عنيفة استمرت من الصباح الى غسق الليل خسر فيها الساسانيين ما يقارب 2500 من جنودهم واجبر الباقين مع قادتهم بيكرانس (Pigranes) وسورينا (Sueena) ونرسي (Narses) على التحصن في طيسفون وقد اصيبوا اثناء تراجعهم بجروح في ارجلهم وظهورهم [6].

---

* نهر الملك: لم يكن هذا النهر هو نهر الملك ذاته الذي يصب في دجلة جنوب بغداد، وانما هي قناة مدت من نهر ملكا الى نقطة تقع فوق العاصمة طيسفون (لويد، الرافدان، ص170).

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل السادس، فقرة 1.

2- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، فقرة 2.

3- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، فقرة 4.

4- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، الفقرتان 5و6.

5- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، الفقرة 8.

6- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السادس، الفقرات 10 - 15.

ومع ان روايات المصادر العربية تؤيد رواية المؤرخ (مرسيلينوس) في الايقاع بجيش سابور الثاني واجباره على التحصن في العاصمة طيسفون،الا ان تلك الروايات تنسب ذلك الدور للعرب المشاركين في تلك الحملة فجاء فيها " وان من كان في عسكر لليانوس من العرب سألوه ان ياذن لهم في محاربة سابور، فاجابهم الى ما سألوه فزحفوا الى سابور، فقاتلوه ففضوا جمعه، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهرب سابور فيمن بقي من جنده... "[1]، ويعلق المؤرخ الالماني (نولدكه)[2]على الرواية اعلاه مشككاً في دور العرب في تلك الحملة " ان هذا الموضوع اضافه العرب لكي ينسب كل شي لهم ".

والواقع ان ما لدينا من ادلة في هذا الجانب تجعلنا لا نوافق الاستاذ (نولدكه) فالمصادر تؤكد ان الملك سابور الثاني صالح العرب واسكنهم في مناطق عدة من دولته،فجاء فيها " ان سابور استصلح العرب واسكن بعض قبائل عبد القيس[*] وبكر بن وائل[**] كرمان[***] وتوَّج[****] والاهواز

1- الطبري، تاريخ،ج1،ص401؛ مسكويه،تجارب الامم، ج1، ص112؛ابن خلدون،تاريخ،ج2، ص173.

2- تاريخ ايرانيان، ص93 هامش رقم (1).

* عبد القيس: جاءت قبائل عبد القيس الى البحرين من تهامة (الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1926م)، ج1، ص81؛ ابن حزم الاندلسي، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ)، جمهرة انساب العرب، ط3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م)، ص299) وانتشرت بطونها في اكثر اطرافها ونزلت اهم مدنها وسواحلها ولذلك عد بعض المؤرخين البحرين لعبد القيس (ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص31).

** بكر بن وائل: ذكر (الهمداني) ان ديار بكر امتدت من اليمامة الى البحرين الى سيف كاظمة الى البحر فاطراف سواد العراق فالابلة فهيت (الحسن بن احمد بن يعقوب (ت350هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق:محمد بن علي الاكوع، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983م)، ص284).

*** كرمان: اقليم واسع يشتمل على مدن كثيرة وواسعة بين فارس وسجستان ومكران وخراسان، قصبته السيرجان (ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص208؛ ياقوت الحموي، المشترك، ص372).

**** توج: من كور اردشيرخرة من مدن اقليم فارس (ياقوت الحموي، المشترك، ص85) واردشير خرة من بناء الملك اردشير بن بابك، والعرب يسمونها جور واليها ينسب الورد الجوري، بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص181).

(خوزستان)" [1]، وبالتأكيد ان هذا الاسترضاء والمصالحة جاءت بعد استيعابه للدرس الذي تلقاه على ايدي اولئك العرب في اثناء حربه مع البيزنطيين فاخذ يصلح خطأه في الاستهانة بقوتهم باسكانهم في اماكن عدة من دولته ليؤمن خطرهم من جانب وليضمن مساعدتهم له في حروبه القادمة مع البيزنطيين من جانب اخر.

ويبدو ان تعجرف الامبراطور جوليان واغتراره بما حققه من انتصار اثناء تقدمه حتى وصوله الى العاصمة طيسفون جعله لا يحسن التعامل مع حلفائه العرب فيذكر المؤرخ (مرسيلينوس) [2] ان الامبراطور رفض طلبهم في ان يقدم لهم معونات الذهب التي كانت تقدم عادة الى رؤساء القبائل على شكل مكافئة، فسائهم ذلك فتركوه وانقلبوا عليه، بل ان قسم منهم انحاز الى جانب الساسانيين، واخذوا يتحرشون بعسكر الامبراطور جوليان، والحقوا به الخسائر، وباعوا من وقع في ايديهم من الاسرى في اسواق النخاسة.

ومع ان روايات المصادر تذكر " ان لليانوس احتوى على مدينة طيسفون محلة سابور، وظفر ببيوت اموال سابور وخزائنه فيها " [3]، الا اننا نرجح ان ذلك الاحتواء لم يكن على العاصمة طيسفون نفسها وانما على ضواحيها، فمن المعلوم ان المدائن كانت تتكون في الاصل من سبع مدن، وقد اكد تلك المسالة المؤرخ (مرسيلينوس)[4]، ومع انه يرجع سبب ذلك الى الارتباك الذي اصاب صفوف المهاجمين بعد مقتل قائدهم فيكتور، الا اننا نعتقد ان ذلك سبب غير كاف، فموت احد القادة من الامور

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص402؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص113؛ الثعالبي، غرر السير، ص529؛ ابن البلخي، فارس نارمة، ص69؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص173.
2- نقلاً عن: علي، المفصل، ج2، ص643.
3- الطبري، تاريخ، ج1، ص401؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص112؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص254.
4- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل السادس، الفقرة 13.

الطبيعية في حملة واسعة الهدف كتلك، والراجح ان الذي اجبر الامبراطور على التراجع عن دخول المدينة الى جانب حصانتها وقوة استحكاماتها فشل خطته في الحصول على الامدادات من جيشه الثاني الذي اتجه شرقاً نحو نيسيبيس والمقرر الالتقاء به امام مشارف العاصمة طيسفون بسبب امتناع حلفاءه الارمن عن تقديم المساعدة له(*)، ولا سيما انه كان بحاجة الى تلك الامدادات لعلمه ان الملك سابور الثاني سيتوجه بجيش كثيف لحماية طيسفون [1]، ويفوق ذلك في الاهمية الدور الذي أدته القبائل العربية في الايقاع بجيشه بعد ان اساء معاملتها فيذكر (مرسيلينوس) [2] ان سيد قبيلة عربية اسمه مالخوس (Malechus) (مالك) وقد عرف والده بـ(بودوساكيس) (Podosacis)، تمكن بمساعدة رجل اخر اسمه سورينا (Surena) من نصب كمين لكتيبة من الجيش البيزنطي، فوقعت تحت سيوف العرب، وذكر ان (مالك) كان سيد قبيلة اسمها (Assanitarum) يقال انهم الغساسنة.

ازاء ذلك وبعد ان رأى الامبراطور عدم الجدوى من محاصرة طيسفون قرر الانسحاب والعودة الى بلاده [3].

* كان الامبراطور جوليان قد ارسل الى حليفه ملك ارمينيا ارشاك الثاني يطلب منه الاسراع بمساعدة قائده بروكوبيوس في عبور نهر دجلة، ويبدو ان تعصب الملك ارشاك الثاني لديانته المسيحية جعلته يتقاعس عن تقديم تلك المساعدة للامبراطور جوليان الذي ارتد عن المسيحية، فاكتفى بارسال فرقة بقيادة قائد قواته (زورا رشدوني) وهذا بدافع التعصب الديني ايضاً امتنع عن خدمة الامبرطور المرتد، فاثار ذلك غضب الامبراطور جوليان وعد ذلك خيانة من جانب الملك ارشاك الثاني فكتب اليه كتاب يتهدده ويتوعده جاء فيه «... اسرع وبادر التسلح ضد التهور الساساني... فاذا خالفت امري.. فانا لا ابالي بذلك... يجب ان تعلم انني عقب انتصاري على الفرس ساتوجه اليك واحرق دارك، ولسوف ادمر الدولة الارمنية « فرد الملك ارشاك على هذا الكتاب بتمزيقه وامتناعه عن تقديم المساعدة (ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص135 – 136) ولم نجد في المصادر ما يشير الى ان الملك ارشاك الثاني مال الى جانب الساسانيين، وهذا يعني ان موقف ارمينيا هذه المرة كان موقفاً محايداً.

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل السابع، فقرة 1.

2- نقلاً عن: علي، المفصل، ج2، ص643 وسياتي الحديث عن الغساسنة لاحقاً.

3- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل السابع، فقرة 3.

وفيما يتعلق بطريق العودة فان الامبراطور جوليان بعد ان ادرك ان سياسة الارض المحروقة التي اتبعها في تقدمه حتى وصل الى العاصمة طيسفون قد دمرت الكثير من المراعي والحقول وان القرى الباقية غير قادرة على سد حاجة جيشه من المؤن، ولان الانهار في هذا الوقت قد فاضت بسبب ذوبان ثلوج الشتاء [1]، فانه قرر التوجه نحو المقاطعات الشرقية والاستيلاء على اقليم كردوينا (Corduene) (كردستان)[*][2]، ولخوفه من ان يقع اسطوله غنيمة بيد العدو الذي سيلاحقه قرر تحطيم ذلك الاسطول فاشعل النار فيه ولم ينج من تلك السفن سوى 12 سفينة امر ان تحمل على عربات اذ قد يكون لها نفع في بناء الجسور [3].

وفي السادس عشر من حزيران سنة 363م بدأ الامبراطور جوليان زحفه على المناطق الجبلية [4]، وما ان علم الجيش الساساني بذلك حتى اخذ بملاحقته فجرت بين الطرفين مناوشات حادة، حسمت نتيجتها لصالح البيزنطين [5]، الذين واصلوا سيرهم الى مدينة هوكمبرا (Hucmbra) (بعقوبة)[**][6]، وما لبثت المشاكل ان انهالت عليه تباعاً، فالى جانب حرارة الصيف المحرقة، وهجمات الساسانيين المتلاحقة واجهوا مشكلة الحصول على المؤن اذ عمد الساسانيين الى قطع خطوط التموين عليهم باحراق المحاصيل والاغلال التي من حولهم [7]، وما ان اصبحوا على مقربة من

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثامن، فقرة 2.

* أي الاقليم الشمالي من العراق.

2- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 24، الفصل الثامن، فقرة 5.

3- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل السابع، الفقرتان 4و5.

4- المصدر نفسه، الكتاب 24، الفصل الثامن، فقرة 5.

5- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الاول، الفقرات 1 - 3.

** هوكمبرا (بعقوبة): مدينة كثيرة البساتين يسقيها نهر جلولاء، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص294؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص207).

6- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل الاول، فقرة 4.

7- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الاول، فقرة 10.

مدينة مرنكس (Maranx)(*) حتى اعترضتهم جموع الساسانيين وهم في كامل استعداداتهم الحربية [1]، وقد نشبت بين الجانبين معارك غير حاسمة [2]، ثم عقدت هدنة بينهم لمدة ثلاثة ايام [3]، نقضها الجانب الساساني في 26 حزيران بهجوم متتابع على مقدمة ومؤخرة الجيش البيزنطي الذي انهكه شدة الحر وشحة المؤن، قتل فيه الامبراطور جوليان بعد ان اصابه سهم في كبده [4].

لقد عزز خبر وفاة الامبراطور جوليان موقف الجانب الساساني وشجع الملك سابور الثاني على الاسراع في حسم النتيجة لصالحه فارسل فرقة من الفرسان الملكيين(**) مدداً لقواته لتهجم على مؤخرة الجيش البيزنطي الذي اصابت صفوفه الارباك بعد مقتل ثلاثة من قواده، ولم يجد الامبراطور الجديد جوفيان (Jovian) سبيل امامه سوى التراجع السريع نحو الغرب فوصل الى مدينة سوميرا (Sumere) (سامراء)(***)[5] وظل الجيش الساساني يلاحقهم بهجماته المتلاحقة والخاطفة حتى اوصلهم الى منطقة دورا (Dura)(****) في الاول من تموز سنة 363م[6]، ولم تكن

* مرنكس: يرجح ان تكون قرية مارا او ماراح (Marrah) الواقعة على المشارف الغربية من جبال حمرين مكان هذه المدينة (مرسيلينوس، العراق، تعليق الالوسي ص87 هامش رقم (60)).

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل الاول، الفقرتان 11 و 12.

2- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الاول، الفقرات 13 – 18.

3- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الثاني، فقرة 1.

4- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل الثالث، الفقرات 2 – 7، 23.

** هي فرقة من الفرسان الاشداء تسمى فرقة الخالدين وتتكون من عشرة الاف مقاتل (نفيسي، تاريخ تمدن، ص22؛ كرستنسن، ايران، ص198).

*** سوميرا (سامراء): مدينة على شاطئ دجلة الشرقي، بينها وبين عكبرا اثنا عشر فرسخا (الاصطخري، مسالك الممالك، ص85؛ المهلبي، الكتاب العزيزي، ص116)

5- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل السادس، فقرة 4.

**** دورا: هي موقع ناحية الدور الواقعة شمال مدينة سامراء وفيها ضريح الامام محمد الدوري (لسترنج، بلدان الخلافة، ص74، 82 هامش رقم (1)؛ الالوسي، سالم، اكتشاف مهم في تلول العبرة الصغيرة، مجلة (سومر)، مج 10، ج1، (بغداد: مديرية الاثار القديمة العامة، 1954م)، ص 147).

6- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل السادس، فقرة 9.

تفصلهم عن تخوم امبراطوريتهم غير عبور نهر دجلة الذي صادف فيضانه في هذا الوقت الامر الذي يصعب معه اقامة الجسور للعبور، فضلاً عن ان الجيش الساساني تمكن من فرض سيطرته على ضفتيه[1]، بتلك الاسباب برر الامبراطور جوفيان رفضه لطلب جنوده بالمغامرة بعبوره، الا ان الحاحهم المتزايد وخوفه من ان ينقلبوا عليه سمح على سبيل المجازفة لـ (500) جندي من الجنود الذين اعتادوا عبور الانهار الكبيرة على عبوره[2]، وقد شجع نجاحهم في ذلك بقية الجند على العبور ولم يثنهم عن عزمهم على ذلك الا ما وعدهم به المهندسون البيزنطيون من اقامة جسر عائم من جلود الحيوانات[3]، غير ان شدة تيار النهر افشلت تلك المحاولة، فاصبح الجنود في وضع نفسي سيء وقد بلغ بهم التعب والجوع مبلغه[4]، فاستغل الجانب الساساني هذه الظروف لصالحه وارسل ملكهم سابور الثاني رسله الى الامبراطور جوفيان للتفاوض في عقد معاهدة صلح بين الطرفين[5]، وعلى الرغم من الشروط الصعبة والمهينة التي اشترطها سابور الا ان الامبراطور وافق عليها بالترحاب مضطراً[6]. والشروط التي نصت عليها معاهدة 363م هي:

1. تعاد للدولة الساسانية الولايات الخمس الواقعة فيما وراء نهر دجلة التي سلمها الملك الساساني نرسي للامبراطورية الرومانية بموجب معاهدة نيسيبيس سنة 298م.
2. تعاد للدولة الساسانية نيسيبيس وسنكارا والقلعة المسماة بـ (معسكر المغاربة)[*] فضلًا عن خمسة عشر حصناً أخر.

1- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السادس، الفقرتان 11 و12.

2- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السادس، الفقرتان 13و14 و الفصل السابع، فقرة 3.

3- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السادس، فقرة 15.

4- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السابع، فقرة 4.

5- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السابع، الفقرتان 5 و6.

6- المصدر نفسه، الكتاب 25، الفصل السابع، فقرة 7.

* معسكر المغاربة: وحدة عسكرية من مغاربة شمال افريقية تابعة للجيش البيزنطي كانت ترابط في اعالي نهر الفرات (مرسيلينوس، العراق، تعليق الالوسي ص90 هامش رقم (86)).

3. عدم تدخل الدولة البيزنطية في امور ارمينيا.
4. يكون نهر الفرات الحد الفاصل بين الدولتين الساسانية والبيزنطية.
5. تحدد مدة المعاهدة بين الطرفين بثلاثين سنة [1].

وبهذه الشروط التي تضمنتها المعاهدة ينتهي وصف المؤرخ اميانوس مرسيلينوس لحملة من اكثر الحملات خطورة على العراق.

اما المصادر العربية التي ترددت فيها اصداء تلك الحملة فتذكر " ان الملك سابور الثاني بعد ان استنقذ مدينة طيسفون من الامبراطور جوليان فان الاخير انسحب الى مدينة (به اردشير) (سلوقية) وبينما كان جالساً في غرفته اصابه سهم طائش فقتله، وان جنوده خافوا مما سيصيبهم على يد الملك الساساني (سابور الثاني) لذلك ملكوا عليهم يوسانوس (جوفيان) وكان هذا يدين بالديانة المسيحية فشرط عليهم الرجوع الى المسيحية فقبلوا ذلك، وان الملك سابور الثاني لما علم بمقتل ليانوس (جوليان) ارسل الى قواد الروم يقول لهم (ان الله قد أمكننا منكم، وادالنا عليكم بظلمكم ايانا، وتخطيكم الى بلادنا، وانا نرجو ان تهلكوا بها جوعاً من غير ان نهيئ لقتالكم سيفاً، ونشرع له رمحاً) وطلب منهم ان يرسلوا اليه من ملكوه عليهم ليجتمع به، فسار اليه يوسانوس مع ثمانين من رجاله فتلقاه الملك سابور الثاني بالترحاب وبالغ في اكرامه، ثم عقد معه الصلح على ان يعوضوه قيمة ما افسدوا وخربوا او يتنازلوا له عن نيسيبيس، واملاً في الخلاص وافق الامبراطور يوسانوس (جوفيان) على الشرط الاخير " [2].

1- مرسيلينوس، العراق، الكتاب 25، الفصل السابع، الفقرات 9، 12، 14ولم يذكر اسماء الحصون الخمسة عشر؛ جيبون، اضمحلال، ج2، ص83؛ سايكس، تاريخ ايران،ج1، ص580؛ لويد، الرافدان، ص173.

2- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 239 – 240 ويسمي يوسانوس بـ (برسانوس)؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص52 – 53؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص401؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص112؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص254 – 255؛ ابن خلدون، تاريخ،ج2،ص173 – 174.

يفهم من الرواية اعلاه ان الامبراطور جوليان بعد ان انقذ الملك سابور الثاني منه مدينة طيسفون(*) انسحب الى سلوقية أي انه عاد من الطريق نفسه الذي قدم منه، وانه بعد هذا الانسحاب لم يقع قتال بين الطرفين،وان نوع من المودة والصداقة جرت بين سابور الثاني وبين الامبراطور الجديد يوسانوس الذي كان يدين بالمسيحية، وان الملك سابور الثاني اكتفى تعويضاً عن الخسائر التي سببتها تلك الحملة بقتل وحرق وتخريب بنيسيبيس فقط.

الذي يتراءى لنا ان تلك الرواية لا تتفق مع الواقع التاريخي، فالمصادر تؤكد ان الملك سابور الثاني كان عازماً على استرداد المقاطعات الخمسة التي تنازل عنها جده نرسي للرومان بموجب معاهدة نيسيبيس سنة 298م، ولاجل ذلك دخل في حرب مع البيزنطيين مدة 12 سنة (338 – 350م) جددها سنة 359م بعد ان انهى حروبه الشرقية رافضاً الصلح الذي عرضه عليه الامبراطور قسطنطيوس سنة 356م [1]، ولهذا كان اول الشروط التي عقد على اساسها الصلح مع الامبراطور جوفيان هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان الامبراطور جوفيان كان مسيحياً، وان الملك سابور الثاني عرف باضطهاده للمسيحيين الذي استمر من (339 – 379م)(**)، ومعلوم ان هـذا الاضطهاد مرتبط

---

* لم تذكر لنا تلك المصادر كيفية ذلك.

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، 569؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص70؛ كرستنسن، ايران، ص226؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص237؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص65.

2- ** تسمي المصادر ذلك الاضطهاد بـ (الاضطهاد الاربعيني) لاستمراره نحو اربعين سنة (339 – 379م) أي حتى وفاة الملك سابور الثاني، واشتمل معظم البلاد التي يسكنها المسيحيون والخاضعة لنفوذ الدولة الساسانية، وقد وصفته بانه اسوأ الاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون، واطولها مدة واقساها تعذيباً واكثرها قتلا فقد بلغ عدد الذين ذهبوا ضحيته ممن عرفت اسماؤهم ستة عشر الف (ساكا، الاب اسحق، تاريخ دير مار متي، مستخلص عن كتاب دفقات الطيب في تاريخ دير القديس مار متي العجيب، (بغداد: مطبعة الزمان، 1975م)، ص9، وللتفصيل عن اسباب ذلك الاضطهاد ينظر: ميلر، و.م، تاريخ كليساي قديم در امبراطوري روم وايران، ترجمة: علي نخستين، (تهران:1382هـ)، ص272 – 277؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص64 – 66؛ الكلداني، ذخيرة الاذهان، ج1، ص78 – 79؛ ابونا، تاريخ الكنيسة، ج1، ص38 – 44؛ تسران، اوجين، خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ترجمة: سليمان الصائغ، (الموصل: 1939م)، ص16 – 18).

بالجانب السياسي فالسنة التي يكون فيها صلح مع البيزنطيين فانها تعد سنة اطمئنان للمسيحيين اذ يتوقف فيها الاضطهاد والمضايقة، ولم نجد في المصادر ما يشير الى ان المسيحيين نعموا بمثل ذلك الاطمئنان في مدة حكم الامبراطور جوفيان.

والخلاصة التي نصل اليها من ذلك هي التحفظ في قبول روايات المصادر العربية عن حملة الامبراطور جوليان على العراق لاعتمادها على ترجمة ابن المقفع المتوفى نحو سنة 143هـ/ 760م لكتاب (خداي نامة) الذي الف في اواخر عهد الدولة الساسانية وبالتحديد في بداية عهد حكم الملك يزدجرد الثالث (Jezdegerd 111)[1]، وعليه فان المعلومات التي قدمها المؤرخ الروماني (اميانوس مرسيلينوس) الذي كان جندياً مشاركاً في تلك الحملة وشاهداً لاحداثها تعد المصدر الرئيس لحروب الملك سابور الثاني مع البيزنطيين على الرغم من عاطفته ونزعته القومية.

وبابرام هذه المعاهدة استطاع الملك سابور الثاني ان يرفع من شأن دولته التي ضعفت زمن جده الملك نرسي الى اوج الرفعة والعظمة فقد انهى النفوذ الروماني – البيزنطي في ارض الجزيرة الفراتية بعد ان استمر قرابة 165 سنة ليصبح هذا القسم من العراق تحت النفوذ الساساني حتى الفتح الاسلامي، ولذلك يعد عهد سابور الثاني عهد مشرف من ناحية الانتصارات العسكرية ولاجل ذلك ولفتوحاته الاخرى اطلقوا عليه لقب سابور الكبير[2].

1- كرستنسن، ايران، ص46.

2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص580؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص239.

- العلاقات السلمية الساسانية - البيزنطية (364 - 420م).

اتسمت العلاقات السياسية بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية خلال المدة التي اعقبت عقد معاهدة سنة 363م وطوال ما يقارب سبعاً وخمسين سنة (364 - 420م) بالفتور وخفة حدة المنافسة والصراع بين الجانبين فالمشاكل والخلافات الدينية(*) التى عانت منها الامبراطورية البيزنطية منذ اعلان المسيحية ديانة رسمية للبلاد سنة 313م الى جانب هجمات القبائل الجرمانية(**) التى بدأت سنة 376م جعلتها

* شهدت المسيحية منذ اوائل عهدها خلافا مذهبياً قسم المسيحيين ومن ثم الامبراطورية الرومانية الى معسكرين متباغضين مدة قرنين من الزمان، وهذا الخلاف ظهر داخل الكنيسة المصرية في عهد الامبراطور قسطنطين الكبير (306 - 337م) بين اثنين من قساوستها بشأن الوهية السيد المسيح، ففي سنة 318م نادى آريوس (Arius) الذي عرف مذهبه بـ(الاريوسية) بوحدانية الله وانكر الوهية السيد المسيح، وفكرته تقوم على ان الابن (المسيح) مخلوق ولذلك فهو لا يساوي الاب (الاله) جوهراً وقدسية وازلية، وقد وجد مذهبه قبولاً وانتشاراً في القسم الشرقي من الامبراطورية، اما الاسقف اثناسيوس (Athanasius) فقد رفض آراؤه آريوس وثار عليها وظل محافظاً على مبدأ المساواة في الجوهر بين الاب والابن، وسادت ارائه تلك في الجزء الغربي من الامبراطورية، وعندما اشتد الجدال وتفاقم النزاع بين الطرفين خاف الامبراطور قسطنطين من ان يؤثر ذلك في وحدة الامبراطورية فقرر حسم الخلاف بعقد مؤتمر ديني عالمي (مجمع مسكوني) في مدينة نيقية في اسيا الصغرى سنة 325م ترأسه بنفسه وحظره 318 اسقفاً، اتفق المجتمعون على ادانة اريوس واقرار مذهب اثناسيوس، وقد استمر الخلاف بين اتباع اريوس واثناسيوس حتى بعد موتهما، اما موقف الاباطرة فقد تارجح بين مؤيد ومعارض للمذهب النيقي والاريوسي حتى عهد الامبراطور ثيودسيوس الاول (379 - 395م) حيث اعلن في مجمع القسطنطينية الذي عقد سنة 381م في مدينة القسطنطينية مذهب نيقية وهو مذهب اثناسيوس المذهب الرسمي للدولة(للتفصيل ينظر: مار ميخائيل، تاريخ، ج1، ص166 - 172؛ عمران، مقالات، ص66 - 81؛ يتيم، الاب ميشيل وديك، الاب اغناطيوس، تاريخ الكنيسة الشرقية واهم احداث الكنيسة الغربية، (حلب: مطبعة الاحسان، 1963م)، ص83 - 88).

** لقد كانت هجمات قبائل القوط بقسميها الغربي والشرقي من اشد هجمات القبائل الجرمانية خطراً على الامبراطورية، فقد ترتب على انتصارهم على الامبراطور فالنز (364 - 378م) امبراطور القسم الشرقي=

في امس الحاجة الى السلام مع الامبراطورية الساسانية التي كانت هي الاخرى تعاني من الفوضى والمشاكل الداخلية، فاغلب الملوك الذين تولوا عرشها - أي الدولة الساسانية - خلال المدة المشار اليها كانوا ملوكاً ضعفاء دخلوا في صراع طويل مع العظماء والاشراف الذين تنامت قوتهم ومكانتهم وبلغ من امر قوتهم ونفوذهم الى حد انهم كانوا يعزلونهم ويولونهم كيفما تتفق مصالحهم، فعزلوا الملك اردشير الثاني(379 - 383م) بعد اربع سنوات من توليه الحكم بعد اخيه سابور الثاني (ذا الاكتاف) [1]، ونصبوا بدلاً عنه ابن اخيه سابور الثالث (383 - 388م) بن سابور ذي الاكتاف، وفي عهده اضطربت احوال ارمينيا اذ تولى العرش فيها ارشاك الثالث (Arshak 111) (377 - 390م) فاستغل الملك سابور الثالث ذلك الضعف لصالحه وحاول استعادة سياسة اسلافه في ضمها الى نفوذه، فعين لحكمها خسروف الرابع[*] وزوجه من اخته وجهزه بجيوش ساسانية للمحافظة على عرشه وبذلك اصبح في

= وقتلهم اياه سنة 378م في معركة ادريانوبل (Adrianople) (ادرنة)، نتائجها الخطيرة على الامبراطورية الرومانية، اذ انها فتت من معنوياتها واضعفت قدرتها العسكرية، فشجعت قبائل جرمانية اخرى مثل الوندال والسويف والبرجنديين واللان على شق طريقها بالقوة في جهاتها المختلفة، وعلى الرغم من ان الامبراطورية حاولت اتقاء شرهم بالتحالف معهم وبمنحهم البعض من مناطقها، الا انهم ولا سيما القوط الغربيون بزعامة الاريك (Alaric) (395 - 410م) كانوا يرغبون في تولي عرش الامبراطورية بصورة فعلية، ولذلك استمروا في هجماتهم عليها حتى تمكنوا من احتلال روما سنة 410م (للتفصيل عن القبائل الجرمانية ودورها في سقوط روما سنة 476م ينظر: طرخان، دولة القوط، ص35 - 93؛

Pirenne,H, A History of Europe from the Invasions to the XVI Century, London (1967), pp.25 - 31; Koenigsberger, H.G &Briggs, Asa, A History of Europe "Medieval Europe 400 - 1500", Longman, New York (1989) pp. 25 - 31; Diehl, Charles & De L'institut Membre, History of the Byzantine Empire, Translated from the French By: George. B.Ives, New York (1945), p.7.

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص402؛ مسكوية، تجارب الامم، ج1، ص113؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص73؛ وينفرد الفردوسي بالاشارة الى انه حكم عشر سنوات وانه سلم التاج لابن اخيه سابور بن سابور وصار له وزيراً، (الشاهنامة، ج2، ص72).

* ولا يعرف صلة الملك سابور الثالث به والراجح انه كان من الموالين لسياسته.

البلاد ملكان ارشاك الثالث وخسروف الرابع، فما كان من الاول الا الانحياز الى جانب الامبراطورية البيزنطية في زمن الامبراطور ثيودوسيوس الاول (379 - 395م) الذي لم يكن اقل رغبة من منافسه الملك الساساني سابور الثاني في ضم ارمينيا لامبراطوريته [1]، وبعد ان ادرك الطرفان - الساساني والبيزنطي - عجزهما عن حسم الخلافات بشأن ارمينيا لصالـح احدهما اتفقا سنة 387م على تقسيمها الى قسمين شرقي وهو القسم الاكبر ويبلغ اربعة اخماسها اصبح تحت سيطرة الساسانيين وعرف في الشرق باسم ارمينيا الساسانية[*]، في حين خضع القسم الغربي وهو القسم الاصغر المكون من خمسها للسيطرة البيزنطية عرفت بارمينيا البيزنطية[**] [2].

كان هذا التقسيم وكما يبدو غنيمة بالنسبة للجانب الساساني وغبناً لجانب البيزنطي والراجح ان الذي دعا الامبراطور ثيودوسيوس الاول الى الاعتدال في مطالبه في ارمينيا هو رغبته في كسب صداقة الساسانيين للتفرغ لمواجهة القبائل الجرمانية الخطر الاكبر الذي كان يهدد امبراطوريته، اما فيما يتعلق بارمينيا فلا شك في ان تلك الاتفاقية كانت ضربة قاضية لحياتها السياسية والعسكرية.

1- ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص152.

* ضم قسم ارمينيا الساسانية المناطق الارمنية الواقعة الى شرق نهر الفرات الاعلى (مراد صو) والتي سميت بارمينيا الكبرى (حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص 27) ومن مدنها (خربوط، شمشاط، موش، خلاط، بدليس، وسطان، وان، ارجيش، باركيري، دوين (دبيل)، نخجوان، جلفا، البيلقان، موقان، ورثان، جنزة، زنكيان، بردعة، شموشة) ينظر خارطة رقم (1).

** ضم قسم ارمينيا البيزنطية المناطق الارمنية الواقعة الى غرب نهر الفرات الاعلى وقد سميت تلك المناطق بارمينيا الصغرى (حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص27) ومن مدنها (ملطية، سيواس، ارزنجان، ارضروم او قاليقلا، طربزندة، بابرت، كمخ، ابريق، عرب كير، طرندة) ينظر خارطة رقم (1)).

2- مشكور، ايران، ص309 - 310؛ مهر ابادي، تاريخ كامل، ص829 - 830؛ رازي، تاريخ مفصل ايران، ص65؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص64؛ مينورسكي، ارمينية صقع في غربي اسيا، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: ابراهيم زكي خورشيد واحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، (القاهرة: مطبعة الشعب، د.ت)، مج3، ص37؛ طه، صلاح الدين امين، الحياة العامة في ارمينية دراسة في اوضاعها الادارية والاجتماعية والاقتصادية 30هـ/ 651م - 247هـ/ 863م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الاداب، 1979م)، ص83.

لم يستمر الملك سابور الثالث بعد هذه الاتفاقية مدة طويلة اذ ما لبث ان قتله العظماء في بلاده سنة 388م[1]، ونصبوا بهرام الرابع[2]* (388 – 399م) وفي عهده انحاز خسروف الرابع ملك ارمينيا الساسانية الى جانب الامبراطور ثيودوسيوس الاول(Theodosius I) (379 – 395م) الذي عهد اليه حكم ارمينيا البيزنطية وشجعه على اعادة توحيد بلاده بالثورة على الملك بهرام الرابع، فارسل اليه الاخير جيشاً فقضى على تمرده واحضره الى بلاده وسجنه[3]، وكان ذلك سنة 392م ونصب بدلًا عنه اخاه بهرام سابور – أي اخو خسروف الرابع – [4].

ومما تجدر الاشارة اليه ان المؤرخ (ستارجيان) [5] ذكر من دون ان يشير الى تاريخ ذلك ان الملك الساساني بهرام الرابع اطلق سراح خسروف الرابع بعد وفاة اخيه بهرام سابور، واعاده الى حكم ارمينيا، وقد ايد المؤرخ (كرستنسن) [6] عودة خسروف الرابع للحكم من جديد وحدد ذلك بين سنتي(414 – 416م)، وهذا يعني ان اطلاق سراح خسروف الرابع وعودته الى حكم ارمينيا تم في عهد الملك الساساني يزدجرد الاول (Jezdegerd I) (399 – 420م) وليس في عهد

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص403؛ ابو مغلي، ايران، ص151.
2- * اختلف المؤرخون في نسبته فقسم منهم نسبه الى سابور الثالث (الاصبهاني، تاريخ سني، ص19؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص73؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص113؛ الثعالبي، غرر السير، ص595) والقسم الاخر جعله ابناً لاسابور ذو الاكتاف (الطبري، تاريخ، ج1، ص403؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص73؛ المستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص110) واكتفى قسم ثالث من المؤرخين بالقول انه ابن سابور ولا نعلم ان كانوا يقصدون به سابور ذو الاكتاف ام ابنه سابور الثالث (ابن قتيبة، المعارف، ص659؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص53؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص245؛ البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد (ت440هـ)، الاثار الباقية عن القرون الخالية، (لايبزك: 1923م)، ص121) ويرجح نولدكه ان يكون بهرام الرابع ابناً لسابور الثالث (تاريخ ايرانيان، ص102 هامش (1)).
3- بيرنيا، تاريخ ايران، ص241 – 242؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص95.
4- كرستنسن، ايران، ص241؛ ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص153.
5- المصدر نفسه، ص154.
6- ايران، ص241.

بهرام الرابع الذي يقال انه قتل في اثناء الاضطرابات التي حدثت في صفوف جيشه سنة 399م [1].

ودخلت العلاقات السياسية بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية مرحلة من الهدوء والوفاق في عهد الملك الساساني يزدجرد الاول (399 – 420م) الذي استهل عهده بالاحسان الى رعاياه من المسيحيين ولذلك تسميه بعض المصادر بالملك الطيب الرحوم المبارك بين الملوك[2]، وقيل في سبب سياسته تلك انه في بداية حكمه أي سنة 399م اصيب بمرض اعجز الاطباء في بلاده فارسل الى الامبراطور البيزنطي اركاديوس (Arcadius) (395 – 408م) امبراطور القسم الشرقي يطلب منه طبيباً ماهراً، فارسل له الاخير ماروثا اسقف مدينة مرتيروبوليس (Martyrpolis) (ميافارقين) [*]، وكان عالماً وطبيباً ماهر وارسل معه كتاباً اليالملك يزدجرد يوصيه فيه خيراً بالمسيحيين الموجودين في بلاده، وقد نجح ماروثا في معالجة الملك يزدجرد فاكرمه الاخير واحسن اليه وللمسيحيين الموجودين في بلاده[3] اذ امر باعادة بناء

---

1 - نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص103؛ رازي، تاريخ مفصل، ص65؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص242؛ وعند الدينوري " انه خرج يوماً متصيداً فرمي بنشابه فاصابته " (الاخبار الطوال، ص53 – 54) وعند الطبري " ان ناساً من الفتاك ثاروا اليه فقتله رجل منهم برمية رماها اياه بنشابة " (تاريخ، ج1، ص403).

2 - ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص98؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص70 – 71؛ الكعبي، نصير عبد الحسين صبار، التاريخ السياسي للدولة الساسانية في المصنفات العربية الاسلامية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الكوفة، كلية الاداب، 2002م)، ص87.

* مرتيروبوليس (ميافارقين): مع ان ابن حوقل يذكرها ضمن مدن الجزيرة الفراتية (صورة الارض، ج1، ص224) الا انه في موضع اخر يقول « ان ميافارقين من ارمينيا وقوم يعدونها من اعمال الجزيرة وهي من شرقي دجلة وعلى مرحلتين منها فلذلك تحسب من ارمينيا» (ج2، ص344)، وقال عنها (ياقوت الحموي) « ان اسمها عند البيزنطيين (مدور صالا) ومعناه مدينة الشهداء، يرجع بناؤها الى الامبراطور ثيودوسيوس الكبير « (معجم البلدان، ج5، ص235 – 237) وعدها بعض الجغرافيين من كور ديار ربيعة (ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص86؛ الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص126) اما (ابن عبد الحق) فيقول عنها انها اشهر مدينة في ديار بكر (مراصد الاطلاع، ج3، ص1342).

3 - مؤلف مجهول (من القرن الثاني عشر الميلادي)، تاريخ السعردي، نشره: ادي شير، (باريس: 1907م)، ج1، ص206؛ ميلر، تاريخ كليساي قديم، ص282؛ تسران، خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ص21؛ يار شاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق2، ص385.

الكنائس المخربة واطـلاق سراح المسجونين منهم بسبب عقيدتهم الدينية وسمح لهم بالتجول في كل مكان بالدولة [1].

ويبدو ان روح المسالمة التي اظهرها الملك يزدجرد الاول في معاملته للمسيحيين كانت سبباً في اثارة نقمة العظماء ورجال الدين الزرادشتيين ولذلك لقبوه بـ (بزه كار) أي الاثيم او الخشن[2]، الا انها من جانب اخر اثمرت عن تلطيف الاجواء وتقريب وجهات النظر بين العدوتين اللدودتين فتذكر المصادر ان امبراطور القسم الشرقي اركاديوس خاف على ولده الصغير ثيودوسيوس الثاني (408 – 450م) من دسائس البلاط فاوصى قبيل وفاته بان تكون الوصاية عليه للملك الساساني يزدجرد الاول [3]، الذي اخلص في صداقته للامبراطور اركاديوس، فارسل الى القسطنطينية بعد وفاته احد المقربين اليه لحماية الامبراطور الصغير ثيودوسيوس الثاني واعلن لمجلس الشيوخ البيزنطي ان عدو الامبراطور الصغير هو عدو الملك [4].

ولم يكتف يزدجرد بذلك بل انه لبى طلب القديس ماروثا في حماية مسيحي بلاد فارس فاصدر سنة 409م مرسوم الحرية الذي يقضي بحرية العبادة للمسيحيين في مملكته [5]، وسمح في سنة 410م بان ينعقد مجمع للاساقفة في سلوقية اقر فيه احكام

1- ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص98؛ ساكا، تاريخ دير مارمتي، ص10؛ كرستنسن، ايران، ص257؛ واكيم، ايران والعرب، ص60.
2- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 268؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص54؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص403؛ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص155؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص73 – 74.
3- بروكوبيوس، جنكهاي ايران وروم، ترجمه للفارسية: احسان يارشاطر، (طهران: 1959م)، فقرة 1؛ جيبون، اضمحلال، ج2، ص243؛ رستم، الروم، ج1، ص117؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص242 – 243؛ رنسيمان، ستيفن، المدنية البيزنطية، ترجمة: صالح احمد العلي، (بغداد: مطبعة وزارة المعارف، 1956م)، ص141؛ ادنيفر.م، دائرة المعارف زرين يا اطلاعات عمومي، أي ازنو يسذكان ايران وجهان، بامقدمة: محمد عباس، (د.م: د.ت)، ص1053.
4- بيرنيا، المصدر نفسه، ص243؛ رازي، تاريخ مفصل، ص65؛ رستم، الروم، ج1، ص117.
5- ميلر، تاريخ كليساي قديم، ص282؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص117.

وقواعد مجمع نيقية المنعقد سنة 325م [1]، ومعنى هذا ان مذهب كنيسة بلاد فارس صار يتفق مع المذهب والقواعد المعمول بها في الغرب.

واذا كان الملك يزدجرد الاول قد عدل عن سياسة التسامح مع المسيحيين الى الاضطهاد في اواخر حكمه فذلك لانهم اساءوا استعمال الحرية التي منحت اياهم فارتكبوا اعمالاً تحدوا بها الشعور الديني الزرادشتي لدرجة ان احد القساوسة سنة 420م تجرأ على تهديم وتخريب معبد زرادشتي في خوزستان قريب من الكنيسة الامر الذي جعل الملك يزدجرد يسوء الظن بهم ويضطهدهم [2]، الا ان هذا الاضطهاد وكما يذكر المؤرخ السرياني (ادي شير) [3] لم يكن عاماً بل انه اكتفى بتخويف الاشراف وقتل الذين تجاسروا على اهانة معابد النار الزرادشتية، وهذا يعني ان عقاب الملك يزدجرد الاول اقتصر على المسيئين من المسيحيين.

ويبدو ان القدر لم يسمح ليزدجرد بالاستمرار بهذه السياسة الانتقامية الجديدة اذ تذكر المصادر انه توفي سنة 420م[*]، وبوفاته انتهت علاقة المودة والصداقة مع بيزنطة.

1- ميلر، المصدر نفسه، ص283؛ نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص107 هامش رقم (3).

2- ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص107؛ رازي، تاريخ مفصل، ص65؛ وللتفصيل ينظر: كرستنسن، ايران، ص258 – 259؛ خنجي، تاريخ ايران، ص561.

3- المصدر نفسه، ج2، ص110.

* ترك الملك يزدجرد الاول بعد وفاته ثلاثة ابناء اكبرهم يسمى سابور كان في عهد ابيه حاكما على ارمينيا الساسانية، وثانيهما بهرام الخامس وكان ابوه قد ارسله وهو صغير الى امارة الحيرة العربية الموالية للساسانيين فتعهد ملكها المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (418 – 462م) بتربيته وتأديبه، اما نرسي وهو الابن الثالث للملك يزدجرد الاول فكانت امه يهودية ويبدو انه كان قاصراً عند وفاة والده، وكان الاشراف ورجال الدين قد اتفقوا على ابعاد ابنائه عن ورثة العرش فقتلوا الابن الاكبر (سابور) اثر وصوله من ارمينيا الى طيسفون ليتسلم الحكم ونصبوا بدلاً عنه اميراً من فرع بعيد من الاسرة الساسانية اسمه كسرى ملكاً عليهم، على ان هذا الموقف لم يجد قبولاً عند الامير بهرام الخامس الذي كفل له الملك العربي المنذر بن النعمان قوة عسكرية لاسترداد عرش ابيه توجهت نحو العاصمة طيسفون التي لم تتمكن من التصدي لهذه القوة، واضطر عظماء الدولة الى تنحية كسرى وتنصيب بهرام الخامس ملكاً على الدولة الساسانية (للتفصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج1، ص404 – 409؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص114 – 118؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص74 – 77؛ كرستنسن، ايران، ص260 – 261).

الحروب الساسانية ـ البيزنطية (421 ـ 506م)

تجددت الحرب ثانية بين الطرفين سنة 421م، أي في عهد الملك الساساني بهرام الخامس (420 – 438م) الملقب بـ (بهرام جور)[*] وكان سببها الاذى الذي الحقه هذا الملك برعاياه من المسيحيين وبتحريض من كبير وزرائه (مهر نرسي)[**] الذي عرف بتعصبه الشديد لدينه الزرادشتي وكرهه للمسيحيين [1]، فيذكر المؤرخ (ادي شير) [2] " انه لم يترك كنيسة الا هدمها ولا ديرا الا دكه "، ولم يكن امام المسيحيين ولا سيما في المناطق المتاخمة للامبراطورية البيزنطية سوى الفرار الى الملاذ الامن (الاراضي البيزنطية) فاخذوا يعملون على تأليب الحكومة للانتصار لدينها الرسمي، فلما طلب الملك بهرام الخامس من الامبراطور ثيودوسيوس الثاني(408 – 450م) تسليمه الهاربين من رعايا مملكته رفض الامبراطور تلبية طلبه[3] فكان رد الملك بهرام على ذلك الرفض ان قام بحبس ومصادرة اموال عمال التعدين البيزنطيين الذين ارسلوا

* جور: او كور نوع من الحمار الوحشي، ويذكر الخوارزمي انه لقب بهذا اللقب لولعه بصيد هذا النوع من الحيوانات (ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف (ت 387هـ)، مفاتيح العلوم، (د.م، د. ت)، ص103؛ المستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص112).

** مهر نرسي: هو مهر نرسي بن برازه بن فرُّخزاذ بن خُورَهَباذ بن سيفاذ بن سيسنابروره بن كي اشك بن دارا بن دارا بن بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب، من قرية ابراوان من كور اردشير خرة، وصف بانه حكيم دهره، كاملاً في ادبه، فاضلاً في جميع مذاهبه، متقدماً لاهل زمانه، اتخذه الملك يزدجرد الاول (399 – 420م) وزيراً له وظل كذلك في عهد ابنه بهرام الخامس (الطبري، تاريخ، ج1، ص403، 412).

1- كرستنسن، ايران، ص266 – 267؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص98.

2- تاريخ كلدو، ج2، ص111.

3- كرستنسن، ايران، ص267؛ ابونا، تاريخ الكنيسة، ج1، ص61؛ زرين كوب، روزكاران، ص215؛ تسران، خلاصة تاريخية للكنسية الكلدانية، ص25.

لاستخراج الذهب في بلاد فارس، وادى تصاعد الازمة الى قيام الحرب بين الطرفين سنة 421م، كانت مدينتا نيسيبيس وارمينيا مسرحاً لها [1]، وقد تولى قيادة الجيش الساساني الوزير مهر نرسي[2]، اما الجيش البيزنطي فكان بقيادة القائد اردبور، وفي المعركة التي جرت بينهما في مدينة ثيودوسيوبوليس(Thedosiopolis) (ارضروم)[*] منيت القوات الساسانية بالهزيمة، وقد فكر مهر نرسي القيام بحملة مضادة يجتاز فيها ارض الجزيرة الفراتية، لا انه وبسبب قلة الجيش الذي تحت قيادته اضطر الى التوقف عند مدينة نيسيبيس التي تعد من ممتلكات دولته، فقام البيزنطيون بمحاصرة تلك المدينة واقاموا الابراج الخشبية على اسوارها[3]، وكان من جراء تخريب مدينة ارضروم وتهديد نيسيبيس ان طلب الملك بهرام الخامس من ملك المناذرة[**] المنذر الاول بن النعمان[***] (418 – 462م) مهاجمة بلاد الشام، ليخفف من ضغط البيزنطيين عليه،

1- بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا، العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي، ترجمة: صلاح الدين عثمان، (الكويت: قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، 1985م)، ص 89؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص246.

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص412.

* ثيودوسيوبوليس (ارضروم): يسميها العرب ارزن الروم من مدن ارمينيا وهي غير مدينة ارزن التي تقع بالقرب من خلاط (ياقوت الحموي، المشترك، ص19؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص385) قل عنها (لسترنج) ان الارمن يسمونها كارين (Karin)، ووصفها بانها اكبر مدينة في بلاد قاليقلا وانها اصل اسم قاليقلا بارمينيا الكبرى (بلدان الخلافة، ص149).

3- بيغوليفسكيا، العرب، ص90؛ مهر ابادي، تاريخ كامل، ص850 – 851.

** المناذرة: سميت هذه الدولة بدولة المناذرة نسبة الى كثرة ملوكها الذين حملوا اسم (المنذر) وسميت بدولة النعامنة لكثرة من تسمى بـ(النعمان) من ملوكها، كما سميت بالدولة اللخمية بالنظر لان هؤلاء الملوك كانوا ينتمون الى قبيلة (بنو لخم)، كما اطلق عليهم اسم آل نصر وآل محرق، اما اسم دولة الحيرة فلان عاصمتهم كانت مدينة الحيرة (المسعودي، التنبيه والاشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله اسماعيل الصادق، (القاهرة: درب الجماميز، 1938م)، ص158؛ علي، المفصل، ج3، ص159؛ الملاح، الوسيط، ص213)

*** المنذر الاول بن النعمان: هو المنذر بن النعمان بن امرئ القيس، امه هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمرو الغساني (الاصفهاني، تاريخ سني، ص80).

غير ان التوفيق لم يحالف المنذر في ذلك الهجوم، فمني بخسارة كبيرة وهو يحاول عبور نهر الفرات، وكان ذلك سنة 421م [1]، بيد ان القوات البيزنطية لم تعرف كيف تجني ثمرة انتصارها ولا سيما بعد ان انتشرت اشاعة تقول باقتراب القوات الساسانية المدعمة بالافيال المقاتلة، مما اشاع الفزع في نفوسهم فاحرقوا الابراج الخشبية المعمولة للحصار[2] وطالبوا عقد الصلح مع الملك بهرام الخامس سنة 422م[3] حددت مدته بمئة سنة، ونصت بنوده على:

1. حرية الديانة المسيحية في الامبراطورية الساسانية وحرية الديانة الزرادشتية في سائر انحاء الامبراطورية البيزنطية
2. تتعهد الامبراطورية البيزنطية بدفع مبلغ من المال سنوياً للامبراطورية الساسانية لقاء حمايتها لمعابر القفقاس(القوقاز)[*] من خطر الهون [4].

ومن بين المصادر ينفرد الاستاذ (حسن بيرنيا)[5] بالاشارة الى ان البند الخاص بحرية الديانة المسيحية لم ينفذ بسبب معارضة رجال الدين الزرادشتيين، نفهم من اشارته تلك ان المعاهدة قد خفت من حدة ايذاء

1- بيغوليفسكيا، العرب، ص90؛ روتشتاين، غوستاف، تاريخ السلالة اللخمية، ترجمة: منذر البكر، مجلة (كلية الاداب)، ع 16، (البصرة: جامعة البصرة، 1980م)، ص245؛ علي، المفصل، ج3، ص208.

2- بيغوليفسكيا، The Persians، ص90.

3- مهرابادي، تاريخ كامل، ص851؛ كرستنسن، ايران، ص267؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص246؛ Bausani, The Persians,p.61

* تحوي جبال القفقاس (القوقاز) على ممرين مهمين يوصلان ارمينيا مع الاقاليم التي تقع خلف هذه الجبال وهما ممر باب الابواب وممر قلعة باب اللان (ممر داريال)، ولهذين الممرين اهمية ستراتيجية وتجارية مهمة لكلا الطرفين الساساني والبيزنطي، وذلك ان من يسيطر عليهما يتمكن من اخضاع كافة الامارات الموجودة على طول امتداد هذه الجبال، ويتمكن من تهديد سكان الشمال (الخزر والهون) وتحديد غاراتهم على ارمينية (طه، الحياة العامة في ارمينية، ص24 – 25).

4- نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص138 هامش رقم (1)؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص244؛ كرستنسن، ايران، ص267؛ Ghirshman,Iran from.....,P.299

5- تاريخ ايران، ص246 – 247.

ومضايقة المسيحيين من رعايا الدولة الساسانية لكنها لم تضع حداً نهائياً له، يؤكد ذلك المؤرخ (ادي شير) [1] اذ ذكر من دون ان يبين كيفية ذلك ان اضطهاد بهرام الخامس استمر خمس سنوات.

ويبدو ان الذي اسهم بشكل فاعل في التخفيف من اضطهاد الملك بهرام الخامس انفصال كنيسة مسيحي ايران عن الكنيسة الغربية سنة 424م[2]، اذ انهى هذا الانفصال صلة القرابة بين الطرفين ووضع حد لاتهام مسيحي ايران بالتآمر او الميل الى جانب بيزنطة.

اما الشرط الثاني الذي تضمنته معاهدة السلام فمع انه يشير الى وجود اتفاقية دفاع مشتركة لحدود الامبراطوريتين ضد العدو المشترك (الهون) الا ان الساسانيين كانوا يعتبرونه نوع من الغرامة (ضريبة)، ويبدو انه كان عند البيزنطيين وسيلة من وسائل شراء السلام مع العدو عندما يشعرون بالضعف والعجز عن المقاومة ولذلك كانوا يتهربون ويمتنعون عن الدفع كلما سنحت لهم الفرصة بذلك[3]، وهذا ما حصل بالفعل بعد وفاة الملك الساساني بهرام الخامس سنة 438م فاعطاء بذلك لابنه يزدجرد الثاني (Jezdegerd II) (438 – 457م) الذي تولى الحكم بعده الحجة في نقض المعاهدة، كما اضاف بناء البيزنطيين للقلاع والحصون بالقرب من نيسيبيس التي تعد ضمن مناطق النفوذ الساساني سبباً اخر لاعلان الملك يزدجرد الثاني الحرب سنة 442م [4]، وقد عهد بقيادة جيشه الى وزيره مهر نرسي[5]، ومن دون شك فان الخطر الذي كان يتهدد الامبراطورية

1- تاريخ كلدو، ج2، ص112.

2- ميلر، تاريخ كليساي قديم، ص295؛ Bausani, The Persians,p.61
وعن اسباب ذلك الانفصال ينظر: ادي شير، المصدر نفسه، ج2، ص118 – 121.

3- نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص138 هامش رقم (1)؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص459.

4- زرين كوب، روزكاران، ص216.

5- الطبري، تاريخ، ج1، ص413؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص262.

البيزنطيـة في جبهتها الشـمالية الغربية(*) اجبـــر الامبراطور ثيودوسـيوس الثاني على مناشـدة السـلام فـي الشـرق، ولذلك ارسـل قائد جيوشـه (ايتيـوس) سـنة 442م الى معسكر الملك الساساني يزدجرد الثاني طالباً الصلح الذي كانت اهم شروطه:

1. تعهد الجانب البيزنطي بالاسهام بدفع تكاليف حماية حدود الامبراطوريتين.
2. ان لا تقوم أي من الدولتين ببناء القلاع والاستحكامات في المناطق المجاورة لحدودهما.
3. تحدد مدة المعاهدة بستين سنة [1].

ويبـدو ان انشـغال الامبراطوريـة البيزنطيـة بمشـاكلها الداخليـة عقـب وفـاة الامبراطـور ثيودوسـيوس الثانـي سـنة 450م وبمواجهـة خطـر القـوط الغربييـن قـد جعلهـا تغـض الطرف عن ارمينيـا التي كانـت تأمل ان توازرهـا الدولـة البيزنطية التي ترتبـط معهـا برابطة الديـن على نيل اسـتقلالها، فاسـتغل الملك يزدجـرد الثاني ذلك وحـاول ضمهـا بالكامـل الـى دولتـه وسـعى جاهـداً لفصلهـا عـن بيزنطـة بمضايقـة

* تمثـل ذلـك الخطـر باندفـاع جموع الهـون الاسـيوية سـنة 441م من السـهول الواقعة شـرق نهـر الدانوب (المجـر او هنغاريـا فـي الوقـت الحاضـر) بزعامـة ملكهـا اتيـلا (Attila) (433 – 453م) ومهاجمتهـا الاراضـي التابعة للقسـم الشـرقي مـن الامبراطوريـة البيزنطيـة الواقعة على ضفـاف نهر الدانـوب فتوغلوا فـي داخـل بـلاد البلقـان حتـى وصلـوا القسـطنطينية وفرضوا علـى الامبراطـور ثيودوسـيوس الثاني سـنة 447م صلحـاً اجبـروه فيـه علـى منحهم الـى جانب الضريبـة السـنوية اقطاعاً واسـعاً من الاراضـي الواقعة علـى الجانـب الايمـن لنهـر الدانـوب بحيث يكـون الحـد الفاصل بيـن الطرفين مدينـة نيش (فـي صربيا) الواقعـة علـى مسـافة بعيـدة جنـوب الدانوب (مـوس، هــ، سـانت ل، ب، ميـلاد العصور الوسـطى 395 – 814، ترجمـة: عبـد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: السـيد البـاز العريني، (القاهرة: عالـم الكتب، 1967م)، ص96؛ غنيم، اسـمت، تاريـخ الامبراطورية البيزنطيـة 324 – 1453، (الاسـكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987م)، ص10؛

Diehl, History of the Byzantine Empire,p.7.

1- نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص147 هامش رقم (1)؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص 461؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص248، 254؛ ابو مغلي، ايران، ص153 – 154.

اهلها واجبارهم على نبذ المسيحية واعتناق الزرادشتية، ولما وجد ان جهوده لم تلق استجابة وجه جيوشه اليها سنة 451م وتمكن في معركة جرت في السنة نفسها عرفت باسم اوارایر (Auarair)(*) من الحاق الهزيمة بالجيش الارمني وكان من نتائجها ان اصبح المذهب الزرادشتي المذهب الرسمي للدولة حتى سنة 484م(**) (1).

وخيم على العلاقات السياسية بين الدوليتن الساسانية والبيزنطية جو من الصفا والسكون خلال المدة التي اعقبت وفاة الملك يزدجرد الثاني سنة 457م حتى عهد الملك قباذ الاول (Kobad 1) (488 – 531م) فلم تعد كلا الدولتين تشكل خطراً على الاخرى، اذ اتجه هم كل منهما الى تثبيت كيانها داخلياً وخارجياً، فالامبراطورية البيزنطية – كما ذكرنا سابقا – تقاسمتها الخلافات الدينية في الداخل وهجمات القبائل

---

* سميت تلك المعركة باسم اوارایر نسبة الى وادي اوارير الواقع باقليم اراتز على نهر دغموت (آق شال في الوقت الحاضر) بمنطقة ماكوني الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية من دولة ايران في الوقت الحاضر (حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص70).

** في سنة 481م أي في عهد الملك الساساني فيروز (459 – 484م) تمرد الارمن، ولم يتمكن الملك ان يخمد تمردهم، وعندما تولى الحكم بلاش (484 – 488م) التفت اليهم، فرأى ان مصلحته انهاء ذلك التمرد بحل سلمي فعقد مع قائدهم واهان ماميكونيان (Vahan Mamikonian) سنة 484م معاهدة سلام كانت اهم بنودها:

1 – يكون الدين المسيحي الدين الرسمي لارمينيا

2 – تخريب جميع المعابد الزرادشتية في ارمينيا.

واتفق الطرفان على استبدال المرزبان (الحاكم) الساساني بامير ارمني مع منحه لقب مرزبان، فتولى واهان ماميكونيان عرش ارمينيا (484 – 505م) (يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص248؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص61؛ ابو مغلي، ايران، ص155؛ العلان، أرواد، السياسة الساسانية الايرانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة دمشق: كلية الاداب والعلوم الانسانية، 2005م)، ص87.

1- رازي، تاريخ كامل، ص69؛ دريايي، تورج، شاهنشاهي ساساني، ترجمة: مرتضى ثاقب فر، (تهران: انتشارات ققنوس، 1383هـ)، ص39؛ وللتفصيل ينظر: ستارجيان، تاريخ الامة الارمنية، ص155 – 160.

الجرمانية في الخارج وانتهى الامر الى تداعي وحدتها بسقوط روما سنة 476م وقامت على انقاضها ممالك جرمانية عدة(*)(1).

ولم يكن الوضع الداخلي للدولة الساسانية باحسن حال من نظيره في الدولة البيزنطية، فعقب وفاة الملك يزدجرد الثاني حدث صراع على العرش بين ولديه هرمز الثالث (هرمزد الثالث) (Harmizd 111) (457 – 459م) الذي تولى الحكم بعد وفاة والده، واخيه فيروز (Firuz) حسمت نتيجته لصالح الاخير(2) الذي ما كاد يتولى عرش البلاد سنة 459م حتى تفاقمت عليه المشاكل فالى جانب القحط الشديد الذي استمر سبع سنوات(3) كان عليه مواجهة الهياطلة (Haphthalite)(**) الذين انقلبوا عليه(***)

* وهي مملكة القوط الغربيين في جنوب فرنسا واسبانيا، والوندال في افريقية، والفرنجة ودولة البرجنديين والالليماني على الضفة الغربية لنهر الرين الادنى (دوسن، كرستوفر، تكوين اوربا، ترجمة ومراجعة: الدكتور محمد مصطفى زادة والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1967م)، ص109).

1- رستم، الروم، ج1، ص140.

2- وفي الوقت الذي كان فيه الاخوان يتقاتلان قرابة سنتين في مدينة الري كانت امهما (دنيك) تحكم بصورة مستقلة في العاصمة طيسفون (للتفصيل ينظر: الدينوري، الاخبار الطوال، ص61؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص413؛ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص183 – 184؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص120).

3- الدينوري، المصدر نفسه، ص61؛ الطبري، المصدر نفسه، ج1، ص413.

** الهياطلة: او الهون البيض فرع من قبائل الهون يسميهم البيزنطيون هيفتاليت وعند الفرس هفتال، اما العرب فيسمونهم الهياطلة، امتازوا ببياض بشرتهم ومعيشتهم المتمدنة (بروكوبيوس، جنكهاي، ج1 فقرة 3؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص157)، ويذكر (نولدكه) ان الموطن الاصلي للهياطلة منطقة طخارستان وجغنيان التي يسميها العرب الصغانيان جنوب نهر جيحون (تاريخ ايرانيان، ص145هامش رقم (1). وعند (لسترنج) ان الختل هم الهياطلة انفسهم ويذكر ان هذا الاسم اطلق دون تقييد على جميع بلاد الكفر مما يلي شرق خراسان وشمالها (بلدان الخلافة، ص481) وقد عبر الهياطلة نهر جيحون واستولوا على اقليم باكتريا (بلخ) سنة 425م واخذوا يغيرون على الحدود الشرقية لبلاد فارس فتصدى لهم الملك بهرام الخامس وتمكن من ايقاع الهزيمة بهم وقتل خاقانهم بالقرب من مرو (بيرنيا، تاريخ ايران، ص245؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص457 – 458)

*** تشير المصادر الى ان فيروز بعد وفاة والده وتولي اخيه هرمز عرش البلاد ذهب الى الهياطلة وطلب من خاقانهم (ملكهم) مساعدته في حربه ضد اخيه، فلبى الاخير طلبه وارسل معه جيشاً تمكن به ان يهزم اخاه وان يظفر بالعرش (الطبري، تاريخ، ج1، ص413؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص120).

وهاجموا حدوده الشرقية، وطبيعي ان تكون للازمة الاقتصادية اثرها في وهن قواه العسكرية ولذلك خسر معارك عدة معهم حتى انه اسر في احداهما سنة 469م واضطر لشراء حريته التنازل لهم عن بعض مدن الشرق ولاسيما مدينة الطالقان(*) وترك ابنه قباذ رهينة في بلاطهم حتى يوفيهم الفدية التي اتفقوا عليها [1].

ويتبين من اشارة البعض من المصادر من ان الملك فيروز طلب المساعدة المالية من الامبراطورية البيزنطية[2]، غير ان الاخيرة تخلت عن التزامها بدفع الضريبة السنوية التي كانت قد تعهدت بدفعها بموجب المعاهدة التي عقدتها سنة 442م مع الملك الساساني يزدجرد الثاني، وان انشغاله بمواجهة الهياطلة صرفه عن اتخاذ أي اجراء عسكري ضدها.

وفي سنة 484م خرج فيروز بعد ان اجمع قواه العسكرية لثآر من هزيمته ومهاجمة الهياطلة الا ان ذلك الخروج لم يكلفه حياته فحسب [3]، وانما جعل من الامبراطورية الساسانية دولة خاضعة بصورة غير مباشرة لملوك الهياطلة قرابة نصف قرن وذلك في عهد خلفاء فيروز الثلاثة(**)، اذ الزموها بدفع الضريبة السنوية، واخذوا يتدخلون في شؤونها الداخلية

* الطالقان: تساوي مدينة مرو الروذ في الكبر، تقع في جبل متصل بجبال الجوزجان ولها رساتيق كثيرة وعامرة (ابن حوقل، صورة الارض، ج2، ص442؛ الاطخري، مسالك الممالك، ص270).

1- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص246 - 247؛ دريايي، شاهنشاهي ساساني، ص40؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص464.

2- دياكونوف، تاريخ ايران، ص309؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص464؛ كرستنسن، ايران، ص 278.

3- ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص188 - 190؛ كرستنسن، المصدر نفسه، ص280؛ العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص55؛ وللتفصيل ينظر: الطبري، تاريخ، ج1، ص414 - 416.

** وهم: بلاش (484 - 488م)، قباذ الاول (488 - 496)و(498 او 499 - 531م)، جاماسب (496 - 498 او 499م).

ولاسيما في النزاعات بين المطالبين بالعرش(*) والمكائد التي يدبرها رجال البلاط المتنفذون(**) (1).

وتجمع المصادر ان الملك الساساني قباذ الاول لجأ الى خاقان(***) الهياطلة لكي يساعده في تولي عرش ابيه الملك فيروز، الذي سيطر عليه اخيه الملك بلاش (484 – 488م)، فبقي في بلاط ملك الهياطلة اخشنوار اربع سنين(2)، فلماعزل الملك بلاش(****) بتدبير من العظماء في الدولة سنة 488م، كان قباذ حليف الهياطلة المرشح للعرش الساساني(3)، وبعد عشر سنوات من حكمه تآمر عليه العظماء فعزلوه

---

* لم يعين الملك فيروز وريثاً للعرش قبل مقتله فحدث نزاع بين ولديه قباذ وبلاش، فلما استأثر الاخير بالحكم هرب قباذ الى خاقان الهياطلة يستنجد به على اخيه (ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص190؛ الثعالبي، غرر السير، ص583).

** كان من اقوى رجال الدولة الساسانية (العظماء) في ذلك الوقت سوخر (زرمهر) من اسرة قارن التي كانت تحكم اقليم سجستان، وشاهبور الرازي (سابور الرازي) من اسرة مهران، وقد كان سوخرا مشغولاً باخماد تمرد في ارمينيا، وعندما سمع بخبر مقتل الملك فيروز عاد مسرعاً الى العاصمة طيسفون وتمكن من تنصيب بلاش على عرش البلاد (نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص151 هامش رقم (1))، ثم حارب الهياطلة ونجح في اخراجهم من خراسان واستعاد كل ما استحوذوا عليه من اموال وسبي في حربهم مع الملك فيروز، وقد رفع ذلك الانتصار من مكانته ومنزلته حتى اصبح بمثابة الحاكم الفعلي للدولة (الطبري، تاريخ، ج1، ص413؛ ابن الاثير، الكامل، ص264؛ خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسني، تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر، تقديم: جلال الدين هاني، (ايران: مطبعة حيدري، د.ت)، ص237)

1- زرين كوب، تاريخ مردم، ص465 – 466؛ Ghirshman ,Iran from...,p.301.

*** خاقان: هو ملك الترك الاعظم (ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص177؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص120).

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص418؛ مسكوية، تجارب الامم، ج1، ص123؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص83 – 84؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص265.

**** وصف الملك بلاش بحسن السيرة، وميله الى الاصلاح، وعطفه على الفقراء (الطبري، تاريخ، ج1، ص418؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص111؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص83)، ويبدو ان تلك الصفات لم ترض عظماء الدولة واشرافها الذين انضووا تحت لواء القائد سوخرا (زرمهر) فعزلوه وسملوا عينيه بعد حكم استمر اربع سنوات (كرستنسن، ايران، ص282).

3- كرستنسن، ايران، ص282؛ العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص58.

وسجنوه(*) ونصبوا بدلاً عنه اخاه جاماسب(**) (496 - 498 او 499م) الا انه تمكن من الفرار من سجنه والتجأ ثانية الى الهياطلة فاستقبلوه استقبالاً حسناً وامدوه بجيش استعاد به عرشه [1]سنة 498 او 499م، وكان قد تعهد مقابل تلك المساعدة زيادة الضريبة التي كانت الدولة الساسانية تدفعها لهم [2].

ولما لم يكن في خزينة الدولة ما يكفي للاستمرار في تسديد تلك الضريبة، فقد طلب الملك قباذ الاول من الامبراطور البيزنطي انستاسيوس الاول (Anastassius 1) (491 - 518م) بدفع المستحقات التي كانت قد تعهدت دولته بدفعها الى الدولة

* كان سبب ذلك العزل والحبس الضرر الذي لحق برجال الدين الزرادشتيين والعظماء واصحاب الطبقات العليا نتيجة لتأييده واعتناقه لدعوة مزدك بن بامدادان (المزدكية) التي نادت بشيوعية النساء والاموال (للتفصيل عن هذه الدعوة والاسباب التي دعت الملك قباذ الى اعتناقها (ينظر: الطوسي، الخواجة نظام الملك حسين (ت485هـ)، سياست نامة (سير الملوك)، ترجمة: يوسف حسين بكار، (بيروت: دار القدس، د.ت)، ص214 - 228؛ نفيسي، تاريخ تمدن، ص66 - 68).

** في الواقع اننا لم نجد اتفاقاً بين المؤرخين حول المدة التي حكم بها الملك جاماسب ففي الوقت الذي اكتفى الاغلبية منهم باشارة الى انه تولى العرش من دون تحديد مدة ذلك (الدينوري، الاخبار الطوال، ص67؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص143؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص44؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ابن البلخي، فارس نامة، ص85؛ المستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص116؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ص239)، فان قسماً ثانياً يحدد مدة حكمه بـ (ست سنوات) (الطبري، تاريخ، ج1، ص419؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص125؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص267؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص176) واستناداً الى ما اجمعت عليه اراء المؤرخين المحدثين من ان جاماسب تولى العرش بعد عزل اخيه الملك قباذ سنة 496م فان مدة حكم الملك جاماسب حسب رأي القسم الثاني من المؤرخين تكون من (496 - 502م)، وينفرد المسعودي من بين المؤرخين الاوائل بتحديد مدة حكمه بسنتين أي (496 - 498او 499م) (مروج الذهب، ج1، ص248) وهو الرأي الذي اتفق على تحديده اغلب المؤرخين المحدثون (Chrishman, Iran from... ,p.302؛ كرستنسن، ايران، ص336؛ دياكونوف، تاريخ ايران، ص342؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص468؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص249).

1- الطبري، تاريخ، ج1، 419؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص266.

2- كرستنسن، ايران، ص336.

الساسانية منذ عهد الملك يزدجرد الثاني ومقدارها خمسمائة قنطار[*] من الذهب لتنفقها الاخيرة على قواتها التي تقوم بحماية معابر القفقاس من خطر القبائل البربرية[1].

ومن خلال استقراء الاحداث يتبين لنا ان الامبراطورية البيزنطية امتنعت عن دفع المستحقات المالية المترتبة عليها طيلة مدة الصلح أي من بعد وفاة الملك يزدجرد الثاني سنة 457م وحتى سنة 502م وهي السنة التي تجددت فيها الحرب بين الطرفين للسبب اعلاه، ومن المؤكد ان الوضع المرتبك الذي عاشته الامبراطورية الساسانية خلال المدة من (457 – 502م) والمتمثل بالصراع بين الاخوين هرمز الثالث وفيروز ثم صراع الاخير مع الهياطلة والنتيجة التي آل اليها ذلك الصراع جعلها اضعف من ان تتخذ أي اجراء عسكري ضد الامبراطورية البيزنطية.

ولاعتقاد الامبراطور انستاسيوس الاول ان العلاقات بين الملك قباذ والهياطلة ستسير الى الاسوأ رفض الدفع معللاً ذلك الرفض بان الساسانيين لم يطالبوا بذلك الحق في حينه وان مرور الوقت يفقدهم ذلك الحق [2]، ازاء ذلك نقض الملك قباذ معاهدة الصلح المعقودة سنة 442م وهاجم بمساعدة الهياطلة سنة 502م ارمينيا البيزنطية، واستولى على عاصمتها ثيودوسيوبوليس دون مشقة لان حاكمها المسمى قسطنطين تواطئ مع الساسانيين وعين قائداً لجيشهم، ثم توجه جنوباً نحو ارض الجزيرة الفراتية فحاصر مدينة آميدا في 5 تشرين الاول سنة 502م[3]، ولما لم تتمكن مناجيقه من تهديم اسوارها القوية، امر بعمل هضبة صخرية بجانب المدينة توازي

* القنطار من حيث الاساس يساوي 100 رطل، واذا اطلق على كمية كبيرة من الذهب فيكون حينئذ 10.000 دينار ويساوي 42.33كغم ذهب (هنتس، المكايل والاوزان، ص40) وهذا يعني ان مقدار ما كانت تدفعه بيزنطة سنوياً للدولة الساسانية يساوي 211.65 كغم ذهب.

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص607؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص101.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 7.

3- ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص162؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص249؛ رستم، الروم، ج1، ص136 – 137.

سورها في الارتفاع ليتمكن جيشه من فوقها بالهجوم على المدينة، وما ان علم حاكم المدينة بخطة الملك قباذ الاول حتى امر المدافعين ولا سيما المختصين منهم بحفر الانفاق الى احداث ثغرة او نفق يمتد من داخل سور المدينة ويصل الى حافة تلك الهضبة التي اكملها الجيش الساساني بعد 31 يوم من العمل المتواصل، وفي الوقت الذي انشغل فيه الجيش الساساني بنقل معداتهم الحربية الى اعلى تلك الهضبة كان المدافعون مشغولين بالحفر في وسطها، وعندما بدأ الجيش الساساني يهاجم المدينة، ونتيجـة للضغـط الشديد الذي احدثته حركتهم ومعداتهم، انهارت تلك الهضبة وقتل من كان عليها من الجيش الساساني، وبعد ايام من هذه الحادثة عثر احد الجنود الساسانيين على بوابة او فتحة نفق مغطاة بالحجارة اسفل احد ابراج المدينة، وصادف ان الحرس الذين اسندت لهم حماية ذلك البرج قد اهملوا واجبهم وانصرفوا للاحتفال باحد الاعياد المسيحية فتمكن الملك قباذ الاول وجيشه من التسلل والدخول الى البرج ومن ثم الاستيلاء على المدينة والفتك باهلها وكان ذلك مع بداية سنة 503م[1].

امـا عـن مدة الحصـار، فروايات المصادر التـي ذكرتها لا تتفق علـى تحديدها، فالمـؤرخ البيزنطـي (بروكوبيـوس)(Procopius) [2] الـذي اورد لنـا تفاصيـل ذلـك الحصـار يقـول "... وبعـد مـدة 8 أيـام مـن المحاصـرة اسـتطاعوا - أي الجيـش الساسـاني - ان يسـتولوا علـى المدينـة ". واغلـب الظن انه قصـد بعد ثمانيـة ايام من حـادث انهيـار الهضبـة الصخريـة، اما المـؤرخ الايراني (عبـد اللـه رازي) [3] فقد ذكر فـي سـياق حديثـه عـن اعمال الملـك قبـاذ " انه حاصـر مدينـة آميـدا ثمانين يومـاً "، وايـده فـي طـول مـدة الحصـار مـن دون ان يحـدده المـؤرخ البريطانـي (لويـد) [4]

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 7.
2- المصدر نفسه، ج1، فقرة 7.
3- تاريخ مفصل، ص71.
4- الرافدان، ص174.

اذ يقول " لقد حارب قباذ رومية حربين متعاقبتين، في الاولى منها... عانت فيه آميدا اطول واقسى حصار في تاريخها ".

وهذا يعني ان حصار الملك قباذ الاول لمدينة آميدا كان اطول واقسى من الحصار الذي تعرضت له في عهد الملك سابور الثاني سنة 359م الذي استمر ثلاثة وسبعين يوماً [1].

واستناداً الى اشارة المؤرخ الالماني (روتشتاين)[2] والمؤرخة الروسية (بيغوليفسكيا) [3] من ان الملك قباذ الاول طلب في تشرين الاول سنة 502م من ملك

المناذرة النعمان الثاني[*] (498 – 503م) ان يعاونه في جذب اهتمام البيزنطيين بعيداً عنه، لانه كان مشغولاً انذاك بحصار طويل لمدينة آميدا، والى تحديد المؤرخ السرياني (ادي شير)[4] ان ذلك الحصار بدأ في 5 تشرين الاول سنة 502م، وما ذكره المؤرخ البيزنطي (بروكوبيوس) [5] ان ذلك الاستيلاء تم في سنة 503م، نرجح ان تكون مدة الحصار 95 يوماً على اعتبار ان بدأ الحصار على المدينة كان في 5 تشرين الاول، والاستيلاء عليها كان في الثامن من كانون الثاني سنة 503م.

اما عن الموقف البيزنطي من ذلك الحصار، فمن الصعب الاخذ برواية المؤرخ (بروكوبيوس) [6] للتناقض الموجود فيها، ففي البداية يذكر ان الامبراطور انستاسيوس الاول ما ان سمع بان الجيوش الساسانية حاصرت المدينة حتى ارسل على الفور

1- ينظر ص 112 من هذه الاطروحة.
2- تاريخ السلالة اللخمية، ص 250.
3- العرب، ص93.
* النعمان الثاني: هو النعمان بن الاسود بن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس، امه ام الملك ابنة عمرو بن حجر، اخت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي (الاصفهاني، تاريخ سني، ص81).
4- تاريخ كلدو، ج2، ص 162.
5- جنكهاي، ج1، فقرة 7.
6- المصدر نفسه، ج1، فقرة 8.

جيشاً مجهزاً لقتالهم، ثم نراه في موضع اخر يقول " ان جمع الجيش البيزنطي كان بتاني ودقة وببطء شديد ولذلك تأخر وصوله الى الجهة المقصودة، فعندما وصل كان الجيش الساساني قد سلب ونهب المنطقة وخرج منها بغنائم كثيرة " [1]، الا اننا نستطيع ان نتبين ذلك الموقف من خلال ما اجمعت عليه المصادر من ان الملك قباذ الاول اراد ان يخفف وطأة القتال على جيشه ولذلك طلب في تشرين الاول سنة 502م من ملك المناذرة النعمان الثاني ان يهاجم حدود بيزنطة من جهة الجنوب وان الاخير لبى طلبه وتوجه في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني من السنة نفسها نحو مدينة كرها فنهب وسلب حتى وصل الى حدود مدينة ادسا[2]، وفي سنة 503م هاجم النعمان الثاني منطقة ابوراس (الخابور) فصدهم عنها قائد حامية مدينة كالينيكوس (Callinicus) (الرقة)[*] [3]، وفي المعركة التي جرت في السنة نفسها بالقرب من مدينة قرقيسيوم عند نهر الخابور مع البيزنطيين، اصيب النعمان بجرح في راسه، توفي بسببه بعد ثلاثة ايام [4].

من المؤكد ان اشغال العرب للبيزنطيين افاد الساسانيين فائدة ليست بقليلة اذ مكنتهم من الاستيلاء على مدينة آميدا هذا من جانب ومن جانب اخر فانهم وباختراقهم

1- جنكهاي، ج1، فقرة 8.

2- بيغوليفسكيا، العرب، ص93، 170؛ روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ص250؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص162؛ علي، المفصل، ج3، ص216؛ غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة المدينة والمملكة العربية، (بغداد: مطبعة دنكور الحديثة، 1936م)، ص160.

* كالينيكوس (الرقة): اكبر مدن ديار مضر على الضفة الشرقية لنهر الفرات، بينها وبين مدينة حران ثلاثة ايام، وتعرف بالرقة البيضاء (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص225؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص59)، وسميت بـ (كالينيكوس) نسبة الى بانيها الملك السلوقي سلوقس الثاني كالينيكوس (247 – 226 ق.م) وذلك اما في سنة 242 ق.م او 244، بناها في مكان مدينة نيقفوريوم (الرقة السوداء) (موسيل، الفرات الاوسط، ص524 – 525).

3- بيغوليفسكيا، العرب، ص94؛ العلان، السياسة الساسانية، ص136.

4- اولندر، جونار، ملوك كندة من بني آكل المرار، ترجمة وتحقيق: عبد الجبار المطلبي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1973م)، ص103؛ روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ص250.

للاراضي البيزنطية شكلوا دعامة قوية لحماية الحدود الساسانية لا يمكن الاستهانة بها او تجاهلها ولذلك حاول البيزنطيون – كما سنرى – التقرب منهم وكسب صداقتهم.

وما كاد الملك قباذ الاول يقطف ثمار محاصرته لمدينة آميدا حتى وصلته الاخبار بتسرب جموع من الهياطلة يقال لهم السابرية من ممرات القفقاس ومهاجمتهم لشمال شرق بلاد فارس(خراسان) [1]، فاضطر الملك قباذ الاول الى ان يترك حامية تقدر بـ (1000) نفر من الجند في مدينة آميدا وتوجه هو مع بقية الجيش لدرء الخطر عن بلاده [2]، وما ان علم البيزنطيون بالمشاكل التي تواجه الملك قباذ حتى عقدوا العزم على استرداد مدينة آميدا فتوجهت جيوشهم نحوها سنة 504م [3]، وبدأوا بمحاصرتها ولادراك الملك قباذ صعوبة القتال على جبهتين في وقت واحد ارسل رسله الى البيزنطيين للتفاوض بشأن عقد الصلح الذي وجد الاخيرين في قبوله فرصة مناسبة لانقاذ انفسهم مما لحق بهم ذلك الحصار من مشكلات صعبة بسبب برودة الجو، وقد تقرر في الصلح الذي عقد بين الطرفين سنة 506م:

1. ترك مدينة آميدا للبيزنطيين مقابل دفعهم 1000 ليبرا[*] ذهب للساسانين.
2. تكون مدة الصلح بين الجانبين 7 سنوات [4].
3. تلتزم بيزنطة بدفع الجزية السنوية للساسانيين مقابل حماية الاخيرين لمعابر القفقاس [5].

1- زرين كوب، تاريخ مردم، ص469؛ كرستنسن، ايران، ص338؛
Oman, Dark Ages 476 - 918 , Sixth Edition, London ,(1949), p.49

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 7.

3- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص249.

* الليبرا: تزن في الوقت الحاضر 65 مثقال ذهب (بيرنيا، تاريخ ايران، ص254 هامش رقم (2))

4- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 9؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص609؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص254؛ رستم، الروم، ج1، ص137.

5- زرين كوب، روزكاران، ص227.

مكنت تلك المعاهدة الملك قباذ الاول من التفرغ لمواجهة الهياطلة السابرية فتذكر المصادر المتوافرة لدينا من دون ان تشرح تفاصيل ذلك انه تمكن في حروبه معهم التي استمرت عشر سنوات (503 – 513م) من القضاء على قوتهم وانقاذ البلاد من خطرهم [1].

اما الجانب البيزنطي فانهم افادوا من الصلح اعلاه ومن انشغال الملك قباذ الاول في حروبه مع الهياطلة فعملوا على تقوية حدودهم الشرقية، فبنوا مدينة حصينة بين نيسيبيس وماردين[*] سموّها انستاسيوبوليس (Anastassiu Polis) أي مدينة انستاسيوس [2]، والساسانيين سموها (داراز) (Daraz) او دارا (Dara) لانها كما يذكر المؤرخ السرياني (مار ميخائيل) [3] " بنيت في المكان الذي قتل فيه الملك داريوس "، كما زادوافي تحصينات عدة قلاع دفاعية على اطراف الفرات[4].

مع ان سياسة التجاوز على حدود الساسانيين كانت مدعاة لاعلان الملك قباذ الاول الحرب على البيزنطيين بعد ان ينتهي من حروبه مع الهياطلة الا اننا نفهم من عدم اشارة المصادر الى قيام تلك الحرب ان الملك قباذ الاول سكت على ذلك التجاوز، ولا نعلم الدافع من وراء ذلك السكوت، ولكن على ما يبدو ان انشغاله بمشاكله الداخلية بسبب فتنة المزدكية كان لها اثرها في موقفه من ذلك التجاوز.

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص609؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص254.

※ ماردين: قلعة صخرية في اعلى جبل، في منتصف المسافة بين راس العين ونصيبين في شمالهما (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1215؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص125).

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 10.

3- تاريخ، ج2، ص38. ويعني به الملك دارا الاخميني ولكنه لم يحدد أي دارا منهم، والراجح انه الملك دارا الاول (521 – 486ق.م).

4- زرين كوب، تاريخ مردم، ص469؛ Oman, Dark Ages,p.49

الفصل الرابع:

العلاقات الساسانية ـ البيزنطية

506 ـ 562 م

الحروب الساسانية ـ البيزنطية (506 ـ 532م)

بعد ان انتهت مدة معاهدة الصلح التي عقدت بين الطرفين الساساني والبيزنطي سنة 506م تظافرت عوامل عدة على قيام حرب جديدة بينهما منها: تباطؤ الامبراطور جستين الاول (Justin 1)[*] (518 - 527م) الذي تولى عرش الامبراطورية البيزنطية بعد وفاة الامبراطور انستاسيوس الاول سنة 518م في دفع الضريبة التي كان من المقرر دفعهم لها مساهمة منهم في دفع تكاليف الحامية الساسانية التي تقوم بحماية معابر القفقاس [1]، وهناك رواية للمؤرخ (روتشتاين)[2] يذكر فيها ان الملك قباذ الاول رد على ذلك التباطؤ بتحريض ملك المناذرة المنذر الثالث (505 - 554م)[**] على غزو الاراضي البيزنطية وان الاخير قام بذلك سنة 519م، ومع ان المؤرخة (بيغوليفسكيا)[3] تؤكد غزو ملك المناذرة المنذر الثالث للاراضي البيزنطية سنة 519م وتخريبه لمناطق ايميسا وابامية او

---

* جستين الاول: اصله فلاح امي من الليريا، تدرج في سلك الوظائف العسكرية حتى تولى في سن الخامسة والستين منصب قائد الحرس الامبراطوري في اواخر عهد الامبراطور انستاسيوس الاول، وتولى عرش الامبراطورية بعد وفاته في ظروف غامضة

(Jones, The Later Roman Empire,Vo1.1,p.26؛ Cary, History of Rome,p.104)

1 - ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص163؛ زرين كوب، روزكاران، ص228؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص469.

2 - تاريخ السلالة اللخمية، ص255.

** المنذر الثالث: هو المنذر بن امرئ القيس بن النعمان، ويعرف بـ (ابن ماء السماء) وماء السماء امه وهي ماوية بنت عوف، سميت بذلك لجمالها وحسنها، وعرف بـ (ذي القرنين) لظفيرتين كانتا له في شعره (الاصفهاني، تاريخ سني، ص81 - 82؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص273).

3 - العرب، ص101.

افامية (Apamea)(*)، الا انها لا تقطع بان تكون تلك الهجمات بتحريض الملك قباذ الاول، اذ اشارت في موضع اخر الى ان غارات الملك المنذر الثالث على الاراضي البيزنطية لم تتوقف حتى في حالات السلام بين الساسانين والبيزنطيين[1]، وان تلك الغارات التي امتازت بالعنف والقسوة بثت الذعر في نفوس سكان مدن الحدود وتركت قواتهم العسكرية في حالة من التوتر المستمر[2]، حتى ان المؤرخ (بروكوبيوس) [3] اشاد بقوته وشجاعته فقال عنه "انه انهك قوى بيزنطة وداس انفها في الوحل خلال خمسين عام ".

يتبين لنا من ذلك ان غزوة ملك المناذرة المنذر الثالث للاراضي البيزنطية سنة 519م لم تكن بتحريض من الملك قباذ وانها وان جاءت محققة لاهداف الساسانيين الا انه كان يرمي من ورائها بالدرجة الاولى تحقيق مصلحة دولته الخاصة في التوسع والنفوذ والعامل الاخر الذي أدى الى توتر العلاقات بين الجانبين الساساني والبيزنطي واشعال فتيل الحرب بينهما، التغير الجذري الذي طرأ على سياسة الملك قباذ تجاه المزدكية خلال تلك المدة، اذ اخذ يتنصل من تأيده لهم ويتحين الفرص للقضاء عليهم(**)، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في مسألة وراثة العرش التي اثيرت

---

* ابامية او افامية: مدينة في سواحل الشام وكورة من كور حمص (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 227)، جنوب انطاكيا وهي من بناء الملك سلوقس الاول، تعرف خرائبها في الوقت الحاضر باسم قلعة المَضيق (كسواني، التنظيمات الادارية، ص16).

1- العرب، ص106.

2- المصدر نفسه، ص97، 100.

3- جنكهاي، ج1، فقرة 17.

** كان سبب ذلك التحول كما يظهر من استقراء الاحداث الى جانب الضربة الشديدة (عزله وحبسه) التي تلقاها من العظماء ورجال الدين التي مرت بسلام، الوضع المتردي الذي آلت اليه دولته، فيذكر المؤرخون ان اتباع مزدك كانوا يدخلون على الرجل في داره، فيغلبونه على ماله ونساءه، فلا يستطيع الامتناع منهم، حتى صار الرجل لا يعرف اباه، ولا الاب ولده (الطبري، تاريخ، ج 1، ص419؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص124).

سنة 519م[1]، اذ رغب الملك قباذ بتقديم ابنه الاصغر خسرو الاول (Khusraw 1)[*] (كسرى انوشروان) الذي كان يعادي المزدكية لولاية العهد على اخيه الاكبر (كاووس) المزدكي الهوى[**]، ولكي يضمن تحقيق ذلك اقتدى باحدى السوابق في العلاقات بين الدولتين - أي عندما طلب الامبراطور اركاديوس من الملك الساساني يزدجرد الاول تبني ولده ثيودوسيوس الثاني(408 - 450م) - فارسل سنة 520م[2]، رسالة الى الامبراطور جستين الاول عرض عليه فيها التفاوض لعقد صلح دائم بين الطرفين بشرط قبوله تبني ولده كسرى[3]، ومما جاء في تلك الرسالة "... اريد منك طلب، موافقتك عليه لا تكون سبباً في حفظ علاقات الصداقة بيني وبينك فحسب، وانما في ظله تنعم الدولتان بالصلح والهدوء، وطلبي هو ان توافق على تبني ابني خسرو "[4].

لا شك ان ذلك التصرف من جانب الملك قباذ يعني التزام الامبراطور جستين الاول بالدفاع عن قضية كسرى ضد منافسيه المطالبين بالعرش.

كاد الامبراطور جستين الاول يوافق على عرض الملك قباذ لولا معارضه مستشاره بروكلوس (Proclus) الذي اقنعه بان قبوله لذلك التبني يعني تسليم الدولة البيزنطية للساسانيين الذين طالما البسوا حيلهم ومكرهم لباس الصداقة، وبما ان القانون الثابت ان الابناء يرثون الاباء، فان الغاية من ذلك التبني ان يكون كسرى ولياً للعهد الساساني ووريثاً للامبراطور البيزنطي، واقترح عليه قبول عرض الملك قباذ

1- كرستنسن، ايران، ص338.

* خسرو: هي التسمية الفهلوية للاسم، اما التسمية العربية فهي كسرى ولكنها ما لبثت ان اصبحت لقباً عاماً لجميع ملوك الساسانيين وجمعها اكاسرة (بيغوليفسكيا، العرب، ص65 الهامش).

** كان للملك قباذ ثلاثة ابناء، الابن الثالث ويسمى زام (Zame)، كان قد فقد احدى عينيه في صغره، ولذلك حرم من فرصة تولي الحكم (بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 11).

2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص610.

3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 11.

4- المصدر نفسه، ج1، فقرة 11.

الاول بشرط ان يتم ذلك التبني على الطريقة البربرية(*) لا بوثيقة مكتوبة [1]، فكتب الامبـــراطور جستين الاول الى الملك قباذ رسالة موجزة بذلك المعنى جاء فيها ".. لا مانع لدي من ان اتخذ خسرو ولداً بشرط ان اربيه تربية تليق بالبرابرة " [2]، فثارت ثائرة الملك قباذ لتلـك الاهانة، واخذ يستعد للحرب، غير انه اضطر الى تأجيلها الى وقت اخر بسبب ثورة اهالي منطقة ايبريا(**) القفقاسية عليه [3].

ولم تذكر المصادر المتوافرة لدينا تاريخ تلك الثورة على وجه التحديد، الا اننا نستنتج بناء على ما جاء في كتاب (تاريخ ايران) [4] " ان الملك قباذ وجه جيشه الى منطقة ايبريا سنة 523م "، ان تلك الثورة حدثت سنة 522م او بين عامي 522 – 523م، اما عن اسبابها، فيذكر ان الملك قباذ الاول اراد ان يظهر بمظهر المدافع عن الدين الزرادشتي فاتبع سياسة اسلافه في تعقب المسيحيين وتقييد حريتهم الدينية(***)، فاجبر

* هذا النوع من التبني كان شائعاً بين البرابرة الجرمان، فاذا ما أرادوا ان يتبنوا ولداً اخذوه بقوة السلاح والسيف لا بالوثائق والمستندات، بمعنى اخر اسره او اخذه رهينة (المصدر نفسه، ج1، فقرة 11)

1- المصدر نفسه، ج1، فقرة 11.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 11.

** اعيدت هذه المنطقة للدولة الساسانية بموجب معاهدة سنة 363م بين الملك سابور الثاني ذو الاكتاف والامبراطور البيزنطي جوفيان. ينظر ص 130 من هذه الاطروحة.

3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 12؛ زرين كوب، تاريخ مردم، ص469.

4- يارشاطر واخرون، مج3، ق1، ص250.

*** في اوائل القرن الخامس الميلادي وبالتحديد في عهد الملك الساساني فيروز (459 – 484م) انقسمت الديانة المسيحية الى قسمين نساطرة ذات طبيعتين، ويعاقبة اصحاب الطبيعة الواحدة (المونوفيزيين) (للتفصيل عن اراء كلا الفريقين ينظر: قنواتي، جورج شحاته، المسيحية والحضارة العربية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ت)، ص28 – 32)، وكان مسيحيوا ايران يتبعون كنيسة الرها التي تدين بدورها بالعقيدة النسطورية (ذات الطبيعتين)، وقد ادرك الملك فيروز الاهمية السياسية التي تكمن وراء دعمه للنساطرة، اذ من شأنه اقامة نوع من الحواجز المذهبية بينهم وبين اخوانهم في الدين في الدولة البيزنطية (كرستنسن، ايران، ص277 – 278؛ العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص56 – 57)، اما ابنه الملك قباذ فيقال انه بالغ في معاضدتهم ومؤازرتهم لانهم ساعدوه في اثناء هروبه الى بلاد الهياطلة سنة 496م على اثر خلعه من العرش وتنصيب اخاه جاماسب (مؤلف مجهول، تاريخ السعردي، ج2، ص36؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص161؛ اسحق، روفائيل بابو، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية الى ايامنا، (بغداد: مطبعة المنصور، 1948م)، ص16 – 17)

اهل ايبريا على اعتناق الزرادشتية ونبذ المسيحية(*)، الامر الذي دفع ملكهم جورجين (Gourgen) - الذي لم تذكر المصادر سنوات حكمه - الى الاستنجاد بالامبراطور البيزنطي جستين الاول [1]،فلبى الاخير طلبه،وارسل جيشاً لمساعدته، مؤلفاً من الهياطلة المقيمين شمال القفقاس بعد ان قدم لملكهم المال لقاء ذلك التعاون، ونجح في استمالة حاكم مدينة كولخيس (Colchis) (لازيكا)(**) الى جانبه [2].

من غير شك ان التوافق الديني هو الذي دفع ملك ايبريا جورجين الى طلب المساعدة من الامبراطور جستين الاول، وللسبب ذاته وقفت لازيكا الى جانبه، الا ان ذلك لم يكن السبب الذي دفع الامبراطور الى تقديم المساعدة له، وانما اهمية الموقع الاستراتيجي لكلتا المنطقتين القفقاسيتين هي التي دفعته لذلك، فكلا المنطقتين تقعان على شاطئ البحر الاسود الذي يعد جسراً يربط الشرق بالغرب وكان مجال نزاع بين الطرفين، وقد ادرك البيزنطيون ضرورة ابقاء سواحله تحت سيطرتهم مهما كلفهم ذلك من الصعاب، وادركوا الخطر الكبير الذي تجلبه لهم هاتين المنطقتين في الوقت الذي يفقدون فيه سيطرتهم عليهما.

لم يرض الساسانيون الذين حرصوا على ان تكون المنطقة القفقاسية تحت سيطرتهم على ذلك التدخل من جانب البيزنطيين فرد الملك قباذ الاول على ذلك بتوجيه جيشه الى منطقة ايبريا سنة 523م، ولم يتمكن جيش ملكها جورجين والجيوش

* ضايق الملك قباذ اهل ايبريا المسيحيين في طريقة دفن موتاهم، اذ منعهم من الدفن واجبرهم على اتباع المراسيم الزرادشتية، وذلك بترك جثة الميت من غير دفن معرضة للطيور والحيوانات (بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 12؛ كرستنسن، ايران، ص341 - 342).

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 12؛ كرستنسن، ايران، ص342.

** كولخيس (لازيكا): مدينة قفقاسية تقع على الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الاسود

(Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.139)

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 12.

التي اجتمعت لمساعدته على مقاومته وايقاف تقدمه في مدينة لازيكا التي استولى عليها [1]، سنة 525م [2] او 526م [3].

وبالتاكيد ان الملك قباذ قصد باستيلائه على مدينة لازيكا الانتقام لكرامته ولاسيما انه مدرك للاهمية التي يشكلها ذلك الاستيلاء من تهديد للاراضي البيزنطية، الا ان تهاون البيزنطيين وسكوتهم على ذلك الاستيلاء يعني وقوع عاصمتها القسطنطينية تحت رحمة الضربات المعادية، ولذلك ردوا على ذلك الهجوم بالمثل، فبدأت الحرب المعلنة بين الطرفين سنة 527م [4]، اذ اقتحمت الجيوش البيزنطية بقيادة القائدان بليزاريوس (Belisurius) و سيتاس (Sittas) ارمينيا الساسانية، وقامت بسلب ونهب المنطقة لكنها لم توفق في الاستيلاء عليها، ولم توفق فرقة اخرى يقودها القائد ليبلاريوس (Libelarios) في الاستيلاء على نيسيبيس [5].

وفي الاول من اب سنة 527م توفي الامبراطور جستين الاول فخلفه في تولي عرش الامبراطورية جستنيان الاول (Justinian I)[*] (527 – 565م) واخذ على عاتقه

1- المصدر نفسه، ج1، فقرة 12.

2- العلان، السياسة الساسانية، ص103.

3- بيرنيا، تاريخ ايران، ص255.

4- كرستنسن، ايران، ص342؛ رستم، الروم، ج1، ص186؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص163.

5- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 12.

* جستنيان الاول: اسمه بتروس ساباتيوس (Petrus Sabbatius) وهو ابن اخت وقيل ابن اخ الامبراطور جستين الاول تبناه لانه لم يكن له ولداً، واعتنى بتثقيفه وتهذيبه، وجعله قائداً للجيش، وفي 4 نيسان سنة 527م اعلنه شريكاً معه في الحكم وخليفته على العرش الامبراطوري.

(Jones, The Later Roman Empire,Vol.1 pp.268 - 269;

جيبون، اضمحلال، ج2، ص393 – 397)

وقد خلد التاريخ اسم ذلك الامبراطور لاعماله المهمة التي قام بها في الداخل والخارج، ففي الداخل عمل جاهداً على تقوية قبضة السلطة المركزية، فقام باصلاحات عدة منها في الجانب الاداري والمالي، والتجاري والصناعي وتشريع القانون، اما في الخارج فقد حقق حلم بيزنطة في اعادة وحدة الامبراطورية الرومانية القديمة.(للتفصيل عن سياسة الامبراطور جستنيان الاول الداخلية والخارجية ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص70 – 102).

مواصلة الحرب مع الساسانيين[1]، فاوعز الى بليزاريوس بناء قلعة ميندوس (Mindouss) قرب الحدود الساسانية بهدف اتخاذها موضع حصين تجاه نيسيبيس، وبهمة عالية شرع بليزاريوس بتنفيذ البناء مستعيناً بعدد كبير من العمال، غير ان الساسانيين الذين كانوا اكثر حذراً مما حدث في حالة بناء مدينة دارا، مانعوا اكمال بناء تلك القلعة، والتقت جيوش كلا الطرفين بالقرب من مكان البناء سنة 528م وقد حمى وطيس معركة ضروس كان الظفر فيها حليف الساسانيين الذين هدموا القلعة من اساسها[2].

ويبدو ان نجاح الساسانين في تهديم قلعة ميندوس شجعهم على القيام بعمل مماثل تجاه قلعة دارا، فارسلوا مهددين بالاستيلاء عليها، فلما وصلت تلك الانباء مسامع الامبراطور جستنيان الاول، عين بليزاريوس قائداً عاماً لجيشه في الشرق، واوكل اليه مهمة الدفاع عن دارا، وقد رافق بليزاريوس المؤرخ (بروكوبيوس) الذي اورد لنا تفاصيل الحرب بين الجانبين، فذكر ان القائد بليزاريوس حال وصوله الى دارا امر بحفر خنادق دفاعية عدة متصلة بعضها ببعض ولها مخارج، وقد وزع جيشه البالغ عدده (25 الف) مقاتل بشكل فرق على تلك الخنادق، حتى اذا ما اجبرت فرقة على التراجع، تقدمت لمساعدتها الفرقة التي تقف خلفها، ولم يمض وقت طويل على ذلك الاعداد والتنظيم حتى وصلت الجيوش الساسانية وكان تعدادها (40 الف) مقاتل يقودها القائد فيروز مهران وعسكرت في منطقة اموديوس (Amodius) التي تبعد مسافة 20 استاد[*] عن مدينة دارا[3]، وقبل ان تبدأ المعركة تبادل الجانبين المراسلات والخطابات التي ادعى كلاهما فيها بان النصر سيكون الى جانبه، لذا فمن

1- Jones, The Later Roman Empire,Vol.1 ,p. 269.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 13.

* استاد: وحدة قياس رومانية تعادل 600 قدم أي 185.3م (سترابون، استرابون في مصر (القرن الاول قبل الميلاد)، ترجمة: وهيب كامل، (القاهرة: مكتبة الانجلو، 1953م)، ص40، وهذا يعني ان المسافة كانت 370.6م أي اقل من اربع كيلو مترات.

3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 13.

الافضل للطرف الاخر الانسحاب وقبول الصلح بالشروط التي تفرض عليه، وكانت اخر تلك المراسلات للقائد الساساني فيروز مهران كتب فيها يقول: "... من الضروري ان تهيأوا لنا غداً الافطار والحمام، فبعد ان نستولي على المدينة – أي دارا – ونتناول الافطار، اريد ان اطير الحمام "، لم ير القائد البيزنطي بليزاريوس وقواده بعد ان وصلتهم تلك الرسالة الاستفزازية سوى الدخول في الحرب[1]، التي بدأت في شهر تموز سنة 530م[2]، استهلها الطرفان بالتراشق بالسهام والنبال التي كان تأثيرها كبيراً على الجانب البيزنطي بفعل ما عرف عن الساسانيين من مهارة في رميها ولان الجيش البيزنطي كان يحارب على شكل دفعات، وبعد ان انتهت سهام الطرفين بدأ القتال رجل لرجل، ولعب التنظيم والترتيب الذي تمتع به الجيش البيزنطي دوره في الايقاع بالجيش الساساني ومن ثم في حسم نتيجة المعركة لصالحه[3].

ولم تكن هزيمة الساسانيين في ارض الجزيرة الفراتية الاولى فقد تلتها هزيمة اخرى حدثت في السنة نفسها في منطقة ثيودوسيوبوليس البيزنطية، وقد مكنت تلك الهزيمة البيزنطيين من الاستيلاء على قلعتين مهمتين تقعان ضمن حدود ارمينيا الساسانية وهما قلعة بولوم (Bolum) وفارانجيوم (Pharangium)[*] وتكمن اهمية القلعة الاخيرة في انها كانت تحوي على منجم للذهب، وقد افاد حاكمها سيمون الذي عينه الملك قباذ من العداء الطويل بين الدولتين فامتنع عن دفع الضرائب الى الملك قباذ الاول، واعترف بتبعية قلعته لبيزنطة لكنه مع ذلك لم يدفع لها الضرائب[4].

وعلى الرغم مما مني به الساسانيين من فشل الا ان الملك قباذ لم يوافق على عقد الصلح الذي عرضه عليه روفينوس ممثل الامبراطور

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 14؛ Oman, Dark Ages,p.69.
2- بيغوليفسكيا، العرب، ص110.
3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 14.
* لم اتمكن من معرفة موقع كلا القلعتين على وجه التحديد ولا تسميتهما في الوقت الحاضر.
4- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 15.

جستنيان الاول[1]، وابلغه انهم اذا ارادوا لتلك الحرب ان تنتهي فعليهم ان يوافقوا على شروطه المتضمنة:

1. ان يتعاون الطرفان على حماية الممرات القفقاسية.
2. ان يهدم البيزنطيون قلاعهم في منطقة دارا.
3. ان يدفعوا تعويضات مالية للساسانيين [2].

وفي الوقت الذي كان فيه الساسانيين يخططون لاستعادة تفوقهم على البيزنطيين اخذ بزمام المبادرة ملك المناذرة المنذر الثالث اذ اقترح على الملك قباذ القيام بحملة على ادسا واجتياز الفرات الى سوريا، والتوغل في اغنى واوسع مدنها وهي مدينة انتيوخيا التي شغل اهلها بالاهتمام بمعيشتهم على الاهتمام بحراسة ثغور بلادهم، وبخصوص توفير الماء والمؤن للجيش وهو امر في غاية الاهمية في ظروف الطرق الصحراوية، فقد طمئن الملك قباذ بانه سيتولى قيادة الجيش وانه سيقوم بارشادهم الى افضل واسهل الطرق[3].

رحب الملك قباذ الاول بذلك الاقتراح،وضم الى المنذر الثالث 15 الف من الجنود الساسانيين يقودهم القائد ازارس[4]، واجتاز سنة 531م مجرى نهر الفرات وذلك في منطقة الجزيرة الفراتية،فلما وصل الى منطقة كوماجينه(Commagene) (سُمَيسَاط)[*] تصدى له القائد البيزنطي بليزاريوس واجبره على الانسحاب الى

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 16.

2- المصدر نفسه، ج1، فقرة 16.

3- المصدر نفسه، ج1، فقرة 17.

4- بيغوليفسكيا، العرب، ج1، ص90.

* كوماجينه (سُميساط): مدينة على ضفة الفرات الغربية (ياقوت الحموي، ج 2، ص265)، يسميها المسعودي قلعة الطين (مروج الذهب، ج1، ص101)، كانت هذه المدينة في العهد السلوقي وبالتحديد خلال القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد جزءاً من ارمينيا، وفي عهد الامبراطور فسباسيان (69 - 79م) ضمت الى سوريا (جونز، أ. هـ مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: احسان عباس، (الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1987م)، ص37، 73).

كالينيكوس[1]، وفي رواية اخرى للمؤرخ جون ملالاس[*] ان جيوش المنذر عبرت من قرقيسيوم الى مدينة كالينيكوس، ثم مر الجيش في طريقه على سورا (Sura)[**] وبرباليسوس (Barblissos) (بالس)[***]، حيث يتجه الطريق صوب انتيوخيا مبتعداً من ضفة الفرات، وواصل تقدمه حتى تمكن من الدخول الى مدينة بيبلوس (Byblus) جبّيل[****] لكنه لم يتمكن من التقدم اكثر من ذلك في اتجاه انتيوخيا [2]، اذ وصلتهم الاخبار ان القائد البيزنطي بليزاريوس اسرع على راس 20 الف من الجيش البيزنطي وبرفقته ملك الغساسنة الحارث بن جبلة الغساني (528 – 569م)[*****] ليحول بينهم وبين انتيوخيا، وانهم عسكروا في منطقة خالكيس، ولذلك قرر الجيش الساساني وحليفه ملك المناذرة المنذر الثالث التراجع عائدين بذات الطريق[3]، وسار الجيش البيزنطي في اعقابهم حتى توقف الجيش الساساني وقوات المنذر الثالث في

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 18.

* جون مالالاس: مؤرخ بيزنطي من القرن السادس الميلادي من اصل سرياني، دون احداث التاريخ منذ اقدم الازمنة الى نهاية عصر الامبراطور جستنيان الاول بشكل حولي في مدونته المسماة بـ (حوليات ملالاس The Chronicle of Malalas) والمتكونة من ثمانية عشر جزءاً، غطت الاجزاء من 15 – 18 المدة ما بين (474 – 565م)، وتكمن اهميتها فيما اورده من معلومات عن المشاكل التي واجهتها الامبراطورية البيزنطية بسبب عدائها مع العرب، امتاز بمجانبته للتحيز وبساطته وعدم ميله لجانب دون اخر (بيغوليفسكيا، العرب، ص26؛ بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص36 هامش رقم (1)).

** سورا: من المدن التدمرية القديمة الواقعة على الفرات قرب الرصافة (موسيل، الفرات الاوسط، ص518؛ كسواني، التنظيمات الادارية، ص102).

*** برباليسوس (بالس): تقع على الجانب الغربي لنهر الفرات وهي اول مدن الشام من جهة العراق، وفرضة الفرات لاهل الشام (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص180).

**** بيبلوس (جبيل): مدينة في سواحل دمشق، شرق بيروت على ثمانية فراسخ منها (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص109؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص314).

2- نقلاً عن: بيغوليفسكيا، العرب، ص111.

***** الحارث بن جبلة الغساني: هو الحارث بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، امه مارية ذات القرطين بنت عمرو بن جفنة (الاصفهاني، تاريخ سني، ص91).

3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 18.

كالينيكـوس للاسـتراحة ولاعـداد انفسـهم للتراجـع الـى مـا هـو ابعـد مـن ذلـك[1]، وصـادف فـي ذلـك الوقـت ان حـان موعـد (عيـد الفصـح)[*] والمسـيحيون كانـوا يقدسـون ذلـك العيد اكثـر من غيـره ويصومون قبل حلولـه الى نصف الليـل، وبعد ان راى القائـد البيزنطـي بليزاريـوس مـا اصـاب جيشـه مـن ارهـاق بسـبب عنـاء الطريق والصيـام لـم يرغـب فـي مقاتلـة الساسـانيين وفضـل الاكتفـاء بمـا حققـه مـن منعهم وحليفهـم المنـذر الثالـث مـن التوغـل فـي الاراضـي البيزنطيـة فخطـب بمثـل ذلـك المعنـى فـي جنده قائـلاً "... ان الساسـانيين بآمال وامنيـات كبيرة قامـوا بالهجوم على اراضينـا، الا انهـم وخوفاً من قواتنـا لاذوا بالفرار باحالة من الياس والفشـل الكاملين، ان ملاحقـة العـدو واجبـاره علـى الحـرب امر لا فائـدة لنا بـه، وهو امر غيـر ضروري لان انتصارنـا عليهـم لا يعنـي سـوى طردهـم مـن بلادنـا، وهـذا مـا حصلنـا عليه من دون أي قتـال، فعلينـا ان نسـتفاد من هـذا النصـر، لان الجميع يعـرف ان ملاحقة عدو مهـزوم عمـل لا فائـدة منه، واننـا اذا مـا دخلنا المعركـة ولـم يحالفنا الحـظ فيها، فلن يكـون لنـا مـن الافتخـار بمـا حققنا شـيء ونكـون قـد عرضنـا اراضـي الامبراطورية للسـلب دون أي داعـي للهجـوم "[2]، ومـا ان انتهـى القائـد مـن خطابـه حتـى تعالـت اصـوات الاسـتهزاء من الجنـود وقادتهـم الذين اتهمـوه بالضعف والتخـاذل، فاضطر بليزاريـوس الـى تغييـر اسـلوبه وبـدأ بتشـجيعهم علـى القتـال قائـلاً "... انـا لـم اكن اعلـم قبـل ذلـك رغبتكم في الحـرب، ولكن الان عرفـت مدى رغبتكم وشـجاعتكم، فسوف اسرع لحرب العدو ببال مرتاح وقلب يملئه الامل "[3].

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 18.

* وهو اقدم الاعياد المسيحية واشهرها، يحيي فيه المسيحيين ذكرى صلب السيد المسيح وقيامته ويصادف ذلك العيد يوم 14 نيسان (يتيم وديك، تاريخ الكنيسة الشرقية، ص53).

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 18.

3- المصدر نفسه، ج1، فقرة 18.

وعند كالينيكوس في 19 نيسان سنة 531م [1] اشتبك الطرفان في معركة وجد في وسطها الجند العرب بعضهم في مواجهة البعض، حيث وقف المنذر الثالث بقواته في مواجهة قوات الحارث الغساني التي تكون الجناح الايمن للجيش البيزنطي [2]، وقد قتل في تلك المعركة النعمان بن المنذر الثالث، واسر احد قادة الغساسنة ويسمى ابروس (Abros) أي عمرو[*] [3]، اما نتيجة المعركة فقد حسمت لصالـح الساسانيين وحليفهم المنذر الثالث [4].

والذي يظهر لنا ان ما حققه الساسانيين وحليفهم المنذر الثالث في كالينيكوس لم يكن نصراً باي حال من الاحوال، وان ما حققوه لا يعدو ان يكون اكثر من عملية دفاع عن النفس في اثناء تراجعهم ضد عدوهم الذي تعقب اثرهم بغية طردهم من اراضيه، ولا شك ان الخسائر التي قدموها مقابل تلك النتيجة لم تكن قليلة الا انها خسائر من دون فائدة لان الحملة بجملتها فشلت في تحقيق هدفها في التوغل في بلاد الشام والاستيلاء على انتيوخيا، والشيء المهم والواضح في تلك المعركة انها برهنت على قوة دولة المناذرة وعلى القدرات التي تمتع بها ملوكها ولا سيما المنذر الثالث، فهو الذي وضع خطة الهجوم وهي خطة تم تنفيذها بنجاح الى حد ما، وهو الذي امن تحركات الجيش الساساني، وان الفضل في ما حققه الساسانيين في كالينيكوس يعود

1- بيغوليفسكيا، العرب، ص112.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 18.

* يقول المؤرخ (نولدكه) عن ذلك القائد « لا يمكننا ان نعين هذا القائد بالضبط لا سيما وان عمراً هو اكثر الاسماء العربية القديمة شيوعاً »(تيودور، امراء غسان، ترجمة: بندلي جوزي و قسطنطين زريق، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1933م)، ص18).

3- بيغوليفسكيا، العرب، ص112؛ نولدكه، امراء غسان، ص17 – 18.

4- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 18؛ سايكس، تاريخ ايران، ص614؛ بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص112؛ علي، المفصل، ج3، ص221، ويجعل المؤرخ (اسد رستم) ذلك النصر للقائد البيزنطي بليزاريوس فيقول " انه انتصر عليه – يعني على المنذر – وعلى اسياده عند الفرات في كلينيكوم (أي الرقة) فردهم بذلك عن غزو سورية الشمالية " (الروم، ج1، ص186).

الى الهجوم الناجح الذي قام به على الجناح الايمن للجيش البيزنطي، وهذا ما أكده المؤرخ بروكوبيوس [1].

ومع ان بعض المصادر تؤكد عدم استفادة الساسانيين من تلك الحملة وفشلها في تحقيق هدفها، الا انها تجعل من وصول خبر وفاة الملك قباذ الى الجند سبباً في ترك مهمتهم والعودة الى بلادهم [2].

اما المؤرخ (بروكوبيوس) [3] فقد اورد لنا رواية اوضح فيها غضب الملك قباذ من نتيجة الحملة والضرر الذي لحق بقائدها الساساني ازارس، فذكر ان من عادة الساسانيين عندما يبدأون بتجهيز جيش ضد العدو، يجلس الملك على العرش الملكي ويضعون امامه عدة سلال، والقائد الذي اختير لقيادة الجيش يقف الى جانب عرش الملك ويبدأ جنوده بالمرور من امام منصة الملك وكل واحد منهم يرمي (زوبين)[*] في السلال التي امامه، وبعد ان ينتهوا يتم غلق السلال وتحفظ في مكان امين، وبعد عودة الجنود من الحرب يتم اخراج تلك السلال فيأخذ كل جندي زوبين من السلة، ثم يحسب ما تبقى منها، وبذلك يعرفون عدد من قتل منهم من الجنود، وعندما عاد القائد ازارس وحضر بين يدي الملك قباذ سأله: هل استوليت على القلعة من البيزنطيين ام لا - يقصد انتيوخيا - ؟ فاجابه القائد ازارس: بانه لم يستولي عليها، ولكنه تغلب عليهم في الحرب، عندئذ أمر الملك قباذ ان يقف الجنود امامه ويأخذ كل واحد زوبين من السلة، وبعد ان تم حساب ما تبقى منها تبين له ان عدد كبير من الجنود قد قتلوا في الحرب، فعاقب القائد آزارس على ذلك وعزله عن منصبه.

1- المصدر نفسه، ج1، فقرة 18.

2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص614؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص256.

3- جنكهاي، ج1، فقرة 18.

* زوبين: عبارة عن حلقة حديدية صغيرة حادة قاتلة على شكل هلال تقريباً.

عقب معركة كالينيكوس ارسل الامبراطور جستنيان الاول رسوله هرموجين الى الملك قباذ ليعرض عليه رغبة الامبراطور في عقد الصلح بين الطرفين، الا ان الملك قباذ الذي كان يستعد لتعويض خسارته السابقة رفض عقد الصلح وعبر عن ذلك الرفض بعدم استقباله لرسول الامبراطور[1]، وفي شهر اب سنة 531م ارسل جيشه لمهاجمة الجهات الشمالية من ارض الجزيرة الفراتية فحاصروا مدينة مرتيروبوليس، وفي الوقت الي كان فيه سكان المدينة يدافعون عن مدينتهم وصل القائد البيزنطي سيتاس[*] مع جنوده الى نقطة تبعد 100 ستاد أي ما يعادل ثمان عشرة كيلو مترات ونصف عن مدينة مرتيروبوليس، وقد رافقه روفينوس وهرموجين رسولا الامبراطور جستنيان الى الملك قباذ الاول، ويبدو ان القائد سيتاس لم يكن راغباً في الدخول في معركة مع الساسانيين لذا حاول بطريقة ما ارباك صفوف الجيش الساساني ومن ثم حمل قادته على طلب الصلح، ولذلك بث عيونه (الطابور الخامس) الذين اشاعوا ان البيزنطيين تحالفوا مع الهياطلة وان جيشاً كبيراً منهم سيقوم بالهجوم على الاراضي الساسانية[2]، وفي الوقت الذي بدأت فيه تلك الشائعة تاخذ مأخذها في التاثير على الجيش الساساني جاء خبر وفاة الملك قباذ الاول في 13 ايلول سنة 531م ليضع حداً لعملياتهم العسكرية في مدينة مرتيروبوليس، فسحبوا ايديهم من محاصرتها وعادوا الى بلادهم [3].

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 21.

* عينه الامبراطور جستنيان الاول قائداً عاماً على جيش الشرق بعد معركة كالينيكوس بدلاً من القائد بليزاريوس الذي جعله قائداً عاماً على جيش الغرب (بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 21).

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 21.

3- المصدر نفسه، ج1، فقرة 21.

معاهدة السلام الدائم سنة 532م

تولى عرش الدولة الساسانية بعد وفاة الملك قباذ الاول ابنه كسرى انوشروان(*) (531 - 579م) بوصية كان والده قد أملاها على كبير وزرائه ماهبود الذي دعم واعيان مملكته رغبة الملك لمعارضة كسرى انوشروان الشديدة للمزدكية وفتكه بهم(**) (1).

وما ان تولى كسرى انوشروان عرش الدولة حتى ارسل الى الامبراطور جستنيان يعرض عليه رغبته في عقد صلح بين الجانبين ويطلب منه ان يرسل رسله للتفاوض بشأن ذلك، وقد سرَّ الامبراطور جستنيان الاول لذلك وارسل اليه قائديه روفينوس وهرموجين، وبدأ الطرفان بالتفاوض بشأن عقد الصلح(***) الذي نصت شروطه على مايأتي:

---

* انوشروان: معناه الخالد الروح او الخالد (المنجد، صلاح الدين، المفصل في الالفاظ الفارسية المعربة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الاموي، (ايران: انتشارات بنياذ فرنك، 1398هـ/ 1978م)، ص10).

وقيل معنى انوشروان جديد الملوك وانه لقب بذلك القب في اليوم الذي قتل فيه مزدك واتباعه (المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 248؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص279).

** استهل الملك كسرى انوشروان عهده باجتثاث جذور المزدكية فيذكر انه امر الخاصة والعامة بطلب اتباع مزدك تحت كل حجر ومدر فقتل منهم بارض العراق في ضحوة واحدة ثمانين الف (المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص248؛ الثعالبي، غرر السير، ص605 - 606) وقيل مائة الف زنديق (الاصفهاني، الاغاني، ج9، ص96؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص279).

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 21.

*** لم يذكر تاريخ ذلك على وجه التحديد، الا اننا نعتقد ان ذلك تم بين شهرين ايلول وتشرين الاول سنة 531م لان وفاة الملك قباذ كانت في 13 ايلول وعقد الصلح كان في بداية سنة 532م.

1. يدفع البيزنطيون سنوياً (11) الف قنطار(*) من الذهب الى الساسانيين مقابل ابقاء استحكاماتهم وتحصيناتهم التي اقاموها في مدينة دارا.
2. مع الاعتراف بتبعية مدينة دارا للبيزنطيين الا انها يجب ان تكون منطقة منزوعة من السلاح وينقل حاكمها العسكري الى القسطنطينية.
3. ابقاء ايبريا ولازيكا تحت السيادة الساسانية.
4. اعادة قلعتي بولوم وفارانجيوم الى السيادة الساسانية.
5. يتعاون الجانبان بعضهما البعض في حماية المعابر القفقاسية[1].

وافق رسل الامبراطور على جميع الشروط ما عدا الشرط المتعلق بولاية لازيكا، فقررا عدم البت في الموافقة عليه حتى يأخذان رأي الامبراطور، فعادا الى القسطنطينية وعرضا عليه مقترحات الصلح، فخولهما التوقيع عليها بشرط ان تعود لازيكا الى السيادة البيزنطية [2]، وبعد 70 يوما استئنفت المباحثات بين الجانبين مرة ثانية في شروط المعاهدة التي اثير فيها الى جانب مقترح الامبراطور مقترح اخر الى الملك كسرى يتعلق باقليم ايبريا نص على اعطاء اهلها الذين لجأوا الى الدولة البيزنطية الحق في تقرير مصيرهم في البقاء او العودة الى بلادهم التي تقرر ان تكون تحت السيادة الساسانية [3].

وبموافقة الطرفين على المقترحين الاخيرين تم التوقيع بشكل نهائي على تلك المعاهدة التي سميت بمعاهدة الصلح الدائم في اوائل سنة 532م [4].

* بما ان القنطار الواحد يساوي 42.33 كغم فهذا يعني ان مقدار ما كانت تدفعه بيزنطة سنوياً للدولة الساسانية يساوي 465630 كغم ذهب.

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 22؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص619 – 620.

2- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج1، فقرة 22.

3- المصدر نفسه، ج1، فقرة 22؛ مهميد، محمد علي، تاريخ ديبلماسي ايران، (تهران: 1361هـ)، ص67.

4- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج1، فقرة 22.

وتذكر المؤرخة (بيغوليفسكيا)[1] انه قد عثر في مدينة هيرابوليس (Hierapolis) (منبج)[*] على رقيم باليونانية اصابه التلف محفوظ في الوقت الحاضر في متحف دمشق، يتعلق بمعاهدة السلام الدائم تلك، يرد في السطر الاول منه ذكر الامبراطور جستنيان ورسوله روفينوس، ويرد في السطر الرابع منه الحديث عن الصلح بين الدولتين وعن الاموال المتعلقة بذلك.

ولعل اهم الاسباب التي دعت الطرفين الى الركون الى السلام ان عرش الملك كسرى انوشروان لم يكن في مركز امن[**]، وان بلاده كانت تان من الفوضى والفساد الذي احدثها مزدك واتباعه[2]، ولم يكن الامبراطور جستنيان باقل رغبه منه في عقد ذلك الصلح، لان الفوضى وبالتحديد سنة 532م كانت ضاربة اطنابها في بلاده[***] من جهة ولانه جعل من اعادة وحدة الامبراطورية باسترداد اجزائها الغربية هدف سياسته

1- العرب، ص115.

* هيرابوليس (منبج): مدينة سورية بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ والى حلب عشرة فراسخ (ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1316).

** لان اخوة الملك كسرى انوشروان ولا سيما كاووس وزام بذلوا محاولات عدة للاطاحة بعرشه، الا انه تمكن من احباط تلك المحاولات وقتلهما، ولكي يأمن خطر المؤامرات التي قد تقام ضده امر بقتل من بقي من اخوته وابنائهم جميعاً، ولم ينج من ذلك سوى قباذ بن زم (كرستنسن، ايران، ص365 - 366؛ واكيم، ايران والعرب، ص69؛ وللتفصيل ينظر: بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 23).

2- عن اصلاحات الملك كسرى انوشروان وجهوده في القضاء على الفوضى التي احدثها مزدك واتباعه ينظر: مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص129 - 131؛ كرستنسن، ايران، ص349 - 357.

*** سبب تلك الفوضى الثورة الشعبية التي قام بها سنة 532م في القسطنطينية حزبي الزرق والخضر، وهما في الاصل فرقتين رياضيتين تطورتا الى حزبين سياسيين، وقد عرفت ثورتهم باسم (ثورة نيقا Nika) أي النصر، وكانت لها اسباب عدة، الا ان السبب الاساسي في قيامها يرجع الى عدم الرضا عن الحكومة اذ اعتمد الامبراطور جستنيان على رجلين هما القاضي تربيونيان (Tribonian) في القضاء والاداري يوحنا الكبدوكي (John of Cappadocia) في الادارة، وقد اجتهد الاثنان في فرض الضرائب وابتزاز الاموال، وقد كانت تلك الثورة من الخطورة بحيث ان الامبراطور فكر في الهرب من القسطنطينية لولا تشجيع زوجته تيودورا على الصمود ومقاومة الثوار (للتفصيل ينظر: Oman, Dark Ages,p.71؛ توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م)، ص72 - 73).

الخارجية الاول من جهة اخرى، وان اقتضى ذلك التنازل والموافقة على شرط مهين، وهو تعهده بدفع ضريبة سنوية كبيرة للساسانيين [1].

ان نظرة فاحصة في شروط المعاهدة تبين انها جاءت محققة لكل رغبات الساسانيين فقد وافق الامبراطور جستنيان الاول على جميع الشروط التي نصت عليها مقابل شرط واحد هو الاحتفاظ بمدينة لازيكا، وفي هذا تأكيد لاهمية المدينة والخطر الذي يهدد الامبراطورية البيزنطية فيما اذا وقعت تحت السيادة الساسانية، ولذلك فضل الامبراطور التنازل عن الكثير من الاموال والاراضي مقابل الاحتفاظ بها.

1- Davis, R.H.C, A History of Medieval Europe From Constantine to Saint Louis, Longman (1970) ,p.55.

العريني، الدولة البيزنطية، ص70؛ رستم، الروم، ج1، ص186.

العرب و الصراع الساساني - البيزنطي

- علاقة دولة المناذرة بالساسانيين ودورهم في الصراع مع البيزنطيين حتى سنة 422 م(*)

ترجع علاقة دولة المناذرة بالدولة الساسانية الى اواخر ايام الدولة الفرثية، حيث نجحت بعض القبائل العربية من تعزيز مواقعها في الاقسام الغربية من نهر الفرات مع ازدياد ضعف الدولة الفرثية ومن هذه القبائل التنوخيون(**)، وقد ادرك الساسانيون المنافع التي يجنونها من تحالف تلك القبائل في تأمين حدود دولتهم الغربية من غارات الاعراب ومن امكانية الاستفادة منهم في حروبهم مع البيزنطيين فاعترف الملك اردشير ابن بابك (224 - 241م) بسلطان زعيمهم جذيمة الابرش (208 - 268م)(***) علـى منطقة غرب الفرات ما بين الحيرة وفيروز سابور [1].

---

* لقد اخترنا التوقف في عرضنا لعلاقة المناذرة بالساسانيين ودورهم في الصراع مع البيزنطيين عند سنة 422م لانه في هذه السنة عقدت معاهدة السلام بين الجانبين الساساني والبيزنطي حددت بمئة سنة، ومع ان الملك يزدجرد الثاني (438 - 457م) نقض تلك المعاهدة واعلن الحرب على البيزنطيين سنة 442م الا ان تلك الحرب لم تقم (ينظر ص 143 - 144 من هذه الاطروحة) وظل الهدوء والسكون يخيم على العلاقات بين الجانبين حتى سنة 502م.

** التَّنوخُ: المُقام والاستقرار، والتنوخيون: مجموعة من القبائل العربية تحالفت فيما بينها على الاقامة والعيش المشترك في البحرين، وفي اواخر عهد الدولة الفرثية انتقلوا الى ارض العراق (ينظر: الطبري، تاريخ، ط5، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، ج1، ص 610 - 612).

*** جذيمة الابرش: هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الازدي، كنيته الابرش او الوضاح لبرص كان فيه، تمكن من توحيد القبائل العربية تحت قيادته وبسط سيطرته على المنطقة الممتدة ما بين الحيرة والانبار (الاصفهاني، تاريخ سني، ص75؛ الطبري، تاريخ، طبعة دار المعارف، ج1، ص 612 - 613)، عاصر الملك الساساني اردشير بن بابك (242 - 241م) وتحالف معه (غنيمة، الحيرة، ص119 - 120، 122).

1 - باقر واخرون، تاريخ ايران، ص157؛ النفزاوي، محمد ثامر، فارس بيزنطة والجزيرة العربية من القرن الثالث الى القرن السابع الميلادي، (تونس: دار الجنوب، د.ت)، ص17؛ العسلي، خالد، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام والعهود الاسلامية المبكرة، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، 2002م)، ج، ص97.

وتجمع المصادر التاريخية على ان عمرو بن عدي(268 – 288م)(*) يُعد المؤسس الحقيقي لدولة ال لخم فهو " اول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، واول من مجد اهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، واليه ينسبون، وهم ملوك ال نصر.. " [1]، وقد سار عمرو على خطى سلفه في اقامة علاقات صداقة وتحالف مع الساسانيين[2]، فيذكر انه تقلد منصبه من الملك الساساني سابور الاول بن اردشير [3].

وتوثقت العلاقات بين المناذرة والساسانيين في عهد ملك المناذرة النعمان الاول(**) (390 – 418م) الذي كان معاصراً للملك الساساني يزدجرد الاول (399 – 420م)، فيذكر المؤرخون الاوائل " كان ملك فارس ينفذ معه كتيبتين، الشهباء واهلها الفرس، ودوسر واهلها تنوخ، فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب " [4].

ولعل وجود هاتين الكتيبتين في معسكر الملك النعمان الاول تساند حملاته وغزواته جعلت بعض المؤرخين المحدثين ينظرون الى دولة المناذرة على انها دولة اصطنعها الملوك الساسانيين لتكون دولة حاجزة (Buffer State)

---

* عمرو بن عدي: هو ابن اخت جذيمة الابرش، اسمه عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مالك بن غنم بن نمارة بن لخم، امه رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان (اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص179؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص76؛ ابن المغيرة، تاريخ العرب القديم، ورقة 296).

1– الاصفهاني، تاريخ سني، ص76؛ الطبري، تاريخ، طبعة دار المعارف، ج1، ص 627؛ المسعودي، مروج الذهب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة السعادة، 1964م)، ج2، ص90 – 91).

2– الملاح، الوسيط، ص220؛ علي، ابراهيم محمد، المناذرة دراسة سياسية حضارية 268 – 602م، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة الموصل: كلية الاداب، 1982م)، ص30.

3– غنيمة، الحيرة، ص130.

** النعمان الاول: هو النعمان بن امرئ القيس الاول، لقب بالاعور لانه كان اعور والسائح لانه تخلى عن الملك في اواخر ايامه وتنسك واخذ يسيح في الارض (ابن قتيبة، المعارف، ص 647؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص79).

4– الاصفهاني، تاريخ سني، ص79؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص405.

بينهم وبين ابناء القبائل البدوية التي كانت تغير على حدودها من جهة وبينها وبين البيزنطيين من جهة اخرى[1].

وبلغت الصلات بين الجانبين الساساني والحيري اوج قوتها عندما ارسل الملك الساساني يزدجرد الاول (399 - 420م) ابنه الامير بهرام الخامس (بهرام جور) ليتربى في كنف الملك النعمان الاول[2]، وقد واصل ولده المنذر الاول (418 - 462م) مهمته في الاشراف على تربية الامير بهرام الخامس، بل ان القوة العسكرية التي ارسلها معه بقيادة ابنه النعمان اسهمت بشكل فاعل في اجلاسه على عرش ابيه عندما حاول الاشراف والعظماء ابعاده عنه بعد ان قتلوا ابيه[3].

وقد وصف الاستاذ (يحيى الخشاب) [4] موكب بهرام الخامس عند وصوله الى العاصمة الساسانية طيسفون وجلوسه على العرش بمساعدة القوات العربية بقوله " قدم المدائن في ظل الرماح العربية فاجلسه النعمان على عرش الاكاسرة ".

وهذا بالتاكيد يظهر لنا مدى القوة التي بلغتها دولة المناذرة في عهد ملكها المنذر الاول بحيث قابلتها الارستقراطية الساسانية (طبقة الاشراف والعظماء) بالاذعان والخضوع وتسليم الامر الى بهرام الخامس، وان تلك الحالة تبين لنا ان الملوك الساسانيين ولا سيما الضعفاء منهم لم يترددوا في سبيل الارتقاء الى العرش في طلب

1- الملاح، الوسيط، ص219 - 220؛ امين، احمد، فجر الاسلام (بحث عن الحياة العقلية في صدر الاسلام الى اخر الدولة الاموية)، (القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1945م)، ج1، ص16؛ زيدان، العرب قبل الاسلام (مجموعة جرجي زيدان الكاملة)، مج10، ص280؛ حتي واخرون، تاريخ العرب، ج1، ص108.
2- الطبري، تاريخ، ج1، ص404؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص257.
3- للتفصيل ينظر: الطبري، المصدر نفسه، ج1، ص406 - 409؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص114 - 118؛ ابن البلخي، فارس نامة، ص74 - 77.
4- اسلام فارس، ص14؛ علي، المناذرة، ص35.

المساعدة من اصدقاء الدولة وحتى اعدائها(*) غير عابئين بالنتائج التي تترب على اذلال دولتهم وسقوط هيبة الحكم في نظر شعبهم.

ولم تقف معونة ملك المناذرة المنذر الاول على ايصال الملك بهرام الى الحكم، بل ساعده في حروبه ضد البيزنطيين سنة 421 – 422م، فالهزيمة التي منيت بها القوات الساسانية في ارمينيا سنة 421م ومحاصرة الجيوش البيزنطية لمدينة نيسيبيس دفعت الملك بهرام الخامس الى طلب المساعدة من المنذر الاول بالهجوم على بلاد الشام، وقد استوثق الاخير من النصر فوعد باخذ البيزنطيين اسرى، والسيطرة على انتيوخيا عاصمة بلاد الشام، الا ان النتيجة كانت على خلاف ما كان يتوقع، فقد اخذ الذعر بقلوب جنوده، ربما نتيجة كمين غير متوقع " فولوا الادبار حين ظنوا ان القوات الرومية قد اطبقت عليهم، وهلكت جموع كبيرة منهم لما قذفوا بانفسهم في نهر الفرات بما عليهم من دروع واسلحة " [1]، وكان ذلك سنة 421م [2]، وذكر ان عدد من غرق من جنود المنذر في الفرات بلغ زهاء عشرة الآلاف [3].

ولحقت بالمنذر الاول خسارة اخرى في السنة نفسها او في السنة التي تلتها – أي سنة 422م – عندما اعاد الكرة على البيزنطيين [4].

* نعني بذلك الهياطلة، ومثال على ذلك الملك فيروز (459 – 484م) الذي ذهب الى ملكهم وطلب منه مساعدته في حربه ضد اخيه هرمز الثالث (457 – 459م)، فلبى ملك الهياطلة طلبه وارسل معه جيشاً تمكن به ان يهزم اخاه ويظفر بالعرش (الطبري، تاريخ، ج1، ص413؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص120) وكذلك الملك قباذ الاول (488 – 531م) الذي طلب مساعدتهم في استعادة عرش ابيه بعد ان جلس عليه عمه بلاش (484 – 488م) (ينظر: ص 148من هذا الفصل).

1- بيغوليفسكيا، العرب، ص90؛ الملاح، الوسيط، ص227 – 228؛ محل، سالم احمد، العلاقات العربية – الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: جامعة البصرة – كلية الاداب، 1967م)، ص180.

2- روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ص245.

3- بيغوليفسكيا، العرب، ص90؛ وعند الدكتور (جواد علي) مئة الف (المفصل، ج3، ص208) مع العلم ان كلا المؤرخين اعتمدا في ايراد تلك المعلومة على المورخ سقراط الاسكولي المتوفى سنة 439م.

4- روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ص245؛ علي، المفصل، ج3، ص208.

- علاقة دولة الغساسنة(*) بالبيزنطيين.

خلافاً لما ذكره المؤرخ الالماني (نولدكه) [1] من ان دولة الغساسنة نشأت في بلاد الشام في اواخر القرن الخامس الميلادي، وان اول من تولى الملك فيها هو جبلة بن الحارث(**)، فان روايات الاخباريين الاوائل تؤكد ان تفردهم بالسيطرة على مشارف الشام(***) يرجع الى الوقت الذي تغلبوا فيه على الضجاعمة(****) من بني سليح بن حلوان[2] وقد حدث ذلك في سبعينيات القرن الثالث الميلادي في وقت كانت فيــه الامبراطورية الرومانية تصارع ملوك آل اذينة في تدمر من اجل استعادة سلطان روما على بلاد الشام، وفي وقت كان فيه الصراع على اشده بين الرومان والساسانيين، عند ذلك وجد الرومانيين ان من مصلحتهم التحالف مع الغساسنة خوفاً من ان

---

* الغساسنة: من قبائل الازد اليمانية التي هاجرت من اليمن قبل او بعد انهيار سد مآرب، وسمو بالغساسنة نسبة الى عين ماء تدعى غسان في بلاد عك ما بين زبيد وزُمع، وسمو بـ (ال جفنة) نسبة الى جدهم الاول جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر، وسمو بـ (ال ثعلبة) نسبة الى جدهم ثعلبة بن مازن (ينظر: الاصفهاني، تاريخ سني، ص89؛ ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ)، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (مصر: مكتبة الخانجي، د. ت)، ص435؛ ابن قتيبة، المعارف، ص 640؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص278).

1- امراء غسان، ص8 - 9.

** جبلة بن الحارث: هو جبلة بن الحارث بن ثعلبة، ينسب اليه (الاصفهاني) بناء القناطر وأدرج والقسطل، ويحدد مدة حكمه بعشر سنوات (تاريخ سني، ص91) اما (ابن دريد) فيذكر عنه «انه ابن مارية التي يقال لها قرطا مارية» (الاشتقاق، ص436)، يقال انه اول ملك غساني دخل في خدمة البيزنطيين، فيسميه المؤرخ ثيوفانس (جبلس) من دون ان يذكر والده او لقبه، وذكر عنه انه غزا فلسطين سنة 500م (نقلاً عن: نولدكه، امراء غسان، ص8؛ علي، المفصل، ج3، ص403).

*** مشارف الشام: هي المنطقة الجنوبية من بلاد الشام والمتاخمة للجزيرة العربية (باشميل، العرب في الشام، ص187).

**** الضجاعمة: هم بنو ضجعم بن حماطة بن سعد بن سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة (ابن حبيب، ابو جعفر محمد البغدادي (ت245هـ)، المحبر، تصحيح: ايلزة ليختن شتيتر، (حيدر اباد: الدكن، 1942م)، ص370؛ ابن دريد، الاشتقاق، ص 545).

2- ابن قتيبة، المعارف، ص 640؛ اليعقوبي، كتاب عن الاخبار العربية، مخطوط محفوظ في المركز الوطني للمخطوطات تحت رقم 8794، رقم الفلم 2720، ورقة رقم 11؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص89 - 90؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص278.

يتحالفوا مع الساسانيين ضدهم[1]، وقد اكد ذلك (ابن حبيب)[2] وكذلك (ابن خلدون)[3] الذي نقل عنه فذكر، ان الامبراطور الروماني ديقيوس(*) ارسل الى رئيسهم ثعلبة بن عمرو(**)، يقول " انتم قوم لكم بأس شديد وعدد كثير، وقد قتلتم هذا الحي، وكانوا اشد حي في العرب، واكثرهم عدة واني جاعلكم مكانهم، وكاتب بيني وبينكم كتاباً: ان دهمكم دهم من العرب أمددتكم باربعين الف مقاتل مع الروم بأداتهم، وان دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون الف مقاتل على ان لا تدخلوا بيننا وبين فارس ".

يظهر من مضمون المعاهدة ان العلاقة بين الغساسنة والرومان في هذه المرحلة كانت علاقة بين دولتين تربط بينهما معاهدة الدفاع المشترك، فالرومان كانوا بحاجة الى مساعدة الغساسنة في تأمين حدودهم ضد غارات القبائل البدوية، اما الغساسنة فانهم بحاجة الى الرومان في بسط سلطانهم على ابناء القبائل العربية في بلاد الشام، كما يلاحظ ان البيزنطيين في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ دولة الغساسنة كانوا حريصين على ضمان حياد الغساسنة في المعارك القائمة على قدم وساق بينهم وبين الساسانيين مما يشير الى استقلالية القرار السياسي لحكام الغساسنة قبل ان تتطور علاقات التحالف السياسي بينهم وبين البيزنطيين بحيث يظهرون بمثابة الامراء التابعين لهم يحكمون بلاد الشام باسمهم، ويتم تولية كل ملك منهم في القسطنطينية التي طالما ذهبوا اليها لينالوا من اباطرتها الخلع والاوسمة والرتب العالية[4].

1- باشميل، العرب في الشام، ص192 – 193.

2- المحبر، ص371.

3- تاريخ، ج2، ص 279 – 280.

* عند (الاصفهاني) نسطورس (تاريخ سني، ص90).والغالب على الظن انه الامبراطور دقلديانوس (284 – 305م) لانه في عهده اشتدت الحرب مع الملك الساساني نرسي (293 – 302م) (ينظر ص 98 – 100 من هذه الاطروحة)

** عند (اليعقوبي) جفنة بن عمر (كتاب عن الاخبار العربية، ورقة 11)؛ وكذا الحال عند الاصفهاني، تاريخ سني، ص90.

4- باشميل، العرب في الشام، ص195.

ومما يؤكد حقيقة ان الغساسنة في ذلك الوقت لم يكن ارتباطهم بالامبراطورية البيزنطية ارتباط التابع بالمتبوع ما ذكره المؤرخ الروماني (اميانوس مرسيلينوس) [1] ان العرب الاسّانيين - يعني بهم الغساسنة - وذلك باسقاط حرف الغين الذي لا وجود له في اللاتينية، الذين قاتلوا الى جانب البيزنطيين في حملة الامبراطور جوليان على العراق سنة 363م، تركوه وانقلبوا عليه وانضموا الى جانب الساسانيين بعد ان حرمهم الامبراطور جوليان من ارزاقهم ومنع عنهم العطايا التي كانت تمنح لهم من قبل.

ويبدو ان الغساسنة ظلوا نداً للبيزنطيين حتى سنة 497 او 498م، اذ يذكر المؤرخ البيزنطي ثيوفانس(Theophanes)[*] [2] ان زعيمهم(جبلس)(Jabalas) جبلة بن الحارث قام سنة 490م[**] بغارة على فلسطين "اضطر معها ان يولي الادبار"، اذ هزمه رومانوس (Romanus)حاكم فلسطين من قبل الامبراطور انستاسيوس الاول (491 - 518م).

1- نقلاً عن: بيغوليفسكيا، العرب، ص52؛ علي، المفصل، ج2، ص642.

* ثيوفانس: (752 - 818م) مؤرخ بيزنطي عاش في فترة ازدهار الخلافة العباسية، تعد مدونته المسماة بـ (الحوليات) (Chronograhia) مصدراً مهماً لتاريخ العرب قبل الاسلام، اذ ضمت معلومات كثيرة عن العرب جمعها من مؤرخين سابقين له، ورتبها حسب السنين، ففيها يرد ذكر الاسماء الصحيحة لفيلارخات (زعماء وشيوخ) القبائل العربية ودور كل منهم (بيغوليفسكيا، العرب، ص 17)

2- نقلاً عن: اولندر، ملوك كندة، ص92؛ نولدكه، امراء غسان، ص8؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص 167.

** ينتقد المؤرخ اولندر تقدير المؤرخ ثيوفانس للتواريخ فيقول " ان التواريخ التي يضعها المؤرخ ثيوفانس لم تكن في اغلب الاحوال صحيحة، ويتضح ذلك من تعينه بدء حكم الامبراطور انستاسيوس الاول بعام 484م، وحكم الامبراطور جستين الاول بسنة 511م، وحكم الامبراطور جستنيان الاول بسنة 520م "، ثم يقول " وقد عين جون مالالاس تاريخ موت الحارث الكندي في بدء عام 528م وعلى هذا التعيين صححنا ايضاً التواريخ المذكورة سابقاً والتي جاء بها ثيوفانس " (ملوك كندة، ص95 - 96).وعلى ذلك فانه يرى ان التاريخ الصحيح لتلك الغزوة هو سنة 497م (ص92)؛ اما المؤرخة (بيغوليفسكيا) فانها نقلت الرواية اعلاه من المؤرخ ثيوفانس ايضاً الا انها لا تذكر السنة التي حددها المؤرخ، ومع ذلك فانها تحدد تاريخ تلك الغزوة بسنة 498م (العرب، ص168)؛ اما " حوالي سنة 500م " التي حددها المؤرخ (نولدكه) لتلك الغزوة، فيبدو انه اعتمد في ذلك التحديد على تقديره الشخصي، ذلك انه لم يجد دليلاً يثبت ان تلك الغزوة كانت سنة 497 او 498م اذ يقول "لا يمكننا تعين هذه الحادثة بالضبط في سنة 497 او 498م" (امراء غسان، ص8 - 9)، وفي اعتقاده ان تلك الغزوة كانت موجهة ضد سليح بن حلوان وانها مكنت الغساسنة من فرض سلطانهم على بلاد الشام.

ـ علاقة مملكة كندة(*) بالساسانيين والبيزنطيين.

الى جانب دولتي المناذرة والغساسنة ظهرت مملكة كندة على مسرح الاحداث لتلعب دوراً سياسياً وتجارياً مهما على الطريق بين اليمن وبلاد الشام في اطار العلاقات الدولية السائدة انذاك.

ولعدم وضوح المعلومات التاريخية عن الحقبة المبكرة التي بدأت بها العلاقات السياسية بين تلك المملكة وكلاً من المناذرة والغساسنة ومن ثم الساسانيين والبيزنطيين، ولان تلك المعلومات وكما يذكر (اولندر) [1] " مبنية على الظنون لا تؤيدها غير اساطير وعبارات تتصل بفترات زمنية غير محددة تحديداً دقيقاً "، وفي ضوء ما اشار اليه من " ان الاسرة المالكة الكندية بلغت في عهد الحارث بن عمرو(**) اوج سلطانهـا وبه برزت على مسرح التاريخ فتسلطت اضواؤه عليها " [2]، فاننا سنتناول تاريخ تلك العلاقات بداءً من مدة حكم الملك الحارث بن عمرو(490 – 528م)، فقد ذكر المؤرخ البيزنطي (ثيوفانس) [3] انه في سنة 490م،هزم رومانوس (Romanus) حاكم فلسطين من قبل الامبراطور انستاسيوس الاول،سيدي قبيلتين هما جبلاس

* كندة: تنسب القبيلة الى (كنديٌّ) وهو ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ وهي من القبائل القحطانية (اليمنية) (ابن دريد، الاشتقاق، ص362؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص419 وص425) هاجرت قبيلة كندة اليمن واتجهت الى وسط وشمال شبه الجزيرة العربية في النصف الاول من القرن الرابع الميلادي واستقرت في منطقة غمر ذي كندة الواقعة في الطرف الجنوبي الغربي من نجد على مسيرة يومين من مكة (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 211)، ويعد حجر بن عمرو الملقب بـ (آكل المرار) الذي عاش في منتصف القرن الخامس الميلادي هو المؤسس الحقيقي لتلك المملكة (ابو الفداء، المختصر، ج 1، ص 121؛ اولندر، ملوك كندة، ص70؛ علي، المفصل، ج3، ص321 – 322).

1- ملوك كندة، ص92.

** الحارث بن عمرو الكندي: تولى الحكم بعد ابيه عمرو المقصور، وعرف بالحارث الحراب لانه كان يحرب الناس (ابن دريد، الاشتقاق، ص75).

2- اولندر، ملوك كندة، ص92.

3- نقلاً عن: المصدر نفسه، ص92 ويرى ان التاريخ الصحيح لذلك سنة 497م؛ علي، المفصل، ج3، ص349.

(Jabalas او جمالوس Jamalos) (جبلة بن الحارث) و(اوكاروس Ogaros) (حجر) فطرد الاول واسر الاخر.

ويرد اسم حجر عند المؤرخة (بيغوليفسكيا) [1] وهي تنقل عن المؤرخ نفسه بصيغة (أجَر ابن آرثه الملقب ثالبان) أي (حجر بن الحارث الثعلبان او ثعلبة)، وتؤكد ان المؤرخ (ثيوفانس) قصد بـ (آرثه ثالبان Arethas O. Thalabayn) الحارث الكندي والد كل من أجر (حجر) و بديكرم Badikarim (معد يكرب)، وتقدم دليلاً على ذلك فتقول " وذكره - أي ثيوفانس - مرتين لآرثه باسمه القبلي ثالبان انما اراد به ان يميز بينه وبين سميّه آرثه (فيلارخ الروم) - أي عامل البيزنطيين الحارث الغساني - وآرثه الملقب ثالبان ".

ولا يشك المؤرخ (اولندر) [2] في نسبة حجر الذي وقع في اسر الحاكم رومانوس الى الحارث الكندي فيقول: " ان حجر احد ابناء الحارث الكندي الذي كانت امه(*) على ما تروى الروايات العربية من بني ثعلبة من قبيلة بكر ".

1- العرب، ص167.

2- ملوك كندة، ص92.

* وهي ام أياس او أم أناس ابنة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الذي هي فرع من قبيلة بكر بن وائل، وقد اختلف الرواة في ام أناس فمنهم من جعلها اماً للحارث بن عمرو المقصور (اليعقوبي، كتاب عن الاخبار العربية، ورقة 23؛ الاصفهاني، الاغاني، ج9، ص99 في رواية نقلها عن الهيثم بن عدي، وفي رواية نقلها عن ابي عبيدة، ج16، ص385 ذكر ان ام اناس كانت زوجة لحجر بن عمرو آكل المرار وانها اماً لولديه الحارث بن حجر وهند بنت حجر، وان لابنها الحارث ابن يقال له عمرو، ويقصد به عمرو المقصور والد الحارث)، ومنهم من جعلها زوجة للحارث بن عمرو المقصور، وانها ام لولده عمر (ابن الاثير، الكامل، ج1، ص325) والرواية الاولى هي التي ايدها اولندر (ملوك كندة، ص88) وكذلك روتشتاين، (اثر النفوذ الكندي في سياسة الحيرة، ترجمة: منذر عبد الكريم البكر، مجلة (كلية التربية)، السنة الرابعة، العدد 8، (البصرة: جامعة البصرة، 1982م)، ص177).

وبعد هذه الاحداث باربعة اعوام اي سنة 501 او 502م يذكر (ثيوفانس) [1] امير اخر من امراء كندة هو اخ لحجر يسمى بديكرم (معد يكرب) قام بغارة على فينيقية[*] وسوريا وفلسطين وعاث بها فساداً، ووصف نجاحه في تلك الغارة بقوله " انقض كالريح على هذه المواضع وابتعد اسرع من ذلك بالغنائم حتى ان البيزنطيين في تعقبهم له لم يستطيعوا البتة اللحاق بالعدو " [2].

وقد كانت تلك الغارات وكما يقول المؤرخ (ثيوفانس) [3] شديدة الوطأة على بيزنطة بحيث اضطر الامبراطور انستاسيوس الاول في خريف سنة 502م ان يعقد صلحاً مع آرثه الملقب ثالبان والد معد يكرب و حجر، ومع ان المؤرخ لا يذكر شروط ذلك الصلح الا ان (اولندر) [4] يؤكد انه تضمن امتناع الحارث وابنيه عن غزو الاراضي البيزنطية، كما تضمن ايضاً اقامة تحالف بينهما ضد الساسانيين وحلفائهم المناذرة. وهذا يعني ان مملكة كندة اصبحت بموجب ذلك الصلح حليفة للبيزنطيين.

ويبدو ان ذلك التحالف ترجم الى الواقع العملي في اثناء الحملة التي قام بها ملك المناذرة النعمان الثاني (498 – 503م) مساندة للساسانيين في معاركهم ضد البيزنطيين خلال السنوات (502 – 506م) ففي 26 تشرين الثاني سنة 502م وفي الوقت الذي كان فيه الملك الساساني قباذ الاول مشغولاً بمحاصرة مدينة آميدا تقدم النعمان الثاني (وكان ذلك بطلب من الملك قباذ الاول) بقواته من الجنوب الى

1- نقلاً عن Bury,J.B.History of the Later Roman Empire,London(1923),Vo1.1,p.434؛ اولندر، ملوك كندة، ص93؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص168.

* فينيقية: هي الولاية التي تشمل دمشق، حمص، تدمر، بعلبك (نولدكه، امراء غسان، ص16 هامش رقم (47).

2- نقلاً عن: بيغوليفسكيا، العرب، ص169؛ فرعون، دور مملكة كندة، ص21.

3- نقلاً عن: اولندر، ملوك كندة، ص93؛ بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص169.

4- المصدر نفسه، ص93 – 94.

منطقة كرها فنهب وسلب وخرب حتى وصل الى حدود مدينة ادسا[*][1]، وفي سنة 503م هاجم منطقة الخابور (شمال سوريا) فاستغل بني ثعلبة هذه الفرصة فهاجموا الحيرة وانقضوا على قافلة كانت في طريقها اليها فقتلوا جميع من كان فيها واقتادوا ابلهم[2]. ويؤكد (روتشتاين)[3] ان الذي قام بتلك الحملة هو الحارث الكندي، ويؤيده في ذلك(اولندر)[4] فيقول " ان اطلاق اسم ثعلبة على اصحابه ليس بالامر المستحيل لانها احد فروع قبيلة بكر بن وائل التي شاركت معه في تلك الحملة ".

ولا شك ان ذلك الهجوم من ال كندة كان بمثابة ضربة مضادة رداً على غارات المناذرة للاراضي البيزنطية.

ثم جاءت وفاة ملك المناذرة النعمان الثاني مساعدة الى ملك كندة الحارث الكندي في تحقيق اهدافه في مد نفوذه على العراق ومنافسة المناذرة في عقر دارهم ولاسيما ان حليفتهم الامبراطورية الساسانية كانت هي الاخرى خلال المدة (503 - 505م) تعاني من متاعب كثيرة على الجبهتين الداخلية والخارجية، فمتاعبها على الجبهة الداخلية تمثلت في اعتناق الملك قباذ للمزدكية في محاولة منه للحد من نفوذ الاشراف والعظماء في دولته، اما على الجبهة الخارجية فتمثلت متاعبها بمعاركها القائمة على

---

* لم تكن تلك الحملة المشاركة الاولى التي وقف بها النعمان الثاني الى جانب حلفائه الساسانيين فقد سبق ان قام بغارة على حدود البيزنطيين والعرب المحالفين لهم في بلاد الشام، يعتقد انها كانت سنة 498م الا ان القائد البيزنطي يوجينيوس (Eugenius) تصدى لهم وتمكن من الحاق الهزيمة به في منطقة بثرابسوس (Bithrapsos) البئر في الوقت الحاضر على ضفاف الفرات (Bury, History of the Later Roman,Vo1.1,p.434، روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ص250)

1- بيغوليفسكيا، العرب، ص166 - 167؛ ادي شير، تاريخ كلدو، ج2، ص162.
2- نقلاً عن: اولندر، ملوك كندة، ص94؛ بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص94، 170؛ روتشتاين، اثر النفوذ الكندي، ص176.
3- اثر النفوذ الكندي، ص176 - 177.
4- ملوك كندة، ص94، 107.

قدم وساق مع البيزنطيين من جهة والهياطة الذين هاجموا حدودها الشمالية الشرقية (خراسان) من جهة اخرى.

ويؤكد(اولندر) [1] استغلال الحارث الكندي اضطراب الاوضاع في كلا الدولتين المناذرة والساسانية خلال المدة (503 – 506م)[*] ونجاحه في بسط نفوذه على املاك الدولة اللخمية الا انه يرى ان سيطرته تلك لم تكن سيطرة تامة بدليل ان اسمه – أي اسم الحارث – لم يذكر بين من ذكروا من ملوك الحيرة.

وقد اوضحت لنا روايات المصادر العربية كيف استغل الملك الحارث الكندي الوضع المضطرب للدولة الساسانية لصالحه في تحقيق اهدافه السياسية وتوسيع نفوذه على حساب مملكة اللخميين فجاء فيها "... فلما راى الحارث ما عليه قباذ من الضعف طمع في السَّواد، فامر اصحاب مسالحه[**] ان يقطعوا الفرات فيغيروا في السواد (العراق)، فاتى قباذ وهو بالمدائن فقال: هذا من تحت كنف ملكهم، ثم ارسل الى الحارث بن عمرو ان لصوصاً من لصوص العرب قد غاروا، وانه يحب لقاءه، فلقيه، فقال له قباذ: لقد صنعت صنيعاً ما صنعه احد قبلك، فقال له الحارث: ما فعلت ولا شعرت، ولكنها لصوص من لصوص العرب ولا استطيع ضبط العرب الا بالمال

1– ملوك كندة، ص94، 107.

* عين الملك قباذ الاول بعد وفاة ملك المناذرة النعمان الثاني سنة 503م رجل من قبيلة لخم لكنه ليس من الاسرة المالكة، وانما من ذميل وهو بطن من بطون لخم، يسمى ابو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدي بن ذميل بن ثور بن اسس بن ربي بن نمارة بن لخم، ولم يتحدث اصحاب الاخبار عن علاقة هذا الرجل بالاسرة المالكة ولا عن كيفية تعيينه والاسباب التي ادت الى اختياره لهذا المنصب، وكل ما ذكرته انه حكم ثلاث سنين ثم انتقل الحكم من بعده الى المنذر الثالث بن امرؤ القيس (المنذر الثالث) (ابن حبيب، المحبر، ص359؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص81؛ الطبري، تاريخ، طبعة دار المعارف، ج2، ص104؛ غنيمة، الحيرة، ص162).

** المسالح: مفردها مسلحة وهي كالثغر والمرقب اعدت لمراقبة العدو، والعرب يسمونها المناظر(ابن منظور، ابو الفضل جمال بن محمد بن كرم بن علي المصري(ت711هـ)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د. ت)، ج2، ص487؛ علي، المفصل، ج2، ص628 – 629).

والجنود، قال له قباذ: فما الذي تريد؟ قال: اريد ان تطعمني من السواد ما اتخذ به سلاحاً، فامر له بما يلي جانب العرب من اسفل الفرات، وهي ستة طساسيج(*) "[1].

يتضح مما تقدم ان الحارث الكندي استغل حاجة الملك قباذ الاول الى ضبط حدود دولته ومنع غارات الاعراب عليها في توسيع سلطانه ومد نفوذه الى العراق، وان ذلك جاء ملبياً لحاجة حلفائه من قبيلتي بكر بن وائل وتغلب اللتين تحركتا خلال ذلك الوقت نحو الشمال تاركتين مناطقهما القديمة في اليمامة ونجد، لتستقرا في العراق على مقربة من الحدود الساسانية [2]. ويبدو انه وجد ان الاتفاق مع الساسانيين يعود عليه بفوائد ومنافع لا يمكن ان يغتنمها من البيزنطيين، ولا سيما ان ارتباطه معهم قد ضعف اذ لم يكن انقطع بشكل تام بعد عقدهم للصلح مع الساسانيين سنة 506م، ولا يستبعد ان يكون الحارث قد تعهد بدفع ضريبة الى الساسانيين مقابل السماح له بذلك التوسع[3]، ومما لا يدعو الى الشك ان الدولة الساسانية وجدت في تحالفها مع كندة فضلاً عن تامين حدودها الجنوبية من هجمات القبائل العربية، ما يحقق مصالحها الاقتصادية وطرق تجارتها المارة في شبه الجزيرة العربية [4].

ويذكر ان المنذر الثالث (505 - 554م) بعد ان يئس من الحصول على المساعدة ضد عدوه اللدود المغتصب للعرش ابو يعفر[5]*، لان الملك قباذ الاول كان في وضع يصعب عليه تقديم تلك المساعدة، اضطر الى التقرب من الحارث الكندي، فتزوج ابنته هند، وتمكن بفضل مساعدته له من تولى عرش الحيرة سنة 505م بعد ازاحة ابي

* طساسيج: جمع طسوج وهو تقسيم اداري ويقصد به ناحية او قضاء (ابن منظور، لسان، ج2، ص317)

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص420؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص125 - 126.

2- اولندر، ملوك كندة، ص114؛ فرعون، دور مملكة كندة، ص22.

3- اولندر، المصدر نفسه، ص114؛ علي، المفصل، ج3، ص341.

4- فرعون، دور مملكة كندة، ص22 - 23.

5- * ابو يعفر: ينظر تعريفه في ص 185 نجمة (1)

يعفر عنه[1]. وبذلك نجح المنذر الثالث في تجاوز عوامل المنازعات والصراعات التي كانت قائمة بين دولة كندة والمناذرة [2].

وبعد ان امن المنذر الثالث لنفسه وضعاً مستقراً داخل دولته عمل على توسيع نفوذه وسلطانه فيشير (روتشتاين) [3] الى انه قام في سنة 519م وبتحريض من ملك الساسانيين قباذ الاول بالهجوم على الاراضي البيزنطية في عهد الامبراطور جستين الاول (518 – 527م) وانه تمكن من تاسير قائدين هما ديموسترتوس (Demostratus) او تيموستراتوس (Timostratus) ويوحنا (Johannes).

ومع ان ان المؤرخة (بيغوليفسكيا) [4] تؤيد قيام المنذر الثالث بذلك الهجوم وتخريبه لمدينتي ايميسا وافامية، الا انها تعدها حملة من الحملات التي اراد بها تعزيز نفوذ دولته ولاسيما ان الساسانيين في ذلك الوقت لم يكونوا في حالة حرب مع البيزنطيين.

ومما يؤكد ان المنذر الثالث خلال تلك الحقبة حاول ان يمارس دوراً سياسياً ودبلوماسياً مستقلاً عن سياسة الساسانيين، وثيقة سريانية معاصرة للاحداث جاء فيها " انه في كانون الاول من عام 524م وصل رسول الامبراطور البيزنطي جستين الاول (ابرام بن اوبور) الى المنذر الثالث ليعقد صلحاً وحلفاً معه، وان الاخير وافق على اطلاق سرح القائدين لقاء فدية مناسبة " [5].

ويبدو ان ذلك التقارب بين المنذر الثالث وبيزنطة لم يرض الملك الساساني قباذ الاول فطرده ونصب الحارث الكندي بدلاً عنه على عرش الحيرة وذلك سنة 525م [6]، ويذكر ان سبب نقمة الملك قباذ على ملك المناذرة المنذر الثالث وعزله اياه

1- اولندر، ملوك كندة، ص108؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص96.
2- الملاح، الوسيط، ص230.
3- تاريخ السلالة اللخمية، ص255.
4- العرب، ص106.
5- نقلاً عن: المصدر نفسه، ص103؛ روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ص255.
6- اولندر، ملوك كندة، ص114.

تعود الى ان الاخير تصرف بطريقة مزدوجة، فكان يتسلم من الامبراطور البيزنطي مساعدات بين حين واخر عندما كان لا ينحاز الى جانب الساسانيين، وقد كان متفقاً مع البيزنطيين على ان لا يحرك ساكناً حين تنشب الحرب بينهم وبين الساسانيين، هذا في الوقت الذي كان فيه الملك الساساني يتوقع منه ولاءً مطلقاً له بصفته حليفاً دائماً له [1].

وتنسب روايات المصادر العربية سبب تخلي الملك قباذ عن المنذر الثالث الى انه رفض الدخول في الديانة المزدكية في حين وافق الحارث الكندي على الدخول فيها[2]، والواقع ان هذه الرواية تبدو ضعيفة لانه لم نجد بين المصادر المتوافرة لدينا ما يشير الى ان الملك قباذ الاول كان قد عزل الموظفين او الحكام الذين لم يدخلوا في المزدكية من بين الساسانيين انفسهم فكيف اذا كان الامر متعلقاً بالعرب وهم في الاصل لم يكونوا تابعين للساسانيين في معتقداتهم، وما يضعف تلك الرواية اكثر ويجعلها بعيدة عن القبول ما ذكره (ابن خلدون)[3] " ان الحارث الكندي ابى ان يتزندق مع قباذ ملك الفرس ".

ومهما يكن الامر فان التعاون بين الملك قباذ الاول والحارث الكندي اجبر ملك المناذرة المنذر الثالث الى ترك ملكه [4] خلال السنوات من 525 - 528م وهي المدة التي استولى فيها الحارث الكندي على عرش ال لخم[5].

1- اولندر، ملوك كندة، ص115؛ الملاح، الوسيط، ص205.
2- ابن حبيب، المحبر، ص 369؛ الاصفهاني، الاغاني، ج 9، ص96؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص279؛ ابو الفداء، المختصر، ج1، ص122.
3- تاريخ، ج2، ص276.
4- الاصفهاني، تاريخ سني، ص83.
5- اولندر، ملوك كندة، ص113؛ علي، المفصل، ج3، ص341.هناك من المؤرخين من يرى ان تولي الحارث الكندي لعرش المناذرة كان سنة 529م وان المنذر ظل طريداً حتى اعاده اليه الملك كسرى انوشروان بعد ارتقائه العرش سنة 531م (ابن حبيب، المحبر، ص369؛ الاصفهاني، تاريخ سني، ص83؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص279؛ ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص274؛ محل، دور العرب، ص390) الا ان اشتراك المنذر الى جانب الساسانيين في الحرب ضد البيزنطيين في اذار سنة 529م وسنة 530م و531م تجعلنا نستبعد صحة ما ورد.

ويبدو ان الحارث الكندي لم يكن مطمئناً الى قوة وضعه في الحيرة لان الاوضاع في الدولة الساسانية لم تكن مستقرة(*)، ولذلك اخذ يسعى الى تحسين علاقته مع البيزنطيين الذين يظهر انهم رحبوا بذلك التقارب، اذ عهدوا اليه مهمة حراسة حدودهم الجنوبية واطلقوا عليه لقب (فيلارخس) (Phulareos)(**) [1]، الا ان الحارث لم يتمكن من الافادة من وضعه الجديد اذ استحكم العداء بينه وبين ديوميدس(Diomedos) حاكم فلسطين البيزنطي الذي اجبره على الفرار الى الحدود الداخلية لانديكا (Indca) (الهند)(***) – أي وسط الجزيرة العربية [2] – ربما بقصد الحصول على العون والمؤازرة من قاعدة حكمه دولة كندة ومن دار في فلكها من القبائل العربية الساكنة في المناطق الوسطى لبلاد العرب [3]. ويبدو ان المنذر الثالث كان يراقب هذه التطورات عن كثب، فانقض على عدوه وقتله في اثناء انسحابه، وذلك في اذار سنة 528م [4].

وبمقتل الحارث الكندي زالت قوة واهمية دولة كندة، فلا نجد في المصادر المتوافرة لدينا بعد ذلك ذكر لعلاقات اقامها مع الساسانيين او البيزنطيين ابناء الحارث الكندي الذين شغلوا بالخلاف والتنازع فيما بينهم على الملك والسلطان [5].

* لان الملك قباذ الاول وابنه كسرى انوشروان كرسا جهودهما خلال المدة ما بين سنة 528 – 529 في القضاء على المزدكية واتباعها (ينظر: كرستنسن، ايران، ص344 – 346).

** يطلق البيزنطيين لقب فيلارخس او فيلارك على رئيس القبيلة ويعني هنا اميراً على قبائله او عاملاً من قبل البيزنطيين (اولندر، ملوك كندة، ص115 هامش رقم (230)).

1- اولندر، ملوك كندة، ص115؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص172؛ علي، المفصل، ج3، ص343.

*** ان انديكا (الهند) عند المؤرخين البيزنطيين في ذلك الوقت لا تعني الهند بحد ذاتها، بل مناطق شبه الجزيرة العربية وعلى وجه التحديد وسط الجزيرة العربية (بيغوليفسكيا، العرب، ص107، 172).

2- بيغوليفسكيا، العرب، ص107، 172؛ الملاح، الوسيط، ص206 – 207.

3- بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص172.

4- اولندر، ملوك كندة، ص95؛ بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص108، 173؛ علي، المفصل، ج3، ص343 وعند كرستنسن ان المنذر قضى على الحارث وعاد الى عرشه سنة 529م (ايران، ص346).

5- ينظر: علي، المصدر نفسه، ج3، ص353 – 357.

دور ملك المناذرة المنذر الثالث
في الصراع الساساني - البيزنطي 529 - 531م

تشير المصادر الى ان الامبراطور جستنيان الاول (527 - 565م) غضب لخبر مقتل الحارث الكندي، لانه وجد في انتصار اللخميين على الكنديين تدعيماً للنفوذ الساساني، ولذلك اصدر اوامره بتعقب المنذر ومهاجمته الى قادته في الشرق وكذلك الى فيلارخات المقاطعات - أي عماله العرب في مناطق الحدود - ومنهم آرثة - أي الحارث بن جبلة الغساني [1] - ومعنى هذا ان الغساسنة دخلوا دائرة العلاقات مع البيزنطيين سنة 528م.

ولم تفلح تلك القوات في اللحاق به، اذ يظهر ان تحركها ضده اثارت فزعه، ففر بدوره الى وسط شبه الجزيرة العربية، وعند ذلك توجهت تلك القوات الى بلاده وانقضت على معسكره، فاسرت عدد كبير من الرجال والنساء وغنمت من الابل وقطعان الماشية الاخرى أعداداً كبيرة [2].

رد المنذر الثالث على تخريب معسكره بالقيام بعمل من شأنه ان يقرب بينه وبين الساسانيين، فهاجم في اذار سنة 529م بلاد الشام وتوغل في اراضي واسعة اشتملت على ايميسا وافامية وانتيوخيا، فخربها، واسر عدداً كبيراً من سكانها [3]، وقيل انه اقتاد

1- اولندر، ملوك كندة، ص95؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص107، 173؛ كوبيشانوف، يوري ميخائيلوفتش، الشمال الشرق الافريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية من القرن السادس الى منتصف القرن السابع، ترجمة: صلاح الدين عثمان، (عمان: الجامعة الاردنية، 1988م)، ص94؛ علي، المفصل، ج3، ص343.

2- بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص 107؛ كوبيشانوف، المصدر نفسه، ص94.

3- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص61؛ نولدكه، امراء غسان، ص11؛ داوني، جلانفيل، انطاكية القديمة، ترجمة: ابراهيم نصحي، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1967م)، ص316 - 317.

من الاسرى من احدى الكنائس في مدينة ايميسا اربعمائة راهبة، وانه قدمهن قرباناً الى الالهة الزهرة (العزى) [1].

وقد دفعت هذه الغزوة الامبراطور جستنيان الاول الى تعيين الحارث الجفني (فيلارخاً) ليكون خصماً قوياً يقف بوجه المنذر الثالث [2].

وجدد المنذر الثالث وقوفه الى جانب الساسانيين في معاركهم ضد البيزنطيين سنة 530 – 531م، في الوقت نفسه وقف الحارث بن جبلة الغساني الى جانب البيزنطيين، اذ انيطت به مهمة حماية الجناح الايمن لجيشهم في المعركة التي جرت في 19 نيسان سنة 531م والذي كان فيه المنذر الثالث وجيشه يكون الجناح الايسر للجيش الساساني[3].

1- مار ميخائيل، المصدر نفسه، ج2، ص61؛ روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ص256؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص101، 102.

2- نولدكه، امراء غسان، ص11؛ روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ص256؛ نكلسن، رينولد، تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام، ترجمة وتحقيق: د. صفاء خلوصي، (بغداد: مطبعة المعارف، 1969م)، ص86.

3- ينظر ص 166 – 167 من هذه الاطروحة.

اليمن في نطاق السياسة الساسانية البيزنطية

لم يقتصر الاهتمام السياسي للدولتين الكبيرتين على منطقة القفقاس وتخوم ارض الجزيرة فحسب، بل تجاوزهما الى تخوم شبه الجزيرة العربية الواقعة على الطرق البعيدة ذات الاهمية التجارية المارة بمحاذاة سواحل البحر الاحمر التي ارادت كل منهما السيطرة عليها ووضعها تحت نفوذها، فبيزنطة سعت للتخلص من الاحتكار الساساني للتجارة ولا سيما تجارة الحرير المارة باراضيهم(*) الى الاتصال المباشر بمنابع التجارة الشرقية عن طريق البحر الاحمر[1]. وبما ان الرأس الشمالي (بلاد الشام) لهذا الطريق تحت سيطرتها، فلم يبق امامها سوى السيطرة على رأسه الجنوبي (اليمن)، ويبدو ان الدرس الذي

* ان الطرق البرية والبحرية لتجارة الحرير كانت خاضعة لسيطرة الساسانيين وعن طريقهم تصل تلك المادة الى الغرب(بيزنطة)، فالطريق البري كان يبدأ من الحدود الغربية للصين مروراً ببلاد الصغديانة (بخارى وسمرقند) ثم يصل الى الحدود الساسانية حيث يقوم التجار الساسانيين بدورهم بنقلها الى مراكز التجارة البيزنطية (بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص275؛ اوليري، جزيرة العرب، ص132)، اما الطريق البحري فان السفن الصينية كانت تسير غرباً الى جزيرة سيلان ومن ثم تنقل البضائع بوساطة السفن الساسانية عبر المحيط الهندي والخليج العربي وصولاً الى مصب نهري دجلة والفرات ومنه الى مراكز التجارة البيزنطية (حوراني، جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى، ترجمة وتعليق: السيد يعقوب بكر، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت)، ص96 - 98؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص87)

1- العريني، الدولة البيزنطية، ص88؛ الشريف، احمد ابراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) (القاهرة: دار الفكر العربي، 1965م)، ص164؛ عثمان، الحدود الاسلامية البيزنطية، ج1، ص120.

تلقوه في حملة اليوس جالوس (Aelius Galus)(*) سنة 24 ق.م، جعلهم لا يفكرون مطلقاً باستخدام القوة العسكرية[1]، لذا لجأت الى الطرق الدبلوماسية من خلال التقرب من الحبشة(**) التي كانت تدين بالديانة المسيحية(***) وكانت هي الاخرى تطمع بالاستيلاء على اليمن اذ كانت ترى فيها امتداداً طبيعياً لمملكتها[2].

ولم تكن اليمن بعيدة عن طموح الساسانيين الذين كانت تربطهم بها علاقات تجارية تعود الى ما قبل الاسلام، فكانوا يرسلون قوافلهم التجارية اليها، ويوكلون حراستها الى جماعات من زعماء القبائل يتمتعون بنوع من النفوذ فيها [3]، وكانت لهم

* حملة اليوس جالوس: هدف هذه الحملة الاستيلاء على اليمن وجعل البحر الاحمر بحراً رومانيا، وقد حدثت هذه الحملة في عهد الامبراطور الروماني يوليوس قيصر سنة 24 ق.م، انطلقت من مصر برئاسة والي مصر الروماني اليوس جاللوس وبمساعدة احد الادلاء العرب يسمى صالح، وقد واجهت من المصاعب والعقبات ما جعلها تنكص على اعقابها (حتي واخرون، تاريخ العرب، ج1، ص158؛ علي، المفصل، ج2، ص44 – 45 وللتفصيل ينظر: العبادي، احمد صالح محمد، الاطماع الاجنبية في اليمن قبل الاسلام 24 ق.م – 628م، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: جامعة بغداد – كلية التربية، 2001م)، ص32 – 42.

1- الشريف، مكة والمدينة، ص152 – 153؛ العبادي، الاطماع الاجنبية، ص43.

** الحبشة (اثيوبيا): يقال ان الحبشة سميت بهذا الاسم نسبة الى القبائل اليمنية التي هاجرت الى سواحل افريقيا بين السنوات 232 – 250م كبني حُبَيْش والجعز التي تنسب اليهم اللغة الجعزية لغة اهل الحبشة ويسمي العرب ملكهم بالنجاشي او ملك اكسوم نسبة الى عاصمتهم اكسوم (علي، المفصل، ج3، ص449 – 451؛ الحمد، جواد مطر، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم خلال الالف الاول قبل الميلاد حتى عشية الغزو الحبشي 252م، (الشارقة: دار الثقافة العربية، 2002م)، ص482؛ العبادي، الاطماع الاجنبية، ص 52).

*** اعتنق الاحباش المسيحية على المذهب الاريوسي اليعقوبي، وصارت الديانة الرسمية للبلاد زمن ملكهم عيزانا Ezana الذي لا يعرف سنوات حكمه على وجه التحديد، سنة 354م بتأثير المبشر الهندي الاصل ثاوفيلس، وقد نجح في انشأ كنيسة في ظفار وصار رئيس اسقفيتها والمشرف على باقي الكنائس في اليمن ومن ضمنها كنيسة نجران (حتي واخرون، تاريخ العرب، ج1، ص80؛ علي، المفصل، ج3، ص456؛ يعقوب الثالث، مار اغناطيوس، الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، مجلة (البطريركية)، ع31، س4، (دمشق: بطريركية انطاكيا وسائر المشرق للسريان الارثوذكس، 1965م)، ص20.

2- الشريف، مكة والمدينة، ص161؛ حتي واخرون، تاريخ العرب، ج1، ص82؛ الملاح، الوسيط، ص96.

3- علي، المفصل، ج2، ص632.

سفن في ميناء (ادوليس Adulis) (عدولي)[*] تتاجر مع الحميريين [1]، وكانت بيزنطة تراقب تلك العلاقات بعين الريبة والحذر، وتخاف من حدوث تقارب بين الطرفين، لان ذلك التقارب يعني وقوع طريق البحر الاحمر في قبضة الساسانيين وبذلك يتمكنون من احكام حصارهم على بيزنطة ويحرمونها من تجارة الشرق [2].

ومما زاد في مخاوف بيزنطة الاتصالات التي كانت بين الملك الحميري ذو نواس[**] (517 - 525م) وبين ملك المناذرة المنذر الثالث، الذي كان يدور في فلك السياسة الساسانية، ولذلك أدت بيزنطة دوراً اساسياً وبارزاً في تمكين الحبشة من الاستيلاء على اليمن سنة 525م[***] [3].

---

* عدولي: ميناء حبشي اشتهر في عصر ما قبل الاسلام كأهم ميناء بالبحر الاحمر، ولا سيما لتجارة المرور (الترانزيت) ولتسويق السلع الافريقية مثل العاج والرقيق وغيرها، كذلك اشتهر بصناعة نوع من السفن تسمى العدولية، وقد تدهور هذا الميناء بسب استيلاء الساسانيين على اليمن سنة 575م، ثم بزوغ فجر الاسلام، فلم يبقى منه الا ذلك النوع من السفن التي اكتسبت شهرة بسواحل الخليج (بيغوليفسكيا، العرب، ص189 الهامش).

1- حوراني، العرب والملاحة، ص198.

2- العبادي، الاطماع الاجنبية، ص158.

** ذو نواس: هو اخر ملوك حمير، اسمه زرعة بن زيد بن كعب كهف الظم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن حُشم بن وائل بن عبد شمس بن الغوث بن جدار بن قطن بن عريب بن الرئش بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وانما سمي (ذا نواس) لذؤابة (شعر في اعلى الناصية) كانت تنوس (تتذبذب) على راسه (الدينوري، الاخبار الطوال، ص63)، واسمه عند البيزنطيين (دميانوس)، وعند السريان (مسروق) وفي النقوش (يوسف اسار) سمي يوسف بعد اعتناقه اليهودية. (ينظر: اغناطيوس، افرام الاول، كتاب الشهداء الحميريين، مجلة (المجمع العلمي العربي)، مج23، ج1، (دمشق: مطبعة الترقي، 1948م)، ص5).

*** ان الصراع بين الحبشة واليمن الذي انتهى بانتصار الاحباش لم يكن صراعاً دينيا فحسب وانما كان صراعاً سياسياً اقتصادياً اتخذ مظهراً دينيا، فاتخاذ ملك اليمن ذو نواس (يوسف) اليهودية ديانة رسمية لبلاده انما كانت ضربة موجهة ضد فئة من رعاياه جمعت ثروة كبيرة من متاجرتها مع الحبشة وبيزنطة واعتنقت المسيحية، اما في الخارج فقد اراد وضع حد لامتداد النفوذ البيزنطي في بلاده ولا سيما ان نجران كانت مركزاً مهماً لذلك النفوذ، ولقطع شريان التعاون بين الحبشة وبيزنطة عطل تجارة ميناء ادولس Adulis(عدولي) ومنع قوافل التجارة الحبشية العبور عبر اراضيه وقتل عدد من التجار البيزنطيين ونهب بضائعهم (كوبيشانوف، الشمال الشرق الافريقي، ص34 - 35؛ العلان، السياسة الساسانية، ص159 - 160).

3- اذ ارسل ذو نواس رسله الى المنذر الثالث يعرض عليه التعاون معه في القضاء على المسيحيين في بلاده مقابل ثلاثة الالف دينار (كوبيشانوف، الشمال الشرق الافريقي، ص50).

وعلى ضوء تطور العلاقات بين بيزنطة والحبشة بذل الامبراطور جستنيان جهوداً حثيثة لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية على حساب عدوته الدولة الساسانية فارسل الى ملك حمير سمه يفع اشوع(*) (525 – 531م) ونجاشي الحبشة كالب الاصبحة(**) (Kaleb Elle'Asbeha) سنة 530 – 531م رسوله جوليانوس (Julianus) للتفاوض معهما بمهمتين متشاكلتين، طلب في الاولى منها باسم الاخوة في الدين اعلان الحرب على الساسانيين وحلفائهم اللخميين بتكوين جيش كبير تتوحد فيه قوى الاكسوميين والحميريين وعرب وسط وشمال شبه الجزيرة العربية(***)، اما المهمة الثانية فكانت ذات هدف اقتصادي بحث، هو اقناع نجاشي الحبشة بالقيام بدور الوسيط بدلاً من الساسانيين يقوم بشراء الحرير من الهنود ثم يبيعه للبيزنطيين [1].

ان تلك السفارة كشفت عن الاهداف الحقيقية للدبلوماسية البيزنطية فقد تمكنت باسم الدين من تحقيق ما فشلت روما في تحقيقه سنة 24 ق.م (أي فشل حملة

* سمه يفع اشوع: اسيميفايوس (Esimiphaeus) عند البيزنطيين هو ابن عم ذو النواس، ترك جانبه وانضم الى الحبشة سنة 524م، فحاولت الاخيرة الافادة منه في حربها ضد اليمن، فجعلت منه رئيساً للمهاجرين المسيحيين اليمنيين، وقبل انطلاق حملتها على اليمن اعادته ومن معه من المهاجرين الى سواحل اليمن الجنوبية واوكلت اليه مهمة بث الاضطراب في صفوف الحميرين في اليمن وتشجيع المتمردين على ترك الملك الحميري ذي نواس والانضمام الى الاحباش (كوبيشانوف، الشمال الشرق الافريقي، ص70 – 71) وبعد استيلائهم على اليمن عينه نجاشي الحبشة كالب الا اصبحة حاكماً على اليمن بصفته تابعاً له (بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، ص102 – 103).

** كالب الا اصبحة: تعني الا (Elle) ذو او لآل، اما (اصبحة) فاسم اجداده او قبيلته التي انحذر منها (علي، المفصل، ج3، ص470).

*** ان تكوين ذلك الجيش مرتبط الى حد كبير بالمهمة الثالثة التي جاء من اجلها رسول الامبراطور، وهي طلبه من ملك الحميريين سمه يفع اشوع السماح لقيس زعيم قبيلة معد التابعة للحميريين، المعروف بشجاعته وتمرسه في القتال، بالعودة الى زعامة القبيلة، وكان قيس قد هرب الى البادية بعد ان قتل احد اقارب سمه يفع اشوع، وكان بامكان الاخير ان يطالب بدمه ويقتله وفقاً للعرف الجاري بأخذ الثار، الا ان الامبراطور اراد ان يستغل شجاعة قيس ليقوم بمهمة مهاجمة الساسانيين وحلفائهم اللخميين (كوبيشانوف، الشمال الشرق الافريقي، ص98؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص202).

1 – بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 20؛ كوبيشانوف، الشمال الشرق الافريقي، ص95 – 96.

اليوس جالوس)، وها هي مرة اخرى تتخذ من الدين وسيلة لخلق قوة عسكرية تتوحد فيها قوى العرب لتوجهها ضد عدوتها اللدودة وحلفائها اللخميين، بمعنى انها ارادت ان تمارس الضغط على الدولة الساسانية من ناحية العرب [1].

وبحسب ما ذكرته المصادر فان دبلوماسية جستنيان اخفقت في تحقيق اهدافها، فمع ان ملكي حمير والحبشة قد وعدا رسول الامبراطور خيراً، الا ان أي منهما لم ينفذ وعده، اذ كان من الصعب على الحميريين اجتياز ارض واسعة بعيدة وطرق طويلة تمر بصحارى وقفار لمحاربة شعب اكثر استعداداً منهم لخوض المعارك [2]، اما الاحباش فلم يكونوا في وضع يسمح لهم شراء الحرير من الهنود، لان التجار الساسانيين وبسبب قرب بلادهم كانوا يقيمون في المؤانئ التي كانت تقف عندها السفن الهندية وقد اعتادوا شراء جميع حمولتها [3]، وان تعامل اهل تلك المؤانئ مع التجار الساسانيين يعود الى عهد بعيد ولذلك لم يشاؤا الاساءة اليهم بالتعامل مع منافسيهم [4]، والاكثر من ذلك ان الاحباش انفسهم لم يقطعوا علاقتهم التجارية مع الساسانيين [5].

وهكذا ظل الساسانيون يحتكرون تجارة الحرير لانفسهم، وظل ذلك الامر يفزع بيزنطة ولا سيما في اثناء الحروب بينهما، الا ان الامور تيسرت بعد عشرين سنة، اذ تمكن قسيسان بين سنة 552و سنة 554م من ان ينقلا معهما من الصين وهما عائدان شرانق دودة القز في قصبة مجوفة، واخذت الامبراطورية البيزنطية تنتج ما يلزمها من الحرير [6]، وهذا يعني انه اصبح لدى البيزنطيين انتاج محلي من الحرير استعاضوا به

1- كوبيشانوف، المصدر نفسه، ص100.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج1، فقرة 20؛ كوبيشانوف، المصدر نفسه، ص96.

3- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج1، فقرة 20؛ حوراني، العرب والملاحة، ص103.

4- كوبيشانوف، الشمال الشرق الافريقي، ص97؛ حوراني، العرب والملاحة، ص103.

5- كوبيشانوف، المصدر نفسه، ص109.

6- Homo, Roman Political,p.204;

بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص277؛ جيبون، اضمحلال، ج2، ص428 – 429.

مما كان قد لحق بهم من خسارة وصاروا الى حد ما في مامن من تحكم الساسانيين في مقدراتهم.

الحروب الساسانية- البيزنطية (540- 562م)

في اواخر الثلاثينيات من القرن السادس الميلادي تهيأت الظروف والاحوال لحدوث نزاع بين المناذرة والغساسنة، يذكر المؤرخ (بروكوبيوس) (1) ان الملك الساساني كسرى انوشروان كان المحرض الاساسي في قيامه، ليتخذ منه ذريعة ينقض بها اتفاقية السلام الدائم المعقودة بينه وبين خصمه الامبراطور جستنيان الاول سنة 532م، اذ اخافته القوة التي اصبح عليها البيزنطيين بعد النجاحات التي حققوها في جبهتهم الغربية(*)، وان استقرار الوضع الداخلي في بلاده بعد الاصلاحات التي قام بها في جوانبها كافة الادارية والاقتصادية والعسكرية(**)، جعله في وضع يؤهله لتحقيق طموحاته في ان يعيد للدولة الساسانية مجدها الاول الذي كانت عليه في عهد اردشير.

كان سبب النزاع بين الملكين العربيين المنذر الثالث ملك المناذرة والحارث الغساني ملك الغساسنة ان كلاً منهما ادعى بحق ملكية الارض التي تسمى

1- جنكهاي، ج2، فقرة 1.

* اتاحت معاهدة السلام التي عقدها الامبراطور جستنيان الاول مع الملك كسرى انوشروان سنة 532م فرصة توجيه قواته العسكرية التي كانت تقف على الحدود الشرقية للامبراطورية لاسترداد الولايات الغربية التي استولى عليها الجرمان، ففي سنة 533م توجه القائد بليزاريوس الى شمال افريقيا، فتمكن من القضاء على مملكة الوندال في اذار سنة 534م، وفي سنة 535م توجه نحو ايطاليا لاستردادها من القوط الشرقيين، فتمكن سنة 536م من الدخول الى روما، وبعد سلسلة من المعارك تمكن من الاستيلاء على عاصمتهم رافنا سنة 540م (للتفصيل ينظر: موس، ميلاد العصور الوسطى، ص173 – 181؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص71 – 77؛ اليوسف، الامبراطورية البيزنطية، ص54 – 59).

** للتفصيل عن الاصلاحات التي قام بها كسرى انوشروان ينظر: الطبري، تاريخ، طبعة دار المعارف، ج2، ص 98 – 102.

بـ(ستراتا Strata) الواقعة جنوب تدمر(*)، التي فضلاً عن اهميتها التجارية والعسكرية فانهـا منطقة رعي يرعى فيها اعراب العراق وبلاد الشام، وكان الغساسنة يحرسون هــذا الطريق، وقد اكد الحارث الغساني على ان هذه الارض تخص الامبراطورية البيزنطية منذ زمن بعيد كما يتبين من اسمها اللاتيني، اما المنذر الثالث فقد ادعى بان القبائل العربية النازلة في تلك الاراضي خاضعة لسلطانه، وتدفع له الضريبة منذ وقت طويل[1]، وقد حاول الامبراطور جستنيان الاول التدخل لحل ذلك الخلاف فارسل اثنين من ثقاته للنظر في الامر وهما ستراتيجيوس (Strategius) المسؤول عن الامور المالية في الامبراطورية، وسوموس (Summus)، قائد جيش فلسطين، فاشار سوموس على الامبراطور بعدم الاستجابة لطلب المنذر الثالث، اما ستراتيجيوس، فقد رأى ان الموضوع المتنازع عليه لا يستحق كل ذلك الاهتمام وان من الافضل للامبراطور ان يصرف النظر عنه حتى لا يعطي الساسانيين مبرر لنقض الصلح [2].

في خضم ذلك النزاع ادعى الملك الساساني كسرى انوشروان ان الامبراطور نقض الصلح الذي كان بينهما باتصاله بالمنذر الثالث عندما ارسل اليه قائده سوموس مع كتاب منه يمنيه فيه بالوعود وبمبالغ كبيرة من المال اذا انحاز الى جانب البيزنطيين، واتهمه بانه كتب الى الهياطلة يغريهم بمهاجمة الساسانيين [3].

وعندما علم الامبراطور جستنيان الاول ان الملك كسرى انوشروان قد تهيأ لمحاربته حاول ان يثنيه عن عزمه فارسل اليه يقول "... ان نقض اسس الصلح ووطاة ميدان الحرب ليس بالعمل السهل، ويجب ان تعلم انه بعد بدأ الحرب من الصعب

*** يعترض(نولدكه) على تحديد (بروكوبيوس) لتلك الاراضي فيقول « لكنها بالاحرى تلك الاراضي الممتدة على جانبي الطرق الحربية من دمشق الى ما بعد تدمر حتى مدينة سرجيوس (سروج) السورية (امراء غسان، ص18).

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 1؛ Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,p.92.

2- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 1.

3- المصدر نفسه، ج2، فقرة 2؛ Bury, History of the Later Roman,Vo1.2, p.92..

اعادة الصلح، انك تدينني على مكاتبات دونت من دون سوء نية، مفسراً اياها كما يروق لك من دون ان تفهم القصد الحقيقي من كتابتها حتى تجد ذريعة لبدء الحرب،ولكن مقابل تلك الاتهامات التي لا اساس لها نستطيع نحن ندعي ان المنذر التابع لك والمعين من قبلك قد هاجم على ارضينا في زمن استباب السلم بيننا، وارتكب اقبح الاعمال فاستولى على مدننا وسلب ونهب ممتلكات كثيرة واسر من الناس بقدر ما قتل وان عليكم والحال هذه ان تعتذروا لا ان تدينوا... اعلم ان نقض المعاهدة وصمة عار لا تناسب الرجـال العاديين، فكيف يناسبك وانت من الملوك والحكام العظام... "[1].

لم يعر الملك كسرى انوشروان رسالة الامبراطور اهتماماً، ويبدو انه اراد اثارة الامبراطور اكثر ومن ثم حمله على بدء الحرب بينهما لذلك لم يكتف بعدم الاجابة عليه، بل انه لم يخل سبيل رسوله [2].

ويرد ذكر النزاع بين المناذرة والغساسنة عند (الطبري) والمؤرخين الذين نقلوا عنه، على الرغم من ان اسماء الاشخاص عنده ترد بصورة محرفة، ومما جاء في تلك الرواية "... كان فيما ذكر بين كسرى انوشروان وبين يخطيانوس (جستنيان) ملك الروم موادعة وهدنة، فوقع بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة (الحارث بن جبلة)، وبين رجل من لخم، كان ملكه كسرى على ما بين عُمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب يقال له المنذر بن النعمان، نائرة[*] فاغار خالد (الحارث) بن جبلة على حيّز المنذر، فقتل من اصحابه مقتلة عظيمة، وغنم اموالاً من امواله، فشكا ذلك المنذر الى كسرى، وسأله الكتابة الى ملك الروم في انصافه من خالد، فكتب كسرى الى يخطيانوس،

1- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 4.
2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 4؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص 117.
* نائرة: عداوة (ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص247).

يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح، ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب، ويسأله أنْ يأمر خالداً أنْ يرد على المنذر ما غنم من حَيّزه وبلاده، ويدفع اليه دية مَنْ قتل من عربها، وينصف المنذر من خالد والا يستخف بما كتب به من ذلك، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه، وواتر الكتاب الى يخطيانوس في انصاف المنذر فلم يحفل بها "(**)[1].

وفي ربيع سنة 540م نقض الملك كسرى انوشروان معاهدة الصلح الدائم سنة 532م وتقدم على رأس جيشه صوب الاراضي البيزنطية في بلاد الشام سالكاً ذات الطريق الذي سلكه المنذر الثالث في حملته المشتركة مع الساسانيين سنة 530م [2]، وبعد ان عبر قرقيسيوم الواقعة في نقطة التقاء نهر الخابور بالفرات، وصل الى مدينة سورا الواقعة على الساحل الايسر لنهر الفرات، وقد حاول قائد حاميتها الارمني المسمى (اشك) الدفاع عنها مع سكان المدينة الا انه قتل، فاضعف ذلك من عزيمة السكان على المقاومة، ولانقاذ انفسهم ارسلوا اسقفهم الى الملك كسرى انوشروان يعرض عليه ترك المدينة لقاء فدية يتفقان عليها، وعلى الرغم من ان الملك كسرى اظهر تعاطفه وموافقته على ما عرض عليه الاسقف ومرافقيه وسمح لهم بالعودة الى مدينتهم وطلب من عدد من ضباطه مرافقتهم حتى لا يترك للشك اثراً في انفسهم، الا انه كان مصراً على معاقبتهم كي يرعب بهم بقية المدن التابعة لبيزنطة فلا يفكروا في مقاومته، وما ان وصل الاسقف ومرافقيه الى المدينة واستبشر الناس بقدومهم حتى

---

* يعلق الدكتور (جواد علي) على تلك الرواية بقوله « وفي رواية الطبري عن ملك المنذر مبالغة على ما يظهر، فليس في الاخبار التي يرويها الاخباريون عن هذا الوقت رواية واحدة يفهم منها ان نفوذ الفرس قد شمل هذه الاراضي الواسعة الممتدة من الحجاز الى سواحل الخليج، وليس فيها خبر واحد يفهم منه ان ملك المنذر قد شمل الطائف وسائر الحجاز، ولو كان ملكه قد بلغ هذه البلاد لوعت ذلك ذاكرة اهل الاخبار شيئاً عنه، اذ انه لم يكن بعيد عهد عن الاسلام (المفصل، ج3، ص224).

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص429 - 430؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص281.

2- ينظر: خارطة رقم (3)

هاجمهم الجيش الساساني، فقتل واسر عدد كبير منهم وبعد ان استولى على اموالهم، اخلا سبيل رسول الامبراطور الذي كان قد احتجزه ليعود فيخبر امبراطوره " اين ابن قباذ وباي عمل مشغول " [1]، ومن دون شك ان هذه الاشارة تعني بدء الحرب العلنية مع البيزنطيين، ثم انه استغل ضعف المقاومة الى جانب الفراغ العسكري البيزنطي فطلب من قنديدوس (Candidus) اسقف مدينة سرجيوبوليس (Sergioplis) (الرصافة)[*] ان يفتدي اسرى المدينة الذين استرقاهم والبالغ عددهم 12 الف اسير بقنطارين من الذهب[**]، ولانه لا يمتلك المبلغ المطلوب فقد تعهد لكسرى انوشروان بانه سيدفعه خلال سنة، فقبل الاخير تعهده بشرط اخر، هو انه اذا تأخر عن الدفع فسيكون المبلغ مضاعف الى جانب عزله عن منصبه الاسقفي [2].

في ضوء تطور تلك الاحداث عهد الامبراطور جستنيان قيادة جيشه في الشرق الى قائديه بليزاريوس وبوزس (Bouzes) وقد جعل القيادة العامة للاخير لحين قدوم بليزاريوس من ايطاليا، كان القائد بوزس مع جيشه في مدينة هيرابوليس، وبعد استطلاعه الاخبار ومعرفته ان جيش العدو اضعاف جيشه،وبعد ان تبين له ان المدينة لا تقوى على مقاومة الحصار الذي قد يفرضه عليها الملك كسرى انوشروان الى

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 5؛

Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,pp.93 - 95..

* سرجيوبوليس (الرصافة): تقع الى الغرب من مدينة الرقة، والمسافة بينهما اربع فراسخ، تقوم اطلالها في الوقت الحاضر على نحو مئتي كيلو متر شرق حلب، كان يسكنها ملوك غسان، وفي العهد الاموي سميت برصافة الشام او رصافة هشام نسبة الى الخليفة هشام بن عبد الملك (105 – 125هـ/ 724 – 743م) الذي بنى فيها قصر له لما وقع الطاعون بالشام اتقاء شره (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص47؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص137).

** أي ما يعادل 84.66 كغم من الذهب.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 5؛ يني، جرجي افندي، تاريخ سوريا، (بيروت: المطبعة الادبية، 1881م)، ص204؛

Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,pp.93 - 95..

جانب ضعف استحكاماتها، قرر تقسيم جيشه على قسمين،جعل القسم الاول منه يرابط في داخل المدينة ليقوم بحراستها من على الابراج،واخرج القسم الاخر منه الى خارجها ليقوم بمهاجمة معسكر العدو بين الحين والاخر ويحول دون حصوله على المؤن[1]، وعلى الرغم من وجاهة خطته الا انه وكما يذكر (بروكوبيوس)[2] بعد ان اخذ قسم من الجيش ليرابطوا خارج المدينة " اختفى ولم يشاهد له أي اثر ولا يعرف الى أي جهة ذهب".

وقد ادرك الامبراطور الخطر الذي يتهدد انتيوخيا لذلك ارسل اليها ابن اخيه جرمانوس(Garmanus) مع ثلاثمئة من جنوده ليتفقد تحصيناتها ويستوثق من سلامتها[*]، ووعده بان يرسل اليه عدداً كبيراً من الجيش ليقوم بمهمة للدفاع عنها اذا ما هاجمها الملك كسرى انوشروان، وعندما وصل جرمانوس وجد ان تحصينات المدينة بحاجة الى ترميم، الا ان المهندسين اقنعوه انه لن يتسنى لهم ان يكملوا اعمال الترميم قبل وصول الجيش الساساني، فاذا ما وصل ووجد اعمال الترميم قائمة فانه سيقف على مواطن الضعف فيها ومن ثم يسهل عليه الاستيلاء عليها، ولذلك لم يقم جرمانوس باي ترميمات[**] [3].

اما اهالي المدينة فكانوا يراقبون تحركات الملك كسرى عن كثب فلما بلغتهم انباء انتصاره وتقدمه في مدن بلاد الشام خافوا ان تطول يداه بلادهم، وبعد ان يأسوا

1- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 6.

2- المصدر نفسه، ج2، فقرة 6.

* تعرضت مدينة انطاكيا في القرن السادس الى نكبات عدة، ففي تشرين الاول سنة 525م تعرضت الى حريق كبير هدم مباني كثيرة واوقع خسائر جسيمة في الارواح، وفي 29 ايار سنة 526م تعرضت الى زلزال عنيف انزل بها اضرار فادحة، واعقب هذا الزلزال ولمدة سنة ونصف هزات متتالية بلغت ذروتها في كارثة 29 تشرين الثاني سنة 528 حيث اودت بحياة 4870 شخص وهدمت اغلب مباني المدينة (يني، تاريخ سوريا، ص202 – 203؛ داوني، انطاكيا القديمة، ص313 – 316).

** يذكر الاستاذ (اسد رستم) انه منذ وصوله باشر بتحصينها وترميم اسوارها وقلاعها(الروم، ج1، ص189).

3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 6؛ داوني، انطاكيا القديمة، ص318.

من وصول الامدادات العسكرية التي كان الامبراطور جستنيان قد وعد بها قائده جرمانوس، قرروا شراء سلامة مدينتهم بالمال فارسلوا ميكاس (Megas) اسقف مدينة بيرويا(Paroea) (حلب)(*) الذي كان يقيم في انتيوخيا للاتفاق معه على مبلغ الفدية، وبعد اربعة ايام من المسير التقى بالملك كسرى انوشروان وجيشه على مقربة من مدينة هيرابوليس، وقد وافق الاخير على مقترحه مقابل عشرة قناطير من الذهب(**)، وفي الوقت الذي شرع فيه ميكاس بالعودة بهذا الخبر الى بلاده، كان كسرى انوشـروان يتقدم نحو مدينة هيرابوليس [1]، التي سارعت الى افتداء نفسها من التخريب بدفع الفي رطل(***) من الفضة [2].

وبعد اخذه لتلك الفدية واصل تقدمه باتجاه مدينة بيرويا، وعندما شاهد ضعف اسوار المدينة ارسل الى اهلها مطالباً بضعف الفدية التي طلبها من اهالي مدينة هيرابوليس – أي اربعة الاف رطل من الفضة(****) – ولشعور الاهالي بعدم قدرتهم على المقاومة امام ضعف اسور مدينتهم استقبلوا اقتراح الملك كسرى بالترحيب، الا انهم قدموا لرسوله نصف المبلغ، ولعدم قدرتهم على دفع الباقي تركوا المدينة وتحصنوا في قلعة بالقرب منها، فاثار ذلك غضب الملك كسرى، فدخل المدينة فوجدها خالية من السكان وبعد ان احرقها توجه لمهاجمة القلعة، وبعد ان رأى الضرر الذي لحق بهم من قلة الماء وشدة اعتذارهم عن عدم قدرتهم على دفع بقية الاموال قرر الملك كسرى الاكتفاء بما اخذه منهم وتركهم من دون ان يتعرض لهم بسوء [3].

---

* بيرويا (حلب): هي قصبة جند قنسرين بينها وبين منبج يومان (ابن حوقل، صورة الارض، ج1، ص177، 185).

** أي ما يعادل 423.30 كغم من الذهب.

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 6؛ داوني، انطاكيا القديمة، ص318 – 319.

*** الرطل في سوريا يساوي 600 درهم أي ما يعادل 1.85كغم (هنتس، المكايل والاوزان، ص33) وهذا يعني ان مقدار ما دفعته مدينة منبج كان 3700 كغم من الفضة.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 6؛ Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,p. 96.

**** أي ما يعادل 7200.00 كغم من الفضة.

3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 7؛ يني، تاريخ سوريا، ص205.

ثم تحرك باتجاه انتيوخيا في حزيران سنة 540م [1]، ذلك ان مبعوثها الاسقف ميكاس قد تأخر في دفع ما تم الاتفاق عليه بينهما من الفدية، وسبب ذلك التاخير ان ميكاس بعد عودته الى انتيوخيا ليخبر اهلها بان الملك كسرى انوشروان سيغض الطرف عن محاصرة مدينتهم مقابل عشرة قناطير من الذهب، وجد ان الموقف قد تغير، اذ امتنع الاهالي عن الدفع، لان وفداً امبراطورياً قد وصل اليهم خلال مدة غياب ميكاس واخذ يحذرهم من دفع الفدية لان الملك كسرى انوشروان وكما فعل في مدينة سورا سوف يأخذ الفدية من المدينة ثم يعمد الى نهبها وقتل سكانها واسترقاقهم، ومما شجعهم على المقاومة والدفاع عن مدينتهم وصول الستة الالف جندي من منطقة لبنان، امام ذلك الامتناع تقدم كسرى انوشروان بجيوشه نحو المدينة وقد بذل الانطاكيون والجيش البيزنطي ما في وسعهم للدفاع عنها، الا ان انهيار احدى المنصات الخشبية التي علقت فيما بين ابراج السور بسبب انقطاع الحبال التي كانت تحملها، احدث دوياً هائلاً اعقبه صراخ مضطرب من الجنود الذين سقطوا معها، ظن معه بقية الجنود الذين حال بعدهم عن الحادث دون مشاهدته ان الضجة كانت تعني ان الساسانيين قد اخترقوا اسوار المدينة، فانهارت صفوفهم وسارعوا الى الهرب مع عدد كبير من السكان عن طريق البوابة المؤدية الى مدينة دافن (Daphne) (دفنة)[*] ذلك ان الساسانيين تركوا تلك البوابة طليقة ووضعوا ايديهم على البوابات الاخرى[2]. وما ان دخل كسرى انوشروان بجيشه الى المدينة حتى اباحها للنهب والحريق،

1- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 8؛

Lamb ,Harold ,Constantinople: Birth of an Empire ,NewYork(1957),p.210

* دافن (دفنة): تقع على بعد 5 اميال من انطاكيا (داوني، انطاكيا القديمة، ص27).

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 8؛ داوني، انطاكيا القديمة، ص319 - 323؛

Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,pp. 96 - 97; Lamb, Constantinople, pp.210 - 212

ولـم يقـف جنـده عند حمـل الذهـب والفضـة والانيـة الثمينة بـل انهم اسـتولوا على التماثيل الفاخرة المصنوعة من الرخام ونقلوها الى بلادهم [1].

وقد اثار اضطراب الاوضاع في بلاد الشام الامبراطور جستنيان فقرر معالجة الامر بارسال رسله الى الملك كسرى انوشروان لايقاف القتال وعقد الصلح [2]، وبعد مفاوضات طويلة ارسل الملك كسرى الى الامبراطور جستنيان وثيقة تضمنت شروطه لعقد ذلك الصلح نصت على ان تدفع بيزنطة له على الفور غرامة حربية مقدارها خمسين قنطاراً من الذهب[*]، وان تدفع سنوياً الى جانب الساساني خمسة قناطر ذهب[**] مقابل حمايتهم للمعابر القفقاسية [3].

وبعد تخريبه انتيوخيا وتأسيره عدد كبير من سكانها توجه نحو مدينة سلوقية بيرية (Seleuceia Pieria)[***]، فوجدها خالية من السكان، ومنها توجه الى مدينة افامية وبعد ان استولى على خزائنها النفيسة تسلم من اهلها الف رطل من الفضة[****][4]، وافتدى اهل مدينة خالكيس انفسهم بقنطارين من الذهب[*****][5]. ومثلها فعلت

1- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 9؛ Lamb, Constantinople,p.212

2- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 10.

* أي ما يعادل 2116.50 كغم من الذهب.

** أي ما يعادل 211.65 كغم من الذهب

3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 10؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص621.

*** سلوقية بيرية: مدينة من بناء الامبراطور سلوقس الاول، سماها سلوقية بيرية لتمييزها عن المدن الاخرى التي تحمل الاسم نفسه، اقامها على ساحل البحر المتوسط على بعد خمسة اميال من نهر العاصي لتكون ميناء لانطاكيا، وقد نقل اليها رفاته، واصبحت فيما بعد مقبره لسلالته، ثم اتخذها البيزنطيون قاعدة لاسطولهم (سوسه، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج2، ص383).

**** أي ما يعادل 1850 كغم من الفضة.

4- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 10؛ يني، تاريخ سوريا، ص207.

***** أي ما يعادل 84.66 كغم من الذهب.

5- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 11؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص 120.

مدينة ادسا[1]، وفشلت محاولته في محاصرة مدينة دارا لشدة حصانتها، وبعد ان تسلم من اهلها الف رطل من الذهب تركها عائداً مع الاسرى الذين اخذهم من مدينة انتيوخيا الى بلاده[2].

ونجد في روايات المصادر العربية تأييداً لما ذكره المؤرخ (بروكوبيوس) عن تلك الحملة اذ ترد فيها اسماء الاماكن التي استولى عليها الملك كسرى انوشروان بالشكل الاتي: ".. فاستعد كسرى فغزا بلاد يخطيانوس (جستنيان) في بضعة وتسعين الف[*] مقاتل فاخذ مدينة دارا ومدينة الرها (ادسا) ومدينة منبج (هيرابوليس) ومدينة قنسرين (خلكيس) ومدينة حلب (بيرويا) ومدينة انطاكيا (انتيوخيا)، وكانت افضل مدينة ببلاد الشام ومدينة فامية (افامية) ومدينة ايميسا (حمص) ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدن عنوة واحتوى على ما كان فيها من الاموال والعروض"[3].

وفيما يخص الاسرى الذين اخذهم من انتيوخيا فيذكر ان الملك كسرى انوشروان نقلهم الى عاصمته طيسفون، وامر فبنيت لهم مدينة الى جانب طيسفون كانت خططها اشبه بخطط انتيوخيا الاصلية بشوارعها ودورها [4]، وقد دخلت هذه المدينة في عداد مدن طيسفون السبع وسماها (به ازانديو خسرو) وهي المسماة رومية المدائن (رومكان) ومعنى (به ازانديو) خير من انطاكيا[5]، وسمى سكانها الاسرى بـ (رعايا الملك) أي انهم لا يطيعون الا اوامر الملك [6].

1- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 12؛ Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,p. 98.

2- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 13.

* عند ابن الاثير سبعين الفاً (الكامل، ج1، ص281).

3- اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص144؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص 450؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص 281.

4- الدينوري، الاخبار الطوال، ص70.

5- الاصفهاني، تاريخ سني، ص45.

6- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 14.

وقد خلد الملك كسرى انوشروان احداث اقتحامه لمدينة انتيوخيا وسبي اهلها، بتصويرها على جدران قصره(*) في عاصمته طيسفون [1].

يتبين لنا مما تقدم اعلاه انه ليس هناك ما يسمى بالسلام الدائم بين العدوتين اللدودتين وانما هي هدنة مؤقتة تتيح لكل منهما اصلاح اوضاعها الداخلية ومعالجة مشاكلها الخارجية، فاذا ما تمكنت احداهما من ذلك واصبحت تتمتع بقدر من القوة سارعت الى توجيه ضرباتها الى صاحبتها، فالامبراطور جستنيان جعل من اعادة مجد دولته الذي افل هدفه الاول وان العدو الرئيس في نظره هم الجرمان ولذلك فان شراء مسالمة الساسانيين بالاموال انما هو حل مؤقت، وكذا الحال بالنسبة للساسانيين فالملك كسرى انوشروان وجه جل اهتمامه خلال المدة 532 – 540م نحو تقوية البناء الداخلي لدولته، فقضى على الفوضى الاجتماعية التي احدثها المزدكيون، واقـــام باصلاح نظام الضرائب واختار موظفين اكفاء في الامور الادارية ولا سيما في الوظائف المالية، كما استأثر الجيش وتنظيمه بالقدر الاكبر من اهتمامه، وكان يعرف تماماً ان البيزنطيين بعد ان ينتهوا من تصفية مشاكلهم في الغرب فانهم سوف يمتنعون عن الايفاء بالتزاماتهم له وقد يصطدمون معه، ولذلك قرر ان يبادر هو بالحرب ويضرب القوة البيزنطية الناهضة قبل ان تصبح قوة عظمى يصعب السيطرة عليها، ومن الواضح ان حملة الملك كسرى انوشروان بجملتها امتازت بطابع النهب وانتزاع الاموال، ولم يكن الهدف منها الاستيلاء على البلاد والبقاء فيها، بل ان هدفها بالدرجة الاساس استعراض للقوة الساسانية، وليثبت للبيزنطيين انه موجود وقادر على ردعهم اذا ما فكروا في التخلي عن التزاماتهم واعتدوا على اراضيه.

---

* يسمى هذا القصر بـ (طاق كسرى) او (ايوان كسرى) او (ايوان المدائن)، وهو بناء ضخم بني من الجص والاجر، لا تزال اثاره باقية في الجانب الشرقي من نهر دجلة في المكان الذي فيه قبر الصحابي سلمان الفارسي والذي يسمى بـ (سلمان باك) (نفيسي، تاريخ تمدن، ص84؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص52 – 53).

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص295.

اما الحملة العسكرية الثانية التي قام بها الملك كسرى انوشروان فكانت وجهتها لازيكا(*) والسبب الذي دفعه للقيام بتلك الحملة، ان سكان لازيكا ضجروا من السياسة التعسفية والضرائب التي فرضتها عليهم السلطات البيزنطية،وضاقوا ذرعاً بالاحتكار الاقتصادي البيزنطي(**)، فمتنعوا عن دفع الضرائب ورفضوا قبول الحامية البيزنطية في بلادهم، وارسلوا سنة 540م الى الملك كسرى انوشروان يعرضون عليه مساعدتهم وانقاذهم مما هم فيه[1]، وقد بين له الرسل الفائدة التي يجنيها من تقديمه لتلك المساعدة لهم بقولهم "... سوف يتم اضافة دولة تاريخية الى متصرفاتك، ومن ثم ستحصل على دعم وقوة اضافية،وانك ستحصل على طريق من دولتنا يوصلك الى بحر الرومانيين (البحر الاسود)،وبعد ان تقوم بتهيئة قوة بحرية كافية في هذا البحر سوف تتمكن من دون أي مصاعب من ان تضع قدمك داخل قصور السلطة البيزنطية"[2].

وكان من الطبيعي ان يرحب انوشروان بهذه الفرصة التي ستسهل له اقتحام تلك المنطقة وتمكنه من ان يمد حدود بلاده الى شؤاطى البحر الاسود ويمسك بيده زمام التجارة فيه، ومما سهل مهمته تلك ان الرسل تعهدوا بانهم سيكونون مرشدين لجيشه[3].

وحتى لا تتخذ الحامية البيزنطية الموجودة في لازيكا أي اجراء مضاد تظاهر بانه متوجه نحو ايبريا ليحميها من هجمات الهياطلة، وبسهولة كبيرة ظهر على رأس

---

* اعيدت لازيكا الى السيادة البيزنطية بموجب معاهدة السلم الدائم سنة 532م.ينظر ص171 من هذه الاطروحة.

** يذكر (بروكوبيوس) ان مهنة اهل لازيكا كانت التجارة مع مناطق سواحل البحر الاسود فكانوا يقدمون الجنود والجلود والعبيد ويحصلون على ما يحتاجون اليه من الحبوب والمحاصيل الاخرى، وقد احتكر احد القادة البيزنطين واسمه يوحنا تجارة تلك المواد لنفسه فكان يشتريها من تجار المناطق ويبيعها على سكان لازيكا باسعار باهضة (جنكهاي، ج2، فقرة 15).

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 15.
2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 15.
3- المصدر نفسه، ج2، فقرة 15.

جيشه وسط لازيكا التي كان ملكها في انتظاره وقد اظهر له الطاعة، فوضع قصره وكل ما في اقليمه تحت تصرفه [1]،وبعد ان اتحدت معه القوة اللازيكية المحلية توجه للاستيلاء على بيترا (Petra) عاصمة الاقليم والقاعدة العسكرية الرئيسة للبيزنطيين، ولما لم يقوى هؤلاء على المقاومة اضطروا الى تسليم المدينة بعد ان حصلوا على وعد بالامان على انفسهم وكان ذلك سنة 541م [2].

اما عن الموقف البيزنطي من تلك الحملة فان الامبراطور جستنيان الاول بعد ان سمع بان الملك كسرى انوشروان ينوي التوجه نحو اقليم ايبريا ليصد عنه خطر الهياطلة، استدعى قائده بليزاريوس من الغرب واوكل اليه مهمة قيادة جيوش الشرق والقيام بهجوم مضاد على الاراضي الساسانية، فاتجه الاخير نحو مدينة دارا، وقد انضم اليه بجيش كبير من العرب ملك الغساسنة الحارث الغساني[3] واقتضت خطة بليزاريوس البدء بالهجوم على نيسيبيس وقد اظهر قائدا جيش لبنان وهما رسيتانكوس (Rhecitancus) وثيوكتيستوس (Theoctistus) تخوفهما من المشاركة بجنودهما في ذلك الهجوم، معللين عدم رغبتهم في المشاركة الى ابقاء بلاد الشام دون حراسة فيسهل ذلك على ملك المناذرة المنذر الثالث الاغارة عليها ونهبها، الا ان القائد بليزاريوس تمكن من اقناعهما بان حملته ستصادف وقت انصراف العرب عن القتال وتوجههم للعبادة، وانه سيسمح لهم بالعودة الى بلادهم قبل انقضاء الشهرين الاخيرين من الاشهر الحرم[*] [4].

1- المصدر نفسه، ج2، فقرة 17؛ Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,p. 102.

2- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 17؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص622.

3- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 16؛ Bury,History of the Later Roman,Vo1.2,p. 103.

* الاشهر الحرم: هي الاشهر المعروفة عند العرب التي يحرم فيها القتال هي ذي القعدة وذو الحجة ومحرم وصفر. وقصد القائد بليزاريوس القيام بحملته في شهري ذي القعدة وذي الحجة وهي الاشهر التي ينصرف فيها العرب الى العبادة وحج بيت الله الحرام.

4- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 16.

توجه القائد بليزاريوس نحو نيسيبيس فعسكر في منطقة تبعد عنها مسافة 42 ستاد (أي ما يقارب 8 كم)، واخذ ينظم جيشه ويعدهم للمعركة، فاوعز الى قائده (بطرس يوحنا) بان يعسكر مع فرقة من جيشه بالقرب من اسوار المدينة وينتظر اوامره في بدء الهجوم الذي اراد له ان يكون بعد انقضاء النهار وهو الوقت الذي يكون فيه الجيش الساساني مشغول بتناول الطعام، وبسبب عدم اطاعة بطرس يوحنا ورفاقه لاوامر القائد بليزاريوس فقد دارت الدائرة على الجيش البيزنطي، ففي منتصف النهار وهو وقت تناولهم للطعام، خلعوا دروعهم من شدة الحر واغفلوا عن اسلحتهم، فانقض عليهم الجيش الساساني المرابط في المدينة بقيادة نابيدس (Nabedes) وفرق جمعهم، واجبر قائدهم بليزاريوس الذي اسرع لنجدة بطرس يوحنا الى التخلي عن فكرة الاستيلاء على المدينة ولا سيما بعد ان تبين له حصانتها وقوة استحكاماتها [1]، فانسحب عنها الى مدينة سيسوران (Sisaurana)[*] التي تبعد عن نيسيبيس مسيرة يوم فحاصرها محاولاً الاستيلاء عليها، ولكي يتم له ذلك اوكل الى ملك الغساسنة الحارث بن جبلة مهمة اشغال الساسانيين عنه وذلك بقيامه بمهاجمة الجزء الجنوبي من ارض الجزيرة الفراتية،وامر قائديه تراجان (Trajan) ويوحنا (Johna) ان يكونـا وجنودهما البالغ عددهما الف ومئتا جندي تحت امرته[2]، فعبر الحارث بتلك القوات نهر دجلة وتمكن من تنفيذ الخطة بغارة سريعة استولى فيها على غنائم كبيرة في الوقت نفسه تمكن بليزاريوس من الاستيلاء على سيسوران[3]، الا ان الحارث لم يرغب في الرجوع الى البيزنطيين، لانه كما يذكر (بروكوبيوس)[4] " خشي من ان يستحوذوا على

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 18.

* سيسوران: لم نتمكن من تحديد موقعها في مصادرنا الجغرافية، الا ان (بروكوبيوس) يذكر انها تبعد عن مدينة نصيبين مسيرة يوم (جنكهاي، ج2، فقرة 19)

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، الفقرتين 18 و19؛ Bury,History of the Later Roman,Vo1.2,p. 103.

3- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 19؛ بيغولفيسكيا، العرب، ص122، 231.

4- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 19.

غنائمه "، ولعدم رغبته في اقتسام ما غنمه، ارسل الى القائد بليزاريوس من يخبره بان جيش ساساني كبير قد اعاق عودته، كما انه امر القائدان البيزنطيان اللذان كانا تحت امرته وهما ترجان ويوحنا بان يعودا مع جنودهما الى مركزهما من طريق اخر غير طريق القدوم، وقد اوصلهما ذلك الطريق الى مدينة ثيودوسيوبوليس[1].

اما الدور الذي لعبه الحارث الغساني في تلك الحملة فان المؤرخ (نولدكه)[2] ينكر من دون ان يبين السبب، نجاح الحارث في غارته وحصوله على الغنائم فيقول "وعبر نهر دجلة – أي الحارث – على راس جيش ثم عاد فارتد الى مركزه السابق عن طريق اخر غير الطريق التي اتبعها معظم الجيش ولم يحصل في حملته هذه على نتائج تذكر "، ويبدو ان المؤرخ (نولدكه) كان متحاملاً على العرب فلم تكن المـــرة الاولى التي اغمط فيها حقهم وحاول التقليل من شأنهم [3]، ويمكننا ان نتبين مقدار ذلك التحامل في قوله " ولعل اصحاب السياسة في القسطنطينية كانوا يبالغون في مقدرة العرب على الحروب المنظمة في حين ان هؤلاء لم يكونوا يحسنون الا النهب ومطاردة العدو ولو انهم يفاخرون بغير هذا " [4]، في حين اكد غيره من المؤرخين ان مشاركة الحارث في تلك الحملة كانت مشاركة فعالة فالمؤرخة الروسية (بيغوليفسكيا) [5] تقول " وعلينا ان نتذكر على الدوام ان العرب كانوا اقدر على القتال من غيرهم من وحدات الجيش البيزنطي، وكان لهجماتهم السريعة اثر كبير في تقرير مصير الحرب باجمعها "، اما المؤرخ البيزنطي (بروكوبيوس) [6]، فيؤكد ان تلك المشاركة مكنت القائد بليزاريوس من ان يضع يده على مدينة سيسوران،وان امتناعه – أي الحارث –

1- بروكوبيوس، المصدر السابق، ج2، فقرة 19؛ Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,p. 104.
2- امراء غسان، ص18.
3- ينظر ص 124 من هذه الاطروحة.
4- نولدكه، امراء غسان، ص18.
5- العرب، ص231.
6- جنكهاي، ج2، فقرة 19.

عن مواصلة تعاونه معه كان سبباً اساسياً في فشل حملته، وان غارة الحارث كانت من القوة بحيث انها قضت على مضجع الملك كسرى انوشروان واضطرته الى ترك حامية ساسانية في لازيكا والعودة بسرعة الى بلاده.

استاء القائد بليزاريوس من انقطاع الصلة بينه وبين الحارث ومرافقيه، وزاد من حراجة موقفه تدهور صحة جنوده وهلاك عدد كبير منهم بسبب تفشي وباء الحمى بينهم(*)، وان قائدا جيش لبنان ابديا تمللهم من البقاء من دون فائدة وصرحا بمخاوفهما من ان يستغل المنذر الثالث غيابهما فيهاجم بلادهما ولا سيما وان الاشهر الحرم قد انتهت، ازاء ذلك كله قرر القائد بليزاريوس الانسحاب من مدينة سيسوران والعودة الى بلاده وقضاء شتاء سنة 541 - 542م في القسطنطينية [1].

ويبدو ان هناك سبباً اخر لذلك الانسحاب وهو انه خاف من عودة الجيش الساساني الذي كان يقوده الملك كسرى من لازيكا فاثر العودة الى بلاده على الاشتباك معه.

استاء الملك كسرى انوشروان من اعمال القائد بليزاريوس وحليفه الحارث الغساني فترك حامية ساسانية في لازيكا وعاد مسرعاً الى بلاده ليرد بالمثل على تلك الاعمال، فتحرك في ربيع سنة 542م بجيش كبير صوب الاراضي البيزنطية، قاصداً هذه المرة فلسطين للاستيلاء على خزائن اورشليم (القدس) [2].

وبعد ان انتشرت الاخبار بان كسرى وجيشه جاوز الساحل الايمن لنهر الفرات حتى سارع قنديدوس اسقف مدينة سرجيوبوليس الى الذهاب اليه للاعتذار، راجياً العفو عنه وعن مدينته لانه لم يتمكن من الايفاء بتعهده السابق،

---

* ويذكر ان عدد الذين هلكوا بسبب وباء الحمى كان ثلاث الجنود (جنكهاي، ج2، فقرة 19).

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 20.

2- المصدر نفسه، ج2، فقرة 20؛

Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,p. 104.

الا ان ذلك الاعتذار لم يجد قبولاً عند انوشروان الذي اصر على ان يكون دفع الضريبة مضاعفاً، عند ذلك وجه قنديدوس بعض رفاقه ومعهم مندوبو الملك ليحملوا مقتنيات الكنيسة الثمينة اليه، الا ان الاخير لم يقتنع بما حمل اليه، فطلب منه ان يسمح لرجاله بالدخول الى المدينة بحجة التعرف على ما بها من ممتلكات، وقد تبين ان هذه انما كانت خدعة عسكرية كشف عنها النقاب رجل عربي من رجال الملك المنذر الثالث يقال له امبروس Ambrus (عمرو)، وهذا يشير بطبيعة الحال الى ان المنذر الثالث قد شارك في حملة الملك كسرى تلك، فقد اقترب من اسوار المدينة ليلاً وحذرهم بان لا يسمحوا باية حال للساسانيين بالدخول، وبعد فشل تلك الحيلة، قرر كسرى الاستيلاء على المدينة عنوة، ولذلك ارسل 6 الاف من رجاله لمحاصرتها ومهاجمة اسوارها، الا ان محاولته لم يكتب لها النجاح ايضاً وذلك لان عمرو نفسه اخبر الاهالي الذين كادوا يسلمون مدينتهم بعد ان عجزوا عن المقاومة، ان الجيش الساساني يعاني من الضمأ وشدة العطش وانهم اذا ما استمروا في مقاومته فانه سينسحب بعد يومين، فزاد ذلك من عزيمتهم على المقاومة، ثم تبين لهم صدق عمرو، اذ انهى الجيش الساساني حصاره للمدينة وعاد وانضم الى القوات الرئيسة للملك انوشروان، اما القديس قنديدوس فقد ظل محتجزاً عنده [1].

ولا نعلم السبب الرئيس الذي جعل الملك كسرى انوشروان لا يصر على الاستيلاء على المدينة فيتركها ويواصل تقدمه، الا ان الذي يظهر لنا ان تلك الحملة كانت كسابقتها التي قام بها سنة 540م لم يكن هدفها الاحتفاظ بالمناطق التي يجتاحها وانما هي حملة قصد منها استعراض قوته وليثبت للبيزنطيين انه موجود وقادر على الرد، ولذلك نراه يكتفي بالغنائم والاسرى ويعود الى بلاده،

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 20.

ويبدو انه قصد من محاصرته للمدينة معاقبة الغساسنة، فقد كانت سرجيوبوليس وكما يقال " يسكنها ملوك الغساسنة "[1]، ولها مكانة هامة في حياتهم[2]، ولكن الذي يثير التساؤل ما هو موقف الحارث الغساني من ذلك التعدي فقد اغفل بروكوبيوس الحديث عنه؟.

بعد ان ترك مدينة سرجيوبوليس واصل تقدمه صوب كوماجينه، ولم يتعرض بالاذى للمدن التي مر بها في اثناء تقدمه، لانه سبق وان هاجمها، وانه قصد هذه المرة مهاجمة فلسطين مباشرة، كما ان اهل تلك المدن والحامية البيزنطية المرابطة فيها لم يقفوا في طريقه " اذ التجأ جميعهم الى القلاع ولم يفكروا بشي سوى الحفاظ على ارواحهم من الخطر "[3]، اما الامبراطور جستنيان فبعد اطلاعه على تحركات الملك كسرى انوشروان ارسل قائده بليزاريوس ليقف في طريقه، فوصل الاخير الى مدينة دورا يوروبوس، وبعد ان علم الملك كسرى الذي وصل الى مدينة كالينيكوس من طلائعه ان القائد البيزنطي بليزاريوس استعد وهو بكامل قواه العسكرية لمواجهته، تخوف من ان يتقدم اكثر[4]، فقرر الانسحاب من كالينيكوس والعودة الى بلاده مكتفياً بتخريب اسوار المدينة التي كان اهلها قبل قدومه منشغلين بترميمها وسبى من بقي منهم في دورهم بعد ان هدم تلك الدور[5].

مما يتقدم يتبين لنا ان حملة انوشروان فشلت في تحقيق هدفها في التوغل في اراضي فلسطين والاستيلاء على خزائن القدس.

1- لسترنج، بلدان الخلافة، ص137.
2- بيغوليفسكيا، العرب، ص123.
3- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 20.
4- بيغوليفسكيا، العرب، ص123.
5- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 21.

ولم يضع انتشار وباء الطاعون(*) سنة 542م الذي اطلق عليه اسم (القاتلة) لقتله عدد كبير من سكان الشرق (1) نهاية لعمليات انوشروان العسكرية التي استئنافها سنة 543م بالتوجه الى اتروباتين بقصد مهاجمة ارمينيا البيزنطية (2)، وبينما هو فيها اذ وصلته الاخبار بان الامبراطور جستنيان ارسل مبعوثيه كونستانتيانوس (Constantianus) وسرجيوس (Sergius) لتباحث معه بشأن عقد صلح بين الجانبين، ويبدو ان الملك انوشروان كان راغباً في انعقاده، ولذلك ظل ساكنا في اتروباتين بانتظار وصولهما، وبعد ان طال انتظارهما امر قائده نابيدس قائد جيش ارمينيا الساسانية بان يرسل اسقف مدينة دوبيوس(Dobius)(**) مع اخيه الى فالريان Valerian قائد جيش ارمينيا البيزنطية ليسأله عن سبب تأخير المبعوثين، وقد تبين لهما ان احد المبعوثين وهو كونستانتيانوس قد اصيب بمرض الطاعون، وكان اخو الاسقف قد اخبر فالريان سراً بان الملك كسرى يرغب بعقد الصلح باسرع وقت لانه في موقف محرج بسب ثورة ابنه عليه، ولان مرض الطاعون اخذ مأخذه من جنوده، وبعد ان سمع فالريان ذلك سمح للاسقف واخيه بالعودة ووعدهما بارسال المبعوثين من قبل الامبراطور عن قريب، وفي الوقت نفسه ارسل الى الامبراطور جستنيان يخبره بما سمعه عن موقف الملك كسرى انوشروان، فسرّ الامبراطور لذلك واوعز الى قواده في الشرق بالتوجه لمهاجمة ارمينيا

* ظهر هذا الوباء سنة 542 في مصر ثم انتقل الى بلاد الشام والعراق وبلاد فارس وجزائر الهند، واتجه صوب الغرب على طول ساحل افريقيا ثم الى قارة اوربا، وفي ربيع سنة 543م اصاب هذا الوباء القسطنطينية واستمر فيها قرابة اربعة اشهر (جيبون، اضمحلال، ج2، ص465 – 466؛ رستم، الروم، ج1، ص173).

1- بيغوليفسكيا، العرب، ص124.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، فقرة 22.

** دوبيوس: لم اتمكن من تحديد موقعها، الا ان (بروكوبيوس) يذكر انها تبعد مسافة 8 ايام من ارضروم، وانها مدينة كبيرة، كثيفة السكان واغلب اهلها يعملون بالتجارة، اذ تلتقي في هذه المدينة البضائع القادمة من الهند ومن اقليم ايبريا ومن مناطق ايران وكذلك المناطق التي تعد ضمن ممتلكات الدولة البيزنطية (جنكهاي، ج2، فقرة 23).

الساسانية، وشجعه على ذلك عدم وجود جيش ساساني على حدودها لان انوشروان سحب جيشه من اتروباتين بسب انتشار وباء الطاعون فيها الى ارض الجزيرة الفراتية التي لم يكن قد انتشر فيها ذلك الوباء بعد [1].

يواصل (بروكوبيوس) شرحه لتفاصيل تلك الحملة فيذكر ان قادة الامبراطور الذين لم تربطهم قيادة موحدة تجمعوا بجيوشهم البالغ عددها 30 الف جندي في منطقة ثيودوسيوبوليس، ثم تقدموا نحو الاراضي الايرانية فوصلوا الى منطقة دوبيوس، وعلى بعد 120 ستاد (أي ما يعادل 22كم) من هذه المدينة كان هناك جبل عالٍ شديد الانحدار في نهايته قرية تسمى قرية انكلون (Anglon) ذات ممرات ضيقة، عسكر عندها نابيدس قائد جيش ارمينا الساسانية مع اربعة الالف من جنوده، ولكي يعيق تقدم الجيش البيزنطي لتلك القرية عمل على سد مدخلها بقطع حجرية كبيرة وحفر خندق عميق امامها ثم اختبأ مع جنده في مواقع دفاعية، وعندما اقترب الجيش البيزنطي من تلك القرية واصبح على مسيرة يوم منها، قبض على احد الجواسيس الساسانيين فاخبرهم ان القائد نابيدس خرج من القرية وذهب الى مكان غير معروف، فجعل ذلك الخبر القادة البيزنطيون يلوم ويحمل كل منهما الاخر مسؤولية التقصير والتاخير في التقدم، فاربك ذلك صفوفهم واظهر كل قائد منهم وجنوده عدم اطاعته لاوامر الاخر وما ان وصلوا قرية انكلون وعلموا بوجود القائد الساساني نابيدس واستعداده لمواجهتهم حتى زاد ذلك من ارباكهم، واخيراً دارت معركة بين الجانبين كان لممرات القرية الضيقة دوراً كبيراً في حسم نتيجتها لصالح الجيش الساساني [2].

الذي يبدو لنا ان تلك الحملة لم تكن لها تلك الابعاد التي كانت لمثيلتها في السابق فقد اريد لها ان تكون هجومية الا انها تحولت الى دفاعية،بمعنى انها لم تكن

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 22.

2- جنكهاي، ج2، فقرة 23.

في الاراضي البيزنطية نفسها، الا ان الذي يدعو الى التساؤل هو ذلك العدد الكبير الذي بلغ سبعة اضعاف الجيش الساساني، وهو كما يفهم من المؤرخ (بروكوبيوس) كان من الجيش البيزنطي الموجود في الجبهة الشرقية بمعنى ان الامبراطور لم يستعين بجيشه الرئيس الذي كان في ذلك الوقت يقاتل في الجبهة الغربية، واذا صحت رواية (بروكوبيوس) ان انكسار ذلك الجيش الكبير كان بسبب سوء التنظيم وصعوبة المرور من ممرات القرية الضيقة، فاين كان ذلك العدد من الجيش عند استيلاء الساسانيين على لازيكا سنة 541م ولا سيما ان ذلك الاستيلاء يعني تعرض القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية للخطر، فليس من المعقول ان تدافع الدولة عن المناطق التي تبعد الاف الاميال عن حدودها وتترك عاصمتها عرضة للخطر الساساني، واين كان ذلك العدد من الجيش عندما هاجم كسرى انوشروان بلاد الشام سنة 542م ودمر انطاكيا المدينة الثانية في الاهمية بعد القسطنيطينة؟ اسئلة سكتت المصادر عن الاجابة عليها.

ويبدو ان الملك كسرى انوشروان اراد ان يستغل انشغال الامبراطور جستنيان في حروبه في جهة الغرب، فحاول الحصول على مزيد من المكاسب على حساب بيزنطة سواء بالحصول على الاموال او بالاستيلاء على المدن التي يهاجمها، ولذلك توجه سنة 544م نحو مدينة ادسا واضعاً نصب عينيه الاستيلاء عليها وتدميرها وتهجير سكانها، ففرض عليها الحصار وقام بمحاولات عدة للوصول الى اسوارها ونقبها حتى انه قام تل صناعي لتهديد السور منه، الا ان البيزنطيين تمكنوا من نقب التل من الاسفل واحرقوه من الداخل، واخيراً قرر كسرى انوشروان الاستيلاء على المدينة عنوة فاسندت السلالم على الاسوار وجرت اليها الات الهدم، وقد اسند كسرى الى حلفائه من العرب (المناذرة) مهمة الوقوف خلف القوات الساسانية المهاجمة للقبض على الفارين من البيزنطيين عند الاستيلاء على المدينة [1]، وهذا يعني ان الملك المنذر

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، الفقرتين 24 و 25؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص126.

الثالث ظل على ولائه واخلاصه للساسانيين، الا ان الاخيرين لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدينة، واخيراً توصل الطرفين الى اتفاق هو الانسحاب من المدينة مقابل خمسة قناطر من الذهب، ويتعهد كسرى انوشروان بان لا يتسبب في اذى اكثر للبيزنطيين وان يحرق جميع آلات الحصار التي جاء بها الى المدينة [1].

ويبدو ان تخوف الامبراطور جستنيان من مهاجمة الملك كسرى انوشروان لاراضيه ثانية مستغلاً تردي الاوضاع في الجبهة الغربية لامبراطوريته بسب مهاجمة القوط الشرقيين لمدينة روما ثانية سنة 544م، وفشل قائده بليزاريوس في التصدي لهم[2]، جعله مضطراً الى شراء السلم مع الساسانيين بالذهب، فعقد صلحاً معهم سنة 545م، وعلى الرغم من ان انوشروان رفض طلبه في اعادة لازيكا اليه، فانه وافق على دفع الفي رطل من الذهب مقابل سلام مدته خمس سنوات، ووافق على طلب انوشروان في ارسال طبيبه الخاص تريبيونوس (Tribunus) لمعالجته وليقيم في بلاطه[3].

الملفت للنظر هو جنوح الساسانيين لقبول السلم في الوقت الذي تتهيأ لهم فيه الفرصة لتحقيق هدفهم بالوصول الى البحر المتوسط والسيطرة على منافذه التجارية، ومع اننا لا ندرك سياسة الملك كسرى انوشروان من وراء ذلك، الا اننا نعتقد ومن خلال تتبعنا لحملاته المدمرة في بلاد الشام التي كان هدفها - كما تبين لنا سلفاً - الحصول على المزيد من الغنائم والاموال، انه افضل ان تكون دولته دولة قوية الاقتصاد على ان تكون دولة واسعة منهوكة القوة والاقتصاد.

وبعد مرور ثلاث سنوات على صلح سنة 545م أي في سنة 548م خطط انوشروان للقيام بحملة على مدينة دارا ظاهرها اجراء مباحثات مع البيزنطيين لاجل

1- بروكوبيوس، المصدر نفسه، ج2، فقرة 25؛ بيغوليفسكيا، المصدر نفسه، ص126.
2- للتفصيل ينظر: عبد العزيز، دراسات، ج1، ص176؛ رستم، الروم، ج1، ص190.
3- بروكوبيوس، جنكهاي، فقرة 26؛

Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,p.112 107.

عقد صلح دائم بين الطرفين وباطنها الاستيلاء على المدينة، وخلاصة خطته ان يرافق رسوله ايزد كوشنسب(Isdigoushnasb) الذي كلفه بمهمة اجراء مبحثات مع الامبراطور جستنيان، خمسمائة من فرسانه، امرهم ان يقيموا في منازل متفرقة في جهاتها، وفي الليل يقوموا باحراقها، وفي الوقت الذي ينشغل فيه الاهالي والحامية البيزنطية باطفاء الحريق، يقوموا هم بفتح بوابة المدينة لقائد جيش نيسيبيس وجنده المرابطين في مكان غير بعيد عن المدينة، الا ان خطته تلك اطلع عليها احد البيزنطيين من رعاياه فاخبر بها قائد حامية مدينة دارا، عندها لم يسمح لاكثر من عشرين من مرافقي الممثل الساساني بالدخول الى المدينة، وبذلك تم انقاذ المدينة من خطر محقق، اما الممثل الساساني ايزد كوشنسب فقد اثاره ذلك التصرف، واحتج انه اصطحب معه هذا العدد الكبير من الفرسان لحمايته وعائلته التي ترافقه، ولم يجد امامه بعد فشل خطته سوى مواصلة تقدمه الى القسطنطينية، فاستقبله الامبراطور جستنيان بالترحاب، وعلى الرغم من انه بقي في القسطنطينية مدة شهرين فان بقاؤه لم يكن له فائدة تذكر اذ لم يتم التوصل الى حل أي من المسائل ذات الشأن، وقد كلف استقباله والترحاب به الامبراطور مبلغ كبير قدر بعشرة قناطر من الذهب [1].

وبعد فشل حملته في الاستيلاء على مدينة دارا وجه الملك كسرى انوشروان انظاره صوب مدينة لازيكا، المدينة الاكثر اهمية عسكريا وتجاريا، فحاول ضمها نهائياً الى دولته لاسباب عدة، منها: ان الاستيلاء عليها يعني خضوع الاقاليم المجاورة ولا سيما اقليم ايبريا ضمنياً للسيادة الساسانية، لأن الايبريين كانوا يعتمدون على حماية اللازيكيين ومساندتهم لهم في حالة قيامهم بالثورة على الساسانيين بصفتهم اخوان لهم في الدين، الا انهم وبعد الاستيلاء على لازيكا سيفقدون تلك الحماية والمساندة ولذلك سوف يبقون دائماً اتباعاً خاضعين لسيادة الساسانية، وأن الاستيلاء

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 26.

على لازيكا يعني ان الحدود الساسانية ستكون بمأمن من هجمات الاقوام الاسيوية الساكنة في نوحي القفقاس، لان لازيكا تعد بمثابة السد الذي يقف بوجه تلك الاقوام، ويفوق ذلك في الاهمية ان الاستيلاء عليها يعني ايصال اراضي الدولة الساسانية بالبحر الاسود ومن ثم تهديد القسطنطينية [1].

وبما ان مدة معاهدة السلام لم تنته بعد، فقد فكر انوشروان في تحقيق هدفه بصورة لا تجلب اليه انتباه البيزنطيين، وكانت خطته تقوم على الضغط على اللازيكيين، فالى جانب جعلهم في حالة من الضيق والعسر الاقتصادي بسبب قطع علاقتهم التجارية مع بيزنطة، فانه سيعمد الى مضايقتهم في معتقداتهم وقوانينهم واسلوب معيشتهم، ولما كان من شأن ذلك اثارة استيائهم وحملهم على القيام بالثورة ضده، فانه سيستغل تلك الثورة في القضاء على ملكهم ومن ثم تهجيرهم واحلال محلهم سكان جدد من الساسانين او رعاياه من الشعوب الاخرى، ولتنفيذ ذلك عمل على تعزيز حاميته الموجودة في عاصمتها بيترا منذ سنة 541م بارسال كمية كبيرة من الالواح والقضبان الحديدية مع 300 نفر من جنوده بقيادة فابريزوس (Phabrizus) بحجة العمل على تقوية استحكاماتها، في حين كان عمل هؤلاء تنفيذ خطة انوشروان في مضايقة السكان بشكل ظهر معه وكأنهم اصحاب السيادة الفعلية في البلاد، وان تصرفات قائدهم كانت توحي وكأنه هو الحاكم الفعلي فيه، ولاكثر من ذلك انه طلب من ملكها غوباز (Gubaz)[*] ان يعلن خضوعه للساسانيين او ان يترك البلاد، ومن المؤكد ان تلك التصرفات كانت مدعاة لاعلان غوباز الثورة على الساسانيين، ولانه غير قادر على القضاء عليهم لوحده ارسل الى الامبراطور جستنيان معتذراً وطالباً منه المساعدة والعون في اخراج الساسانيين من بلاده[2]، ومن الطبيعي ان لا يتردد

1- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 26.

* لم نتمكن من معرفة سنوات حكمه.

2- بروكوبيوس، جنكهاي، ج2، فقرة 26.

الامبراطور في تلبية طلبه، فاعلن سنة 549م نقضه لصلح سنة 545م والحرب مع الساسانيين التي استمرت سجالاً مدة ثمان سنوات (549 – 557م) [1]، وتشير المصادر المتوافرة لدينا ان اعتداء الهياطلة على الحدود الشرقية للدولة الساسانية دفع الملك كسرى انوشروان الى مناشدة السلام في الجبهة الغربية، ولذلك انهى حربه في لازيكا بعقد معاهدة صلح مع البيزنطيين سنة 557م، ولم نجد في تلك المصادر أشارة الى شروط تلك المعاهدة ما عدا تحديد مدتها بخمس سنوات وانها جددت سنة 562م [2].

- اتفاقية سنة 562 م للسلام.

توصل الطرفان الى عقد سلام دائم بينهما على جميع الجهات لمدة خمسين سنة على شروط هي:

1. التخلي عن لازيكا للبيزنطيين مقابل دفعهم 30 الف قطعة ذهبية سنوياً للساسانيين على ان يدفع منها جزية سبع سنوات مقدماً تليها أي في السنة الثامنة جزية ثلاث سنوات مقدماً ايضاً وبدءاً من السنة العشرة يكون الدفع سنوياً.
2. يحترم الساسانيين الحقوق الدينية لرعاياهم من المسيحيين فيرفعوا عنهم الاضطهاد مقابل امتناع هؤلاء عن التبشير بالمسيحية في الاراضي الساسانية.
3. لا يسمح الساسانيين للقبائل الاسيوية من الهون واللان وغيرهم من التوغل في الامبراطورية البيزنطية عبر الممرات القفقاسية، ويمتنع البيزنطيون من ارسال الجيوش الى تلك الجهات او الى اية جهة اخرى من الجهات الساسانية.
4. على العرب الموالين لكلا الجانبين الالتزام بشروط المعاهدة، فلا يهاجم المناذرة الاراضي البيزنطية، ولا يهاجم الغساسنة الاراضي الساسانية.

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص623 – 625.

2- المصدر نفسه، ج1، ص624 – 625؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص254؛ زرين كوب، روزكاران، ص234.

5. على التجار الساسانيين والبيزنطيين المرور عبر المناطق الكمركية المحددة (نيسيبيس وكالينيكوس وارمينيا) مهما كان نوع البضائع التي يحملونها،لمنع التجار البيزنطيين من التجسس في الامبراطورية الساسانية والقيام بالعمل نفسه في الامبراطورية البيزنطية.
6. تكريم السفراء والموظفين الذين يستخدمون خيول البريد سواء كانوا من الساسانيين او البيزنطيين، كل حسب مكانته الرسمية، وحسب المناسبات، وان ينالوا ما يستحقونه من الاهتمام والعناية، وان يودعوا بمثل ما استقبلوا به من تكريم، مع اعفاء ما يحملونه من سلع من الرسوم الكمركية.
7. يجب ان يمتنع التجار العرب التابعين لكلا الدولتين عن السفر في طرق غير معروفة تجنبا لدفع الرسوم، وعلى كل هؤلاء الذين يتاجرون بين الدولتين اتباع طريق نيسيبيس ودارا، وعليهم عدم دخول الاراضي الساسانية او البيزنطيـة الا بتصريحات خاصة، وان المخالفين لذلك سوف يلقي القبض عليهم موظفو الحدود ويسلمون الى السلطات لينالوا العقاب.
8. ان الهاربين من الخدمة العسكرية اثناء الحرب سواء كانوا من الساسانيين ام من البيزنطيين يجب عدم منعهم من الرجوع الى اوطانم اذا رغبوا في ذلك، اما اولئك الذين يفرون اثناء السلم فيجب تسليمهم بخلاف اردتهم الى الجهة التي فروا منها.
9. امتناع الجانبين عن اقامة التحصينات على الحدود حتى لا تتخذ ذريعة لتجديد المنازعات بينهما.
10. عدم اقامة حامية كبيرة في دارا، ويكتفي بوضع قوة في حدود المعقول لحماية المدينة، ويجب الا يجعل قائد قوات الشرق البيزنطي من دارا

قاعدة له، وعلى حاكم دارا منع الغارات على الحدود الساسانية، والمحافظة على مصالح الرعايا الساسانيين.

11. اذا قام اشخاص غير مسؤولين بالاعتداء على الحدود من اجل السرقة او ليشعل الخلاف بين الدولتين فيجب على ضباط الحدود من الجانبين القيام بتحقيق شامل، واذا استعصى الامر على هؤلاء فيجب احالة الموضوع على قائد قوات الشرق، فان لم يحل المشكلة في مدة شهر فيجب تعويض المتضرر بمقدار ضعف اضراره، وان الطرف الذي يقع عليه الضرر يجب ان يتصل بحاكم الدولة الاخرى، فان لم يتم الضمان الكافي او التعويض المضاعف خلال سنة فان السلام يعد لاغيا.
12. على الشعوب التابعة لكل امة الا تهاجم او تشن حربا ضد شعوب تابعة للطرف الاخر، حتى ينعم الجيع بالسلام.
13. ان الله مع من ينشد السلام وهو على من يحاول تغيير العهود [1].

مع وجود فارق واحد هو الاعتراف باهمية الدور الذي يشكله العرب في حفظ التوازن بين الامبراطوريتين الكبيرتين فان تلك المعاهدة لم تختلف في جوهرها عن معاهدة سنة 532م التي سبقتها فكلاهما تضمنتا شرطاً مهيناً بالنسبة للجانب البيزنطي اذ تعهدوا فيه بدفع جزية مالية كبيرة للملك الساساني مقابل الاحتفاظ بمدينة لازيكا ذات الاهمية الاستراتيجية والتجارية، وهذا يؤكد ما كنا قد اشرنا اليه سلفاً ان حرب الامبراطور جستنيان في الجبهة الشرقية كانت حربا دفاعية لم يصب فيها من النجاح ما بلغته حروبه الهجومية في الجبهة الغربية.

1- **Bury, History of the Later Roman,Vo1.2,pp. 121 - 122;**

اليوسف، الامبراطورية البيزنطية، ص64 – 66؛ العلان، السياسة الساسانية، ص117 – 118.

الفصل الخامس:

العلاقات الساسانية ـ البيزنطية 562ـ 628م

- الحروب الساسانية - البيزنطية (562 - 591م).
- الحروب الساسانية - البيزنطية (602 - 610م)
- الحروب الساسانية - البيزنطية (610 - 618م).
- الحروب الساسانية - البيزنطية (618 - 628م).

الحروب الساسانية- البيزنطية (562- 591م)

ان العداء المستحكم بين الامبراطوريتين كما ظهر لنا من استقراء الاحداث كان اكبر من ان تحده أيٌ من معاهدات الصلح المعقودة بينهما، فما ان يسوي احد الجانبين مشاكله الداخلية وخلافاته الخارجية التي دعت لعقد ذلك الصلح ويشعر بقدر من القوة حتى اخذ يلتمس الاعذار لنقضه املاً في تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، وكان ذلك شأن جميع المعاهدات ومنها معاهدة سنة 562م التي نقضها الامبراطور البيزنطي جستين الثاني (Justin 11) (565 – 578م) اذ اراد تدعيم اقتصاد بلاده بتقليص الدور التجاري للساسانيين فاستقبل وفداً من خاقان دولة الكوك ترك(*) سنة 568م عرض عليه استعداد الاتراك للقيام بدور الوسيط في تجارة الحرير بين الصين وبيزنطة

* دولة الكوك ترك: وتعني باللغة العربية (الدولة الزرقاء التركية)، تأسست هذه الدولة في حدود سنة 552م في السفوح الشرقية لجبال الالتاي في المنطقة الممتدة من بلاد المغول وشمال الصين حتى البحر الاسود، واستمر حكمها زهاء 193 سنة أي نحو سنة 745م، وقد عاصر خاقانها (موكان خان) (552 – 572م) الملك الساساني كسرى انوشروان، وفي سنة 557م تحالف معه على اقتسام دولة الهياطلة (الهون البيض) التي كانت تمتد من اقليم ايبريا (جرجان) الى نهر جيحون، فانتقل ما وراء النهر وقسم من فرغانة وتركستان الغربية وكاشغر وخوتن الى دولة الكوك ترك، الا ان انوشروان لم يكن راضياً بذلك التقسيم على الرغم من انه حصل على حصة اكبر من بلاد الهياطلة لذلك عمد الى تعطيل طريق الحرير المار من وراء النهر الى جهات البحر المتوسط وبيزنطة وقام بتخريب نشاط سكان الصغد وحرم الكوك ترك من الموارد الكثيرة التي يؤمنها طريق الحرير (الداقوقي، حسين علي، الممالك والشعوب في بلاد ما وراء النهر قبل الفتح العربي الاسلامي، محاضرة القاها على طلبة الماجستير في كلية التربية – جامعة بغداد، العام الدراسي 2000 – 2001م، ص3؛ زوير، علي فرحان، الهياطلة تاريخهم ودورهم في المشرق خلال العصر الاموي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (بغداد: جامعة بغداد – كلية التربية، 2005م)، ص96).

باستخدام الطريق البري الشمالي(*)، وعرض عليه اقامة تحالف تركي بيزنطي ضد الساسانيين(1).

رحب الامبراطور جستين الثاني بتلك العروض الذي راهن على ان مدة الحرب ستكون قصيرة، ذلك ان الملك كسرى انوشروان قد بلغ السبعين من عمره، وانه لن يتمكن من قيادة جيشه بالكفاءة نفسها التي كانت له في السابق (2). واخذ يستعد ويتحين الفرص لنقض المعاهدة واعلان الحرب وقد جاءته تلك الفرصة سنة 572م اذ ثار الارمن(**) سنة 571م بزعامة الامير الارمني وردان الثاني ماميكونيان (572 – 574م) على حاكم ارمينيا الساسانية سورين (564 – 572م) وقتلوه، والتجأ الثوار الى القسطنطينية طالبين حماية الامبراطور، فاستقبلهم الاخير بالترحاب(3)، وفي تلك الاثناء وصلت رسل الملك كسرى انوشروان لتطالبه بدفع ما هو مقرر على بيزنطة من الضريبة السنوية، لم يرفض جستين الثاني الدفع فحسب، بل طالب بحماية الارمن

*** هذا الطريق يمتد من اواسط اسيا الى بحر قزوين ومن ثم البحر الاسود دون المرور بالاراضي الساسانية (بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص275؛

Wenzel,Marian,Finding Out About the Byzantines ,London(1965),p.17).

1- رستم، الروم، ج1، ص199؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص103؛

Lindsay ,Jack, Byzantium in to Europe , London(1952),p.74

2- العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص66.

*** لم يقع في عهد الملك كسرى انوشروان اضطهاد ديني للارمن في ارمينيا الساسانية، وقد اقام عليها المرازبة (الحكام) الساسانيين جشنسب بهرام (548 – 554م) ثم تنشابور (554 – 560م) ثم برذات (560 – 564م) ثم سورين (564 – 572م)، فلم يضطهدوا الارمن دينيا، وان الارمن لم يخرجوا عليهم، ولا سيما انهم لم يكونوا يأملون في مساعدة البيزنطيين لهم، الا ان المنافسة بين الامراء الارمن المؤيدين للبيزنطيين من اسرة ماميكونيان التي يمثلها الامير الارمني مانويل ماميكونيان وبين أمرائهم المؤيدين للساسانيين من اسرة سيوني التي يمثلها الامير الارمني فاهان السيوني، زادت وتدخل فيها المرزبان الساساني سورين وامر سنة 571م بقتل الامير الارمني مانويل ماميكونيان، فثار الارمن بزعامة اخيه الامير الارمني وردان الثاني فتمكنوا من قتل الحاكم الساساني والاستيلاء على دوين عاصمة ارمينيا الساسانية، الا ان الساسانيين استردوها منهم واخذوا في اخماد ثورتهم، فلم يجد الارمن بدأ من طلب المساعدة من الامبراطور جستين الثاني (حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص 75 – 76).

3- رستم، الروم، ج1، ص199؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص 254؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص75 – 76.

المسيحيين في ارمينيا الساسانية، وهدد الملك كسرى انوشروان بانه لو تعرض لهم باذى فانه سوف يعين ملك جديد للدولة الساسانية [1].

الميلادي بعيداً باتجاه الغرب الاوربي، خلق ازمة الحصول على الجنود المرتزقة، ولذا صار لزاماً عليها ان تعتمد على شعوبها في الحصول على ما تحتاج اليه جيوشها من الجند، وارادت ان تعتمد بشكل خاص في ذلك على الارمن الذين اشتهروا بانهم من خيرة الجنود وامهرهم[2]، ولاهميتها تلك ارسل الامبراطور جستين الثاني سنة 572م قواته بقيادة ابن اخيه مركيانوس (Marcianus) لمساعدة زعيمها الثائر الامير الارمني وردان الثاني واميكونيان، فتمكنا من صد الهجوم الساساني واستعادة العاصمة دوين[*] [3].

وفي سنة 573م توجه القائد البيزنطي موريس الكبدوكي(Maurice Cappadocian) نحو مدينة نيسيبيس، فبدأ بمحاصرتها تمهيداً للاستيلاء عليها [4]، فاقام حاجز من القضبان كمتاريس حولها، ونصب المجانيق العالية والابراج الكبيرة عليها، وبدأت المدينة تضيق بالحصار، وخاف اهلها والحامية الساسانية الموكلة بالدفاع عنها على حياتهم، اذ ادركوا ان البيزنطيين سرعان ما يستولون على المدينة، وما ان استعد الاخيرين وهموا بدخول المدينة، واذا بالقائد اقاقيوس ارخلاوس يصل فجأة لكي

1- **Munro, Dana Carleton and Sontag ,Baymond James, The Middle Ages 395 - 1500,London(1928),p.231; Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,p.305.**

2- العريني، الدولة البيزنطية، ص104؛

Ostrogorsky, History of the Byzantine State,p.79

* دوين: او توين اسماها العرب بعد فتحهم لارمينيا دبيل ووصفت بانها قصبة ارمينيا وبها دار الامارة، واشتهرت بانتاج الصوف المصبوغ بالقرمز وهو صبغ احمر اصله من دودة تشبه دودة القز (الاصطخري، مسالك الممالك، ص188؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص216).

3- **Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,P.306.**؛

حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص76.

4- **Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,P.306.**

يسلب القائد موريس سلطته ويتولى بدلاً عنه قيادة الجيش البيزنطي بامر من الامبراطور جستين الثاني، وقد طلب القائد موريس من القائـــد الجديد ان يمهله يومين فقط ثم ينفذ ما امر به، لانه على وشك ان يستولي على المدينة التي انهكها الحصار، ولم يكن راغباً في ان تذهب جهوده وجهود جنوده هباءً، الا ان القائد الجديد اصر على وجوب امتثاله للاوامر، ووبخه امام الجند وخلع منه رتبه العسكرية، فاثر ذلك في معنوياتهم واضعف من عزيمتهم على مواصلة الحصار على المدينة الى ان تركوها [1]، فصار انسحابهم مبعث لسخرية اهالي المدينة الذين دهشوا لهذا التراجع الفجائي، وكتبوا الى الملك كسرى انوشروان قائلين "... ادركنا لكي نعبر الى اراضي الرومان، لان الهة الشمس والنار صرعتهم، وهكذا انقلبوا على بعضهم البعض بسبب امر ملكهم، وطردوا (موريس) بسخرية وهربوا جميعاً بعيداً عن مدينتنا"[2].

وكان سبب غضب الامبراطور جستين الثاني على قائده موريس، عدم اطاعته لاوامره بقتله ملك الغساسنة المنذر بن الحارث الثالث (569 – 582م)[*][3].

1- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص195 – 196؛ محما، اسكندر، العرب الغساسنة (في ما كتبه الامبراطور الى مرقيان والمنذر)، المجلة (البطريركية)، ع7، س 1، (دمشق: بطريركية انطاكيا وسائر المشرق للسريان الارثوذكس، 1963م)، ص 308.

2- العلان، السياسة الساسانية، ص120.

* حدث بين الامبراطور جستين الثاني وبين ملك الغساسنة المنذر خلاف ما لبث ان تحول الى العداوة، سببه ان الاخير بعد انتصاره على ملك الحيرة قابوس بن هند (569 – 574م) في معركة عين اباغ في 20 مايس 570م اعتقد انه اهل للامتنان، فكتب بانتصاراته الى الامبراطور ليرسل اليه الاموال ليدفع منها ارزاق جنده، الا ان الاخير استاء من طلبه لاعتقاده ان العرب نالوا كفايتهم مما نهبوه، ولذلك قرر التخلص منه بقتله وكتب الى قائده موريس بتنفيذ ذلك، وكتب الى ملك الغساسنة المنذر طالبا منه المثول امام قائده، الا ان كاتب الرسائل اخطأ، فارسل الرسالة الخاصة بالقائد موريس الى المنذر، وارسل الرسالة الخاصة بالمنذر الى موريس، فلما قرأ المنذر الكتاب وعرف نوايا الامبراطور انقلب عليه، وتصالح مع ملك المناذرة قابوس، وصارا يهاجمان بلاد الشام معاً، فظن الامبراطور جستين الثاني ان قائده قد خانه، وانه اخبر المنذر بما يدبره له، ولذلك غضب عليه وعزله عن منصبه وامر بحبسه (مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص196 – 197؛ محما، العرب الغساسنة، ص308).

3- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص196؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص244.

اما الملك كسرى انوشروان فقد استعد للرد على الاعتداء البيزنطي على حدوده بالمثل، ويبدو ان استيلائه على الات الحصار التي تركها عدوه في نيسيبيس بعد انسحابه المفاجئ منها [1]، شجعته على مهاجمة اراضيهم مرة ثانية ومعاقبة الامبراطور جستين الثاني على نقضه لمعاهدة سنة 562م وتهديده له، فتقدم على رأس جيشه نحو مدينة دارا فحاصرها مدة ستة اشهر[2]، وفي الوقت نفسه ارسل 6 الاف من جيشه بقيادة القائد اذرمهان لمهاجمة بلاد الشام[3] مستغلًا قلة الجيش البيزنطي المدافع عنها وسوء العلاقات بين البيزنطيين وحلفائهم الغساسنة وامتناعهم عن حراسة حدود الامبراطورية[4]، فتمكنوا من حرق ضواحي انتيوخيا ونهب وتخريب مدينة افامية واسر عدد كبير من اهلها، ثم عادوا ولحقوا بالجيش الساساني المحاصر لمدينة دارا [5].

ومما يثير التساؤل قلة الجيش البيزنطي الموجود في بلاد الشام ومع ان قسم من المؤرخين المحدثين وضعوا تفسيراً لذلك فذكروا ان البيزنطيين هاجموا ارمينيا الساسانية بمعظم قواتهم[6]، الا ان تتبعنا للاحداث يجعلنا نستبعد ذلك، فمهاجمة البيزنطيين لارمينيا الساسانية كان سنة 572م وبعد ان اصابوا فيها النجاح توجهوا لمحاصرة مدينة نيسيبيس سنة 573م، الا انهم فشلوا في الاستيلاء عليها وانسحبوا عائدين الى بلادهم، والراجح ان معظم الجيش البيزنطي كان مشغولاً بصد الخطر عن

1- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص200.

2- المصدر نفسه، ج2، ص200؛ الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (الاسكندرية، د. ت)، ص66.

3- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص629؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص266.

4- بيغوليفسكيا، العرب، ص244؛ رستم، الروم، ج1، ص200.

5- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص201؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص629؛ محما، العرب الغساسنة، ص309؛ **Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,P.306.**

6- رستم، الروم، ج1، ص200؛ غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص31.

حدود امبراطوريتهم الشمالية الغربية(*) الذي لا يقل في الاهمية عن الخطر الساساني تاركين لحلفائهم الغساسنة ومن شد ازرهم من القبائل العربية المتاخمة حماية حدودهم الشرقية، الا ان الاخيرين وبسبب المؤامرة التي حاكها الامبراطور جستين الثاني لملكهم المنذر بن الحارث، امتنعوا عن حماية حدود الامبراطورية[1]، بل انه اتفق مع ملك المناذرة قابوس، وصارا يهاجمان بلاد الشام معاً[2].

ان قوة تحصينات مدينة دارا وطول مدة الحصار جعلت الملك كسرى انوشروان يرسل الى قادتها عارضاً عليهم الانسحاب مقابل مبلغ قدره خمسة قناطير من الذهب،

* تمثل هذا الخطر بظهور قبائل بربرية جديدة وهم اللمبارديون والافار، واللمبارديون من القبائل الجرمانية كثيرة اشهرها قبائل السكسون التي كانت تسكن الجزء الاوسط من حوض الدانوب، استولوا بزعامة ملكهم البوين(Alboin) (568 – 572م) على سهول ايطاليا الشمالية سنة 568م التي صارت منذ ذلك الوقـت تسمى بـ (سهول لمبارديا) وظلت غاراتهم مستمرة حتى تمكنوا سنة 573م من الاستيلاء على سائر انحاء شبه جزيرة ايطاليا حتى وصلوا الى الجنوب بما فيها مدن فيرونا، وميلان، وفلورنس، وبافيا التي اتخذوها عاصمة لهم، وعلى الرغم من انهم لم يحتلوا روما فانهم احاطوا بها من ثلاث جهات من الشمال والشرق والجنوب وقطعوا كل اتصال بينها وبين رافنا حتى لا تصل اليها المساعدات من القسطنطينية اومن رافنا، واستمر حكم اللومبارديين لايطاليا اكثر من مائتي سنة (568 – 774م) (هادريل، اوربـا فـي صدر العصور الوسطى، ص20؛ اليوسف، عبد القادر احمد، العصور الوسطى الاوربية 476 – 1500م، (بيروت: 1967م)، ص54 – 55؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص 106؛ عبيد، الامبراطورية الرومانية، ص163).
اما الافار فهم في الاصل من القبائل الاسيوية ينتمون الى الهون والترك تركوا مواطنهم في اسيا الصغرى سنة 550م متجهين صوب الشواطئ الشمالية للبحر الاسود والاقاليم الواقعة شمال ضفاف الدانوب، وتمكنوا من فرض سيطرتهم على السلاف واخذوا يقومون بغارات مدمرة على حدود الامبراطورية الشمالية الى داخل مقدونيا وشمال اليونان في عهد الامبراطور جستنيان الذي حاول الافادة منهم في التصدي لهجمات القبائل الجرمانية الساكنة شمال مجرى نهر الدانوب فعقد معهم معاهدة تحالف سنة 558م وقد طالبوا مقابل تلك الخدمة مبالغ من الاموال، الا انهم نقضوا ذلك الاتفاق وغاروا على اراضي الامبراطورية سنة 562م قبيل وفاته مطالبين بالاستقرار في الاقاليم البيزنطية جنوب نهر الدانوب، وقد رفض الامبراطور جستين الثاني معاملتهم بصفتهم انداد مساوين للبيزنطيين، ولما وجد ان خطرهم يفوق امكانيات الامبراطورية اضطر سنة 574م الى ان يدفع لهم الاموال مقابل عدم اعتدائهم على امبراطوريته (عبد العزيز، دراسات، ج1، ص101 – 102؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص95)

1- بيغوليفسكيا، العرب، ص244.
2- علي، المفصل، ج3، ص414.

ولما لم يستجب اهل المدينة لعرضه ظنا منهم انه لا يتمكن من الاستيلاء عليها اشتد غضباً وعاد لمحاصرتها، فاستخف به البيزنطيون واهملوا القتال على السور، ولا سيما ان البرد كان شديداً، فنزل حراس السور تاركين مواضعهم، فوجد الساسانيون ان السور قد خلا تماماً من جند البيزنطيين، فتسلقوا الاسوار ونزلوا الى المدينة وتعالت الصيحات بان المدينة قد احتلت، عندئذ سارع الجنود البيزنطيين الى ابواب المدينة طلباً للفرار، الا ان قادة الجيش البيزنطي اغلقوا الابواب ليدفعوا جنودهم للقتال الذي دار وسط المدينة واستمر سبعة ايام، حسمت نتيجته لصالح الساسانيين [1].وقيل ان المدينة اضطرت الى التسليم بعد ان قطع الماء عنها [2] في 15 تشرين الثاني سنة 573م[3].

وقد احدث سقوطها صدمة كبيرة للامبراطور جستين الثاني اصيب على اثرها بالجنون، وفاوض خليفته الامبراطور تيباريوس الثاني (Tiberius II) (578 - 582م) الذي تولى الحكم فعلياً لا رسمياً[*] الملك كسرى انوشروان سنة 574م على عقد هدنة لمدة سنة مقابل دفعه غرامة مقدارها 45 الف قطعة ذهبية، ولم يرد في هذا الصلح ذكر لارمينيا وهذا يعني تخلي البيزنطيين عنها وعن الحزب المؤيد لهم فيها[4].

وبعد ان انتهت هدنة سنة 574م استئنف الملك كسرى انوشروان الحرب، فقاد بنفسه قواته وقصد اسيا الصغرى مخترقاً من الشرق الى الغرب ارمينيا الساسانية ثم ارمينيا البيزنطية، ثم اقليم كبدوكبا متجاوزاً عاصمة الاقليمين الاخيرين

1- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص200.

2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص629؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص266.

3- مار ميخائيل، تاريخ، 2، ص201؛

Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,P.306.

* كان تيباريوس يشغل منصب قائد الحرس الامبراطوري اختارته الامبراطورة صوفيا زوجة جستين الثاني ليتولى الحكم باسم زوجها بعد ان اختل عقله، وبعد ان توفي الاخير سنة 578م خلفه على عرش الامبراطوري (رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص36).

4- **Jones The Later Roman Empire,Vol.1,p.306.;**

يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص257.

(ثيودوسيوبوليس وقيصرية)،حتى وصل الى سبسطية (Sebastia) (سيواس)[*] واحرقها ثم اتجه جنوباً نحو مليتين (Melitene) (ملطية)[**][1]، الا انه مالبث ان فوجئ عندها بجيش بيزنطي كبير يقوده القائد جستنيان ومعه قوات ارمينية بقيادة القائد الارمني الامير وردان الثاني ماميكونيان اجبرته بعد المعركة التي دارت بينهما على الانسحاب والعودة الى بلاده [2]، وفي رواية اخرى ان الجيش البيزنطي الارمني حاصر الجيش الساساني الذي سارع الى عبور نهر الفرات فاراً الى بلاده، عند شاطئ النهر الذي يبعد مسافة 6 أميال عن مدينة مليتين، فاضطر عناصر من الجيش الساساني ان تلقي نفسها في النهر، فغرق منها ما يزيد على النصف، في حين تمكن الملك انوشروان ومن تبقى معه من الجيش من الفرار، وهكذا عاد الملك الساساني الى بلاده منكهاً متعباً مضطرباً، وامر باصدار قانون بان لا يخرج ملك الى الحرب الا اذا كان خارجاً لقتال ملك اخر [3]، وهكذا ذهبت محاولة كسرى انوشروان ادراج الريح.

والسؤال الذي يطرح نفسه اين كان هذا التعاون البيزنطي الارمني عندما اجتاح انوشروان ثيودوسيوبوليس وقيصرية وعندما احرق مدينة سيواس؟ لماذا ظهر هذا التعاون عند مدينة ملطية بالذات؟ ثم كم كان عدد ذلك الجيش بحيث انه دفع الجيش الساساني لالقاء نفسه في النهر؟؟ اسئلة بحاجة الى اجابات، ربما في المستقبل نحصل عليها في حالة توفر مصادر جديدة.

---

* سبسطية (سيواس): من ولايات اسيا الصغرى الشمالية، تقع الى الشرق من قيصرية والمسافة بينهما 60 ميلاً وصفت بانها شديدة البرودة (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص383، 385؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص174).

** مليتين (ملطية): تقع الى الجنوب من سيواس، بينهما ثلاث مراحل، وصفت بانها بلدة ذات اشجار وفواكه وانهار تحف بها الجبال (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص385).

1- رستم، الروم، ج1، ص200؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص76.

2- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص630.

3- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص207.

وفي سنة 576م ارسل الامبراطور تيباريوس الثاني رسله الى الملك كسرى انوشروان يعرض عليه رغبته في عقد السلام بين الامبراطوريتين، ويبدو ان الملك كسرى انوشروان اعتقد انه سيجد في ذلك الصلح فرصته لتعويض خسارته السابقة في ارمينيا بالحصول على مزيد من قناطير الذهب عن كل سنة [1]، ولا سيما ان السن قد تقدم به وانه لم يعد قادراً كالسابق على قيادة جيشه وخوض حرب جديدة مع البيزنطيين ولذلك وافق على عرض الامبراطور في قبول الصلح [2]، وارسل الطرفان وفودهما للتفاوض بالقرب من مدينة دارا التي سيطر عليها الساسانيون، ومع ان كلا الطرفين كانا يرغبان بالسلام الا ان كلاهما حاول اظهار قوته، لئلا يخضع احدهما الى الاخر ويستجيب لشروطه، وكان كل فريق يعلم ملكه بسير المفاوضات التي استمرت سنة كاملة، وقد اوضح الوفد البيزنطي لنظيره الساساني انهم لن يشتروا هذه المرة السلام بالذهب، كما فعلوا في السابق وانهم يرغبون في ان يعقد السلام على اساس الاحترام والمساواة والا فالحرب التي سوف لن تضعف بيزنطة امامها، ازاء ذلك وافق الملك كسرى انوشروان على عقد السلام من دون ثمن بل انه وافق على الغاء الضريبة التي كانت قد فرضت على البيزنطيين [3].

ويبدو ان الامبراطور تيباريوس الثاني لمس في تلك الموافقة عدم قدرة خصمه على القتال بسبب كبر سنه، ولذلك تشجع اكثر وارسل له مشترطاً لعقد السلام ان يرد اليه مدينة دارا، فاثار ذلك الملك كسرى انوشروان، ورد عليه بانه استولى عليها وفقاً لقانون الحرب، كما استولى هو - أي الامبراطور البيزنطي - على ارمينيا، وانه اذا أراد مدينة دارا فعليه ان يرد اليه ارمينيا، رفض الامبراطور

1- العلان، السياسة الساسانية، ص124.

2- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص257.

3- العلان، السياسة الساسانية، ص124.

تيباريوس الثاني ذلك متذرعاً بحماية الارمن المسيحيين، الامر الذي اثر على المفاوضين فتنازعوا وتوقف عقد الصلح [1].

يبدو لنا ان الامبراطور تيباريوس بوضعه الشرط الاخير الذي تسبب في فشل المفاوضات قد اثبت قصر نظره وضعفه في امور السياسة، اذ فوت على بلاده فرصة الحصول على سلام مشرف يحفظ لبلاده هيبتها التي طالما سعت جاهدة لاعادتها والتخلص من الاذلال القاسي بدفعها الضريبة للدولة الساسانية، اما الملك كسرى انوشروان فقد اثبت انه سياسي ومحارب من الطراز الاول، فلم يساوم على بيع هيبة بلاده ولو على حساب السلام.

وليثبت للجانب البيزنطي انه لا يزال قوياً وخطيراً، وانه لن يتخلى عن أي جزء من اراضيه ارسل الى ارمينيا الساسانية سنة 577م جيشاً بقيادة قائده خسروف تمكن من استعادتها بعد ان قتل حاكمها البيزنطي[2].

وفي سنة 578 (وهي السنة التي تولى فيها الامبراطور تيباريوس الثاني عرش الامبراطورية بصورة رسمية (578 - 582م)) تقدمت جيوش الملك كسرى انوشروان باتجاه ارمينيا البيزنطية بقصد الاستيلاء على عاصمتها ثيودوسيوبوليس[3] فلما علم الامبراطور البيزنطي بذلك التحرك، اوكل مهمة التصدي لهم الى موريس الكبدوكي الذي اعاده الى قائد جيشه في الشرق بعد ان عزله الامبراطور جستين الثاني سنة 573م[4]، فاخذ هذا بتنظيم جيشه وتسليحه ثم عسكر به في مدينة قتريز[*]، وقد ادت اعماله تلك الى تخوف الساسانيين الذين راوا ان جند البيزنطيين اكثر منهم عدة وعتاداً، فلجاؤا الى

1- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص257؛ العلان، المصدر نفسه، ص124.

2- حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص76؛ زرين كوب، روزكاران، ص236.

3- حافظ، المصدر نفسه، ص76.

4- Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,P.308.

* قتريز: حصنا بارمينيا بناه الامبراطور جستنيان ليكون مقراً له هناك، يبعد مسافة اربعة ايام عن ارضروم (العلان، السياسة الساسانية، ص125 هامش رقم (3)).

الحيلة، اذ ارسلوا الى القادة البيزنطيين في ثيودوسيوبوليس يخبروهم بقبول الحرب بعد 30 يوما، فارسل هؤلاء بدورهم الى القائد موريس يخبروه بذلك، فامر الاخير جنوده بالاستعداد للقتال، اما الساسانيون فقد جمعوا جيشهم وعادوا الى بلادهم ثم توجهوا سراً قرب مرتيروبوليس وشرعوا يخربون في الاراضي البيزنطية، فحرقوا كل اراضي اقليم صوفنايا(*) ولا سيما الكنائس والاديرة، وفعلوا الشيء نفسه في مدينة آميدا فحرقوا ضواحيها وسورها وكنائسها والاديرة التي تحيط بها،وبعد ان حاصروها لثلاثة ايام ولم يتمكنوا من فتحها، خافوا ان يدركهم الجيش البيزنطي فانسحبوا عائدين الى بلادهم[1].

رد القائد البيزنطي موريس على ذلك التخريب لاراضيه بالقيام في السنة نفسها بهجوم خاطف على ارمينيا الساسانية فخرب عاصمتها مدينة دوين واسر عدداً كبيراً من سكانها[2]، ثم اتجه جنوباً نحو مدينة ارزن الواقعة بازاء مدينة مرتيروبوليس، فخربها واخلاها من سكانها الارمن وغيرهم من المسيحيين وهجرهم الى جزيرة قبرص ليكونوا بمنأى عن انتقام الساسانيين منهم اذ كانوا قد اشترطوا لعقد الصلح الذي كانت تدور بشأنه المفاوضات سنة 576م تسليم الثوار الارمن الذين التجأوا الى بيزنطة منذ سنة 571م وهو ما رفضه البيزنطيين[3]، كما هاجم ارض الجزيرة الفراتية واستولى على عدد من قلاعها ومدنها ومنها مدينة سنكارا [4].

يتضح مما تقدم ان حملات كلا الطرفين حملات تخريبية ليس لها من دافع سوى محاولة اثبات قوة ووجود كل منهما في مناطق نفوذ الاخر، اما ضرر تلك

---

* صوفنايا: اقليم يقع جنوب غرب ارمينيا، يحده من الشرق نهر الفرات، ومن الجنوب ارض الجزيرة الفراتية ومن الغرب كبدوكيا (العلان، السياسة الساسانية، ص125 هامش رقم (4)).

1- العلان، السياسة الساسانية، ص125.

2- Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,P.308.؛ العلان، السياسة الساسانية، ص126.

3- حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص76.

4- دياكونوف، تاريخ ايران، ص352؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص630.

الحملات فقد تحملها سكان تلك المناطق اذ كلفتهم اعداد كبيرة من القتلى واثقلت كاهل من تبقى منهم الضرائب الفادحة.

وفي سنة 579م وبعد تلك الحملات التخريبية جنح كلا الطرفين للدخول في مفاوضات لاجل عقد اتفاقية السلام، وقدم رسل الامبراطور مقترحاتهم وهي:

1. اطلاق سراح المسجونيين الذين وقعوا في اسر القائد موريس من دون فدية.
2. تنازل بيزنطة عن ارمينيا الساسانية واقليم ايبريا مقابل تنازل الاخيرة لهم عن قلعة دارا.

ويبدو ان رسل الملك كسرى انوشروان وافقوا على تلك المقترحات الا انهم طالبوا الامبراطور بالموافقة على مقترحاتهم وهي:

1. ان تسلم بيزنطة للساسانيين قادة الثورة الارمنية.
2. تدفع بيزنطة ضريبة سنوية – لم تحدد قيمتها.

وتشدد الامبراطور تيباريوس الثاني في قبول شرطي الملك الساساني، ويبدو ان ذلك التشدد دفع الاخير الى الاذعان وقبول الاتفاقية، ولا سيما ان المقترحين اللذين قدمهما الامبراطور كانا مغريين بالنسبة له، الا ان موته حال دون توقيعه عليها [1].

قرر الملك هرمز الرابع (هرمزد الرابع) (Harmizd IV) (579 – 590م)[*] الذي تولى عرش الدولة الساسانية بعد وفاة ابيه كسرى انوشروان اتباع سياسة متشددة تجاه

1- **Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,P.309.**

* هو ابن الملك كسرى انوشروان من زوجته ابنة خاقان دولة الكوك تورك (الدينوري، الاخبار الطوال، ص75؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص104).
وتصفه الروايات بالعدالة، وتذكر ان عدالته كانت تطال الجميع بمن فيهم الاشراف والعظماء، حتى انه قتل منهم ثلاثة عشر الف رجل وستمائة رجل، وتذكر انه كان كثير العطف على الضعفاء والمظلومين، وانه اظهر تسامحاً مع المسيحيين، فلما طلب منه رجال الدين الزرادشتيين ايذائهم رد عليهم قائلاً ".. فاقصروا عن البغي على النصارى، وواظبوا على اعمال البر، ليرى ذلك النصارى وغيرهم من اهل الملل، فيحمدونكم عليه وتتوق انفسهم الى ملتكم "، فادى ذلك كله الى نقمة العظماء ورجال الدين عليه (الطبري، تاريخ، ج1، ص462؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص170 – 171؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص142 – 144؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص 300 – 301).

بيزنطة، فاشترط لعقد الصلح الذي حالت وفاة والده دون توقيعه، تنازل الامبراطور عن مدينة دارا الى الساسانيين فضلاً عن ارمينيا وايبريا [1]، واستمرار دفعه للضريبة السنوية[2]، وازاء رفض الامبراطور والموقف المتشدد لكليهما فشلت المفاوضات واستوئنف القتال بين الجانبين [3].

ففي صيف سنة 579م اجتاز القائد البيزنطي موريس بقواته نهر دجلة وقام بنهب وتخريب المدن في الشمال الغربي للامبراطورية الساسانية، واقفل عائداً الى بلاده بحلول فصل الشتاء [4]، وفي صيف العام التالي (سنة 580م) اعاد الكرة قاصداً العاصمة الساسانية طيسفون وذلك باجتياز بادية الشام بمساعدة حليفه المنذر بن الحارث الغساني[*]، الا ان حملته لم يكتب لها النجاح اذ ما ان وصل الى بيت ارمايه[**] حتى وجد الجسر[***] المنصوب على نهر الفرات مهدماً[5]، وقد اتهم القائد موريس ملك الغساسنة المنذر بن الحارث بالتواطئ مع

1- بيغوليفسكيا، العرب، ص248.

2- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص260؛ رازي، تاريخ مفصل، ص78.

3- Jones , The Later Roman Empire, Vol.1,P.309.

4- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص260؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص659 - 660؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص248.

* عاد الغساسنة الى ممارسة دورهم في حماية حدود الامبراطورية البيزنطية بعد ان صالح الامبراطور تيباريوس الثاني ملكهم المنذر بن الحارث في صيف سنة 578م (مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص232؛ نولدكه، امراء غسان، ص26؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص245).

** بيت ارمايه: يذكر (موسيل) ان بيت ارمايه هو الاسم السرياني للجزء الشمالي من مدينة بابل، ويحدده بمدينة نيابوليس (بثرا) التي تقع العاصمة طيسفون الى الشرق منها، والمسافة بينهما 43 كم (الفرات الاوسط، ص348 - 349).

*** ترجح (بيغوليفسكيا) ان تكون تلك القنطرة على نهر دجلة وليس نهر الفرات وان مراكب التموين المحملة بالميرة كانت تتبع الجيش على نهر الفرات (العرب، ص248 هامش رقم (129)).

5- نولدكه، امراء غسان، ص 29؛ بيغوليفسكيا، العرب، ص248.

الساسانيين، وانه هو الذي اوعز لهم هدم ذلك الجسر لتفشل حملته(*)[1]. وفي الوقت ذاته علم القائد موريس ان جيشاً ساسانياً بقيادة اذرمهان يهاجم مدينة كالينيكوس، فامر باحراق قوارب التموين التي كانت تتبع الجيش على نهر الفرات، ربما كي لا تقع فريسة بيد اعدائهم من الخلف، ثم تحرك لنجدة المدينة فتمكن من اجبار الساسانيين على التراجع منها [2].

ومنذ ذلك الوقت استمرت الحرب سجالاً بين الطرفين في ارض الجزيرة الفراتية حتى سنة 588م [3].

تشير روايات المصادر انه في سنة 588م أحاط الاعداء بالدولة الساسانية من كل جانب، ففي الوقت الذي كان فيه جيشها مشغولاً بحروبه مع بيزنطة في ارض الجزيرة الفراتية، تعرضت اراضيها في جهتها الشمالية الشرقية وبتحريض من بيزنطة الى هجمات القبائل الاسيوية من دولة الكوك ترك والخزر، وتعدت القبائل العربية على املاكها في جنوب العراق (الحيرة)، ومع فارق في اسماء الملوك وعدد الجيوش فقد

---

* وفقاً لما روته المصادر فان القائد موريس قرر الايقاع بالمنذر بن الحارث انتقاماً منه للخيبة التي مني بها، فاثار عليه سخط الامبراطور تيباريوس، اما المنذر فقد اراد ان يبرهن بطلان ادعائه وانه معادياً للمناذرة وحلفائهم الساسانيين، فقام بمهاجمة الحيرة وحرقها، الا ان البيزنطيين اعتبروا عمله هذا تحدياً لهم وان المنذر يريد الخروج عن طاعتهم فقرروا الانتقام منه بقتله، واوعزوا بهذه المهمة الى حاكم بلاد الشام ماكنوس (Magnus) وكان صديقاً للمنذر فتمكن ماكنوس بالحيلة من القبض عليه وارساله مع قسم من اسرته الى القسطنطينية، وكان ذلك في اواخر عهد الامبراطور تيباريوس ولما تولى القائد موريس عرش الامبراطورية وكان ذلك في بداية سنة 582م امر بنفي المنذر الى جزيرة صقلية (نولدكه، امراء غسان، ص31 – 32؛ علي، المفصل، ج3، ص415 – 416؛ باشميل، العرب في الشام، ص221 – 222).

1- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص238.

2- موسيل، الفرات الاوسط، ص542.

3- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص661 ولم تذكر المصادر المتوفرة لدينا تفاصيل تلك الحروب.

ذكرت تلك المصادر ان خاقان الترك شابه(*) اقبل عليه في ثلاثمائة الف مقاتل(**) واجتاح بلاده حتى وصل الى باذغيس(***) وهراة(****) وكتب الى الملك هرمز كتاباً يامره فيه بعمارة القناطر واصلاح المعابر، واعداد العلوفات في الطرق والمراحل،وان امبراطور الروم(*****) سار في ثمانين الف مقاتل قاصداً له(******)، كذلك اجتاح ملك الخزر بجيش كثير العدد ارمينيا حتى وصل الى ميديا فعاث وخرب، كما هاجم رجلان من زعماء قبائل العرب يقال لاحدهما عباس الاحول والاخر عمرو الازرق(*******) بجمع كبير من رجالهم حدوده الجنوبية (أي الحيرة) [1].

* وقيل اسمه ساوه شاه (الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص176؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص121) وقيل شابه شاه وهو خال هرمز (خواندمير، تاريخ حبيب السير، ص245؛ الثعالبي، غرر السير، ص642) وقيل شابه بن شب (المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص253) وشبابه (ابن خلدون، تاريخ، ج2، ص178) وقيل وشايه (ابن الاثير، الكامل، ج1، ص301) ويرى نولدكه ان اصل الاسم هو جاو - وو (Chao - Wou) الذي كان وحسب التقارير الرسمية للصين اسم يطلق على الامراء الصغار في منطقة جيحون التابعين لخاقان الصين (تاريخ ايرانيان، ص292 هامش رقم (1)).

** عند الفردوسي مائة الف فارس والف ومائتي فيل (الشاهنامة، ج2، ص176)؛ وعند الثعالبي مائة الف عنان (غرر السير، ص642)، والعنان اللجام الذي يعترض فم الفرس (ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 292).

*** باذغيس: اصلها بالفهلوية باذخيز، ومعناه قيام الريح او هبوب الريح، لكثرة الرياح بها، وهي ناحية من اعمال هراة ومرو، قصبتها بون وبامئين (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 318).

**** هراة: من امهات مدن خراسان، بينها وبين نيسابور عشرة مراحل (اليعقوبي، البلدان، ص97).

***** يعني به الامبراطور موريس (582 - 602م).

****** يعني انه وصل الى الجزيرة الفراتية لاسترداد مدينة آمد وميافارقين ودارا ونصيبين (الدينوري، الاخبار الطوال، ص79).

******* يسميه المسعودي عمرو الافوه (مروج الذهب، ج 1، ص 253) ولم نتمكن من التعرف على اسماء هذين الرجلين والى أي قبيلة من القبائل العربية ينتمون، ويرى نولدكه انهم اشخاص لا وجود لهم، وان القابهم تدل على التحقير والاهانة لانه ورد في سورة طه، اية 103 (ويحشر المجرمون يومئذ زرقا) بمعنى المجرمون والمذنبون يبعثون يوم القيامة وهم زرق العيون (تاريخ ايرانيان، ص292، هامش رقم (4)).

1- الدينوري، الاخبار الطوال، ص79؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص145؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص462 - 463؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص253، الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص176؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص144؛ الثعالبي، غرر السير، ص642 - 643؛ ابن الاثير، الكامل، تاريخ، ج1، ص301؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ص244 - 245.

وفي رواية ان الملك هرمز استشار خاصته فيمن يبدأ بمواجهته، فاشاروا عليه بان يبدأ بدولة الكوك ترك، وذلك بأن يهادن الامبراطور البيزنطي ويسترضي ملكي الخزر والعرب، ويقال انه سأل الامبراطور موريس (582 - 602م) الصلح والموادعة وانه ارجع اليه المدن التي كان ابوه قد استولى عليها وهي آميدا ومرتيروبوليس ودارا ونيسيبيس [1].

ومما يضعف تلك الرواية ويجعلنا نشك في صحتها اننا لم نجد في المصادر المتوافرة لدينا ان الملك هرمز عقد هدنة او صلح مع الامبراطور البيزنطي موريس، والذي اكدته تلك المصادر ان الامبراطور موريس تمكن من استرجاع تلك الاراضي في عهد الملك الساساني كسرى ابرويز - كما سيأتي توضيحه - ثم ان الخطر الذي كانت تواجهه الامبراطورية البيزنطية لم يكن مقتصراً على الجبهة الشرقية بحيث يتطلب منها الاهتمام والتركيز وارسال مثل هذا العدد الكبير من الجيش، فقد كان عليها ايضا ان تقاوم على جبهتها الغربية خطر الافار في شبه جزيرة البلقان واللمبارديين في ايطاليا، وهذا بالتاكيد كان بحاجة الى جيش كبير، والذي يدعو الى التساؤل من اين جاءت بيزنطة بذلك العدد الهائل من الجيش في وقت كان عليها ان تقاوم خطرين في آن واحد، ولا سيما ان المدة الواقعة بين سنة 565 وحتى سنة 610م كانت وبجسب ما تذكره المصادر من اسواء المدد في التاريخ البيزنطي، فقد ترك الامبراطور جستنيان الاول لخلفائه امبراطورية مترامية الاطراف منهكة القوى ومحطمة اقتصادياً يتكفل بحمايتها جيش لم يكن من وفرة العدد ما يكفي لدرء الاخطار التي تهددها [2].

وفيما يتعلق بموقفه من ملك الخزر فيقال انه ارسل له جيشاً بقيادة قائده خرّاد، وان هذا الجيش ما ان وصل الى بلاد الارمن حتى هرب منه ملك الخزر عائداً الى

1- الدينوري، المصدر نفسه، ص79؛ الفردوسي، المصدر نفسه، ج2، ص177.

2- العريني، الدولة البيزنطية، ص102؛ موس، ميلاد العصور الوسطى، ص228؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص99.

بلاده [1]، وفي رواية اخرى ان الملك هرمز تجنب خطره وابعده هو والعرب عن بلاده بعد ان بعث اليهما بالهدايا والاموال [2].

لم يبق امام الملك هرمز الرابع (579 - 590م) من تلك الحشود غير خاقان الترك شابه، فارسل لقتاله قائده (بهرام جوبين)[*] في اثنى عشر الف جندي، وفي معركة جرت بينهما تمكن بهرام من قتل الخاقان شابه واسر ابنه وغنم اموالاً كثيرة وكنوز قيمة ارسلها الى الملك هرمز الرابع [3]، وبقصد فتح جبهة جديدة على البيزنطيين ومنع الامبراطور موريس من التقدم نحو اراضي الجزيرة الفراتية [4]، او بقصد التخلص من بهرام جوبين، خوفاً من ان يتعاظم شأن بهرام لما حققه من انتصار على خاقان الترك، ارسله الملك هرمز سنة 589م لمهاجمة لازيكا، التي كانت في ذلك الوقت غير محصنة تحصيناً كافياً،وعليها حامية قليلة[5]، فدخلها ونهب وسلب، وارسل الغنائم الى العاصمة طيسفون، الا ان البيزنطيين سارعوا في شتاء السنة نفسها الى نجدة المنطقة،وتمكنوا من ايقاع الهزيمة به[6]، وبحسب ما روته المصادر فان الملك هرمز الرابع بدلاً من ان يرسل اليه العون سرَّ لهزيمته، وعزله بطريقة مهينة وذلك بان ارسل اليه البسة نسائية وادوات حياكة دلالة على جبنه امام البيزنطيين [7]، فاثار ذلك بهرام،ورد

1- الدينوري، الاخبار الطوال، ص79؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص177.
2- مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص121.
* بهرام جوبين: هو بهرام بن بهرم جُشنس الرازي، من اهل الري من عائلة مهران الفرثية، وهي احد الاسر السبع ذات السلطة والنفوذ في الدولة الساسانية، لقب بـ (جوبين) ومعناه الرجل الخشبي، كان في عهد الملك كسرى انوشروان والياً في جهات الشمال، وقيل كان مرزبان الري، وقيل مرزبان اذربيجان وارمينيا (الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص179؛ كرستنسن، ايران، ص427).
3- الدينوري، الاخبار الطوال، ص79 - 82؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص145 - 146؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص463.
4- زرين كوب، روزكاران، ص242.
5- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص662؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص269.
6- رستم، الروم، ج1، ص201.
7- الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص191؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص145؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص121؛ نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص295 هامش رقم (1).

على تلك الاهانة باعلن تمرده الصريح على الملك هرمز الرابع والثورة عليه،وقد اشعل تمرده نار الفتنة في البلاد، ولا سيما من قبل الاشراف والعظماء، فقد كانوا " متغضبين له كارهين لولايته " [1]، وقد نجح بسطام (كان خالًا لولي العهد كسرى ابرويز) من تخليص اخيه بندويه من سجنه الذي سجنه فيه الملك لانه كان معارضاً لسياسته،ودخل الاخوان القصر الملكي،وخلعا الملك وسملوا عينيه وقتلوه سنة 590م ونصبوا ابنه كسرى الثاني ابرويز[*] (Aparues) (590 – 628م) ملكاً بديلاً [2].

لم يكن بهرام جوبين مستعداً لموالاة الملك الجديد اذ كان يشعر باحقيته في تولي العرش بزعم انتسابه الى الملوك الفرثيين[**]، فتوجه بجيشه نحو العاصمة طيسفون، فلما راى كسرى ابرويز رجوح كفته، نظراً لكثرة اتباعه، قرر الفرار الى الحدود البيزنطية لاجئاً ومستغيثاً بالامبراطور البيزنطي موريس [3].

وقد حاول بهرام جوبين الذي اعلن نفسه ملكاً على العرش الساساني افشال مساعي الملك الشرعي كسرى ابرويز في الحصول على مساعدة الامبراطور موريس، فارسل ممثلاً عنه الى القسطنطينية محاولاً استمالة الامبراطور الى جانبه،وعرض عليه التنازل له عن نيسيبيس وعن جميع مدن ارض الجزيرة الفراتية[4]، وفي الوقت نفسه ارسل الى الارمن طالباً تأييدهم ووعدهم بعدم التدخل في امورهم الداخلية، وان

1- اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص 146.

* ابرويز: يذكر الفردوسي ان هذا اللقب الذي يعني المظفر لحق به لانه بلغ من الباس والنجدة والنصرة والظفر وجمع الاموال والكنوز ومساعدة القدر اياه ما لم يتهيأ لغيره من ملوكهم. (الشاهنامة، ج2، ص197).

2- الدينوري، الاخبار الطوال، ص82 – 84؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص146 – 147؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص463؛ كرستنسن، ايران، ص427 – 428.

** يذكر كرستنسن ان مطالبة بهرام جوبين بالعرش بدعوة انتسابه الى الفرثيين لم يسمع به من قبل في اثناء حكم الساسانيين (ايران، ص428).

3- الطبري، تاريخ، ج1، ص463، ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1958م)، ص90 وهو يسمي كسرى ابرويز (كسرى انوشروان).

4- يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص261.

يجعل حدود دولتهم تمتد من قيصرية عاصمة اقليم كبدوكيا في الغرب الى نهر ارَس (الرس)(*) في الشرق، وان يقيم عليهم حاكماً هو زعيمهم وردان الثاني ماميكونيان الذي لجأ الى بيزنطة [1].

وقد وجد الامبراطور موريس في اضطراب الاوضاع الداخلية في الدولة الساسانية فرصته للتوسع على حسابها فاستجاب لاستغاثة الملك كسرى ابرويز وكتب اليه يخبره بموافقته على مساعدته في استرجاع عرشه بشروط هي:

1. تتنازل الدولة الساسانية له عن مدينة دارا، ومدينة مرتيروبوليس كذلك عن ارمينيا الساسانية.
2. اعفاء بيزنطة من دفع الضريبة السنوية [2].

وافق الملك كسرى ابرويز على شروط الامبراطور وكتب له بذلك كتاباً جاء فيه "ما دمت على عرش بلاد فارس لا اطلب خراج الروم ولا اقصد بلادهم بوجه من الوجوه، واشهدت الاله على نفسي اني لا اخالفه ولا اخالف من يلي ملك الروم بعده"[3].

وبعد ان استجاب الملك كسرى ابرويز لرغبة الامبراطور ووافق على شروطه، امده بقوة عسكرية كبيرة عبر بها في ربيع سنة 591م نهر دجلة الى ارمينيا[4] حيث

* نهر ارّس (الرس): ينبع من جبال بنكول داغ وهي من جبال قاليقلا في غربي ارمينيا ثم يتجه في جريانه شرقاً فيمر بمدينة دوين (الدبيل) وبعد ان يجري بمحاذاة حدود اذربيجان الشمالية يلتقي بنهر الكر فيصبحان نهر واحد يصب في بحر قزوين (ابو الفداء، تقويم البلدان، ص59 – 60؛ لسترنج، بلدان الخلافة، ص213؛ طه، فتح العرب ارمينية، ص29 – 30).

1- حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص77.

2- حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص 77؛ هسي، ح. م، العالم البيزنطي، تقديم وترجمة وتعليق، رأفت عبد الحميد، (عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية: 1997م)، ص100 – 101؛ رستم، الروم، ج1، ص202؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص261؛ دياكونوف، تاريخ ايران، ص355؛ **Jones , The Later Roman Empire,P.311**

3- الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص210.

4- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص663 – 664؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص262.

انضمت اليه قوات القائد الارمني موسيل وخاله بندويه،فلما سمع بهرام جوبين بذلك خرج في عساكره من العاصمة طيسفون باتجاه اتروباتين[1]، وفي جنزك(Ganzak)[*] التحم الجيشان في معركة كبيرة دارت فيها الدائرة على بهرام جوبين فر على اثرها الى بلاد الترك[2].

وبعد وصول الملك كسرى ابرويز الى العاصمة طيسفون وجلوسه على العرش برَّ بوعده الى الامبراطور موريس، ووقعا في السنة ذاتها الصلح طبقاً للشروط التي اتفقا عليها، وبقي هذا الصلح قائماً حتى مقتل الاخير سنة 602م[3]، وتوثقت علاقة الصداقة بين الطرفين، فيذكر ان الملك كسرى ابرويز ضم الى حرسه الخاص كتيبة من الجنود البيزنطيين بلغ عددهم الف جندي[4]، وتزوج ابنة الامبراطور ماريا (مريم)[5][**].

وهكذا استرد الامبراطور موريس ما كانت الامبراطورية قد فقدته على الجبهة الشرقية بعد قتال طويل استمر قرابة عشرين عاماً.

1- الدينوري، الاخبار الطوال، ص90؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص465 – 466؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص212 – 214.

* جنزك: هي مدينة شيز او ستوريق كما سماها المغول، من نواحي اذربيجان شمال غرب ايران، خرائبها تعرف بتخت سليمان (لسترنج، بلدان الخلافة، ص259؛ كرستنسن، ايران، ص156) وذكر ياقوت الحموي ان الاسم الفهلولي لمدينة شيز هو (جيس) التي يقال ان نبيهم زرادشت ولد فيها، وقصبة شيز مدينة جيجست (ارمية) (معجم البلدان، ج3، ص383).

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص 466؛ رستم، الروم، ج1، ص202؛ كرستنسن، ايران، ص428.

3- دياكانوف، تاريخ ايران، ص355؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص202؛ ابو مغلي، ايران، ص162.

4- بتلر، الفرد، ج، فتح العرب مصر، ط2، ترجمة: محمد فريد ابو حديد بك، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1996م)، ص96.

** ناقش المؤرخ (نولدكه) مسألة زواج الملك كسرى ابرويز من ابنة الامبراطور مريم او ماريا، فذكر ان مؤرخوا اوربا لا يذكرون ذلك الزواج، وانه لم يكن لكسرى ابرويز قبل السنة الثالثة من حكمه زوجة غير شيرين المسيحية الاصل، وهذا يعني ان زواجه من ابنة الامبراطور كان بعد السنة الثالثة من حكمه، ومن خلال المكانة التي كانت لشيرويه بن كسرى عند ابيه على الرغم من التسلط الذي كان لشيرين عليه يرجح ان تكون امه من الاميرات (تاريخ ايرانيان، ص305 هامش رقم (2)).

5- الدينوري، الاخبار الطوال، ص90؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص 465؛ مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص261.

الحروب الساسانية- البيزنطية (602 - 610م)

في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة 602م حدث في الامبراطورية البيزنطية تمرد(*) ضد الامبراطور موريس قاده القائد البيزنطي فوكاس (Phocas)(**) الذي زحف نحو العاصمة القسطنطينية وقتل الامبراطور موريس واسرته [1] التي لم ينج منها غير ابنه ثيودسيوس (Theodosius) الذي هرب الى الملك الساساني كسرى ابرويز طالباً مساعدته لاعادته الى ملك ابيه[2].

وبهدف استرداد املاكه التي فقدها رحب الملك كسرى ابرويز بطلب ابن الامبراطور، واعلن في الحال الحرب على الامبراطور الجديد فوكاس(602 – 610م)

* سببها ان الامبراطور موريس بعد التسوية التي توصل اليها مع الساسانين ارسل جيشه سنة 592م لمحاربة الافار والسلاف، ولسنوات عدة امتدت حتى سنة 601م شن الجيش البيزنطي حرباً متصلة ضد هؤلاء كانت في اغلب مراحلها ناجحة، الا انها لم تكن فاصلة بمعنى انها لم تقض على خطرهم بصورة نهائية، والسبب في ذلك يعود الى عدم توفر السيولة النقدية في الخزانة الامبراطورية، وقد حاول الامبراطور موريس الاقتصاد في النفقات الحربية، فاصدر امراً الى جنوده سنة 602م بقضاء فصل الشتاء في ارض العدو الى الشمال من نهر الدانوب على ان يعيشوا على ما يجدوه في ارض العدو، فاثار ذلك استياء الجند فرفضوا اطاعة اوامره وتمردوا عليه.

(Jones , The Later Roman Empire,Vo1.1,pp..313 - 314؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص98 – 99؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص109 – 110).

** فوكاس: قائد غير معروف لفرقة صغيرة من الجيش عدد افرادها مائة

(Ostrogorsky, History of the Byzantine State,p.83؛ اومان، المصدر نفسه، ص99؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص112؛ عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص81 – 82).

1- Ostrogorsky,History of the Byzantine State,p.83; Lindsay,Byzantium in to Europe,p.74

2- مؤلف مجهول (من القرن السابع الميلادي)، التاريخ الصغير، ترجمة وتعليق: الاب بطرس حداد، (بغداد: مطبعة الشعب، 1976م)، ص67؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص101؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص 466؛ مؤلف مجهول، التاريخ السعردي، ج2، ص199.

بحجة الانتقام لمقتل صديقه وحليفه الامبراطور موريس[1]، واعادة ابنه الى العرش، ولذلك قام بتتويج الملك الشاب ووجه الى بلاده بصحبة جيش كبير يقوده ثلاثة من قواده[*]، الا ان البيزنطيين لم يخضعوا له او يملكوه [2].

ان رواية استنجاد ابن الامبراطور موريس بالملك كسرى ابرويز التي ذكرتها المصادر العربية، رواية يرقى اليها الشك، فالمصادر الايرانية ولا سيما الشاهنامة[**] لا تذكرها، اما المصادر السريانية المتوافرة لدينا، فرواياتها هي الاخرى متواترة بحيث يصعب على الباحث الاخذ بها واعتمادها، فكتابي (التاريخ الصغير) [3] و(التاريخ السعردي) [4]، مع ان روايتهما جاءت مؤيدة لما في المصادر العربية الا ان الاول لا يذكر المصير الذي آل اليه ابن الامبراطور، اما الثاني فيذكر انه قتل بتدبير من الملك كسرى ابرويز، ويخالفهما المؤرخ (ابن البطريق) [5] فيقول: "... شد فوكا (فوكاس) الملك على اولاد موريق (موريس) فقتلهم واخذت حاضنتهم واحداً من اولاد موريق فخباته، واسلمت ابنها بدله فقُتل، فلما شب الغلام ترَّهب بطور سيناء ومات ".

1- اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص99 – 101؛ هسي، العالم البيزنطي، ص102.

* يسميهم (الدينوري) شاهين وبوذوشهريار (الاخبار الطوال، ص101 – 102)؛ ويسميهم (الطبري) رميوزان و شاهين و فرهان التي كانت رتبته شَهْربَراز (تاريخ، ج1، ص466) وهو قائد واحد عند (مسكويه) حيث يقول « انه ارسل معه جيش بقيادة شهربراز « (تجارب الامم، ج1، ص148) اما (ابن الاثير) فيسميهم بوران وشاهين و فرخان (الكامل، ج1، ص304).

2- الدينوري، الاخبار الطوال، ص101؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص 466؛ مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص67؛ مؤلف مجهول، التاريخ السعردي، ج2، ص199.

** ان المصدر الاساسي الذي نقل عنه الفردوسي اعمال الملوك الساسانيين واحوالهم في كتابه الشاهنامة هو ترجمة فارسية للنص الفهلوي لخداي نامة وهي ترجمة لا صلة لها بترجمة ابن المقفع التي اعتمدتها المصادر العربية (كرستنسن، ايران، ص46).

3- مؤلف مجهول، ص67.

4- مؤلف مجهول، ج2، ص200.

5- ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص215.

وتجمع المصادر على ان الامبراطور موريس قتل مع اولاده الخمسة وكان اصغرهم طفلاً في الثالثة من عمره[1].

وقد لا نجانب الحقيقة اذا ما قلنا استناداً الى ما ذكره الاستاذ (اسد رستم)[2] ان الامبراطور موريس نفسه قد كتب قبل مقتله الى الملك كسرى ابرويز يستنجده،وان الاخير تقاعس عن تقديم تلك المساعدة وظل يترقب تطورات الاحداث في الامبراطورية البيزنطية وينتظر الفرصة التي تمكنه من اعلان نقضه لمعاهدة الصداقة المعقودة بينهما، ولذلك ما ان سمع بالثورة التي رفع رايتها قائد الجيوش البيزنطية في منطقة الشرق القائد نارسيس (Narses)[*] سنة 603م ضد الامبراطور الجديد فوكاس (602 - 610م)[3] حتى سارع الى ارسال قائده شاهين (Shahin) وبرفقته خمسة عشر الف من الجند لمساعدته[4] بحجة الثآر لمقتل صديقه الامبراطور موريس[5] الا ان مقصده الحقيقي استرجاع ما كان قد تنازل عنه من مدن الجزيرة الفراتية.

وفي سنة 603م قام القائد البيزنطي نارسيس المنشق عن البيزنطيين بالتعاون مع القوات الساسانية التي يقودها القائد شاهين بمهاجمة الاراضي البيزنطية وكانت اول اهدافهما مدينة سنكارا التي جعل منها البيزنطيين بعد استيلائهم عليها سنة 578م زمن

1- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص265؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص99؛ هسي، العالم البيزنطي، ص102؛ **Ostrogorsky, History of the Byzantine State,p.83..**

2- الروم، ج1، ص210.

* نارسيس: قائد ارمني الاصل قاد الجيش البيزنطي الذي ساعد الملك كسرى ابرويز في استعادة عرشه (رستم، الروم، ج1، ص202)، ولا نعلم اذا كان قصده من تلك الثورة الثآر للامبراطور موريس ام انه قام بها لمصلحته الشخصية بمعنى انه كان طامعاً في عرش الامبراطورية.

3- رستم، الروم، ج1، ص210؛ زرين كوب، روزكاران، ص247؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص665.

4- داهيم، بهرام، خسرو برويز وجنكهاي بيست وهفت ساله ايران وروم، مقدمة: زبيدة جهانكيري، جاب سوم، (طهران: جاب قيام، 1376هـ)، ص145.

5- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص268؛ مؤلف مجهول، تاريخ السعردي، ج2، ص179؛ رستم، الروم، ج1، ص210؛ زرين كوب، روزكاران، ص247؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص665؛

Jones , The Later Roman Empire,Vo1.1,p.316.

الامبراطور تيباريوس الثاني بمثابة البرج يراقبون منه تحركات الجيش الساساني[1]، وقد شجع انخفاض اسوار المدينة على الرغم من قوتها، وقلة الحامية البيزنطية الموجودة فيها التي كانت بقيادة القائد البيزنطي جرمانوس (Garmanus) القائدان نارسيس وشاهين على مهاجمتها بشكل سريع ومفاجئ[2]، فتمكنا من الاستيلاء عليها في السنة نفسها[3].

بعد ذلك النجاح قرر القائدان نارسيس وشاهين التوجه نحو مدينة دارا، الثغر الامامي للبيزنطيين في ارض الجزيرة، ولقوة استحكاماتها وتفاني البيزنطيين في الدفاع عنها لم يتمكنا من الاستيلاء عليها الا بعد تسعة اشهر من محاصرتها وقد استعملا في تحطيم اسوارها حيل وطرق مختلفة[4].

اما تاريخ ذلك الاستيلاء فان صاحب كتاب (التاريخ الصغير) [5]يرجعه الى السنة الرابعة عشر من حكم الملك كسرى أي سنة 604م ويؤيده في ذلك المؤرخ (مار ميخائيل) [6]، في حين ارجعه بعض المؤرخين المحدثين الى سنة 605م [7].

وبما ان سقوط دارا كان يعني فتح الباب امام الساسانيين للتوغل في الاراضي البيزنطية، فقد حاول الامبراطور فوكاس غلق ذلك الباب،وبذل محاولة لاستردادها بعد ثمانية اشهر من استيلاء الساسانين عليها الا ان الفشل كان عنواناً لتلك المحاولة[8].

1- داهيم، خسرو برويز، ص145.
2- داهيم، خسرو برويز، ص147.
3- المصدر نفسه، ص159.
4- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص666؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص264.
5- مؤلف مجهول، ص69.
6- تاريخ، ج2، ص268.
7- داهيم، خسرو برويز، 174؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص666؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص264.
8- داهيم، المصدر نفسه، ص201 – 206.

وحاول الامبراطور فوكاس اشغال الساسانيين وايقاف تقدمهم في الاستيلاء على مدن الجزيرة الفراتية بمهاجمتهم من جهة ارمينيا فارسل اليها قائده البينوس وبرفقته قائدين اخرين هما الكسيوس ورومانوس على رأس جيش قوامه ثمانية فرق، بلغ تعداد كل فرقة من 4200 – 6000 الف من المشاة و300 فارس [1]، ولما علم القائد البيزنطي المنشق نارسيس الذي كان في مدينة دارا بعد افشاله لمحاولة الامبراطور لاستردادها بتلك الحركة من جانب البيزنطيين سارع الى ارسال رسله الى العاصمة طيسفون لابلاغ الملك كسرى ابرويز [2]،الذي بادر في الحال الى ارسال قائده شهربرز (Shahrbarz)[*] على رأس جيش مكون من 8 الاف فارس و16 الف من المشاه، وصلت الى مدينة جنزك بانتظار قدوم الجيش البيزنطي، وبعد ان علم من عيونه ان الفرق البيزنطية دخلت الاراضي الارمنية ترك مدينة جنزك وعسكر على حافة نهر ارس، وقد انطوت خطته على اخفاء خمسة الاف من جنوده بين منحنيات النهر، فاذا ما عبرته الجيوش البيزنطية اطبق عليها بقواته من الامام والخلف [3]. اما القائد البيزنطي البينوس الذي لم يكن يتوقع ان يعرف الساسانيين خبر وصوله ويستعدوا لمواجهته بهذه السرعة، فبعد ان اخبرته عيونه ان تعداد الجيش الساساني لا يتجاوز العشرين الف، وثق

1- داهيم، المصدر نفسه، ص212.

2- داهيم، خسرو برويز، ص208.

* شهربراز: لقب محرف عن الاسم الفهلوي شهر ورز ومعناه الخنزير البري، والخنزير البري كان رمز للقوة لذلك كانت صورته على الاختام الفارسية والارمنية (بتلر، فتح العرب مصر، ص99) اما الاسم الحقيقي لذلك القائد فـ (الطبري) يسميه فرهان (تاريخ، ج1، ص466) والمؤرخ السرياني (مار ميخائيل) يسميه (رومنيان) (تاريخ، ج2، ص268)، والارمن يسمونه (ارزمن) او (رزمن) او (رميكزان)، اما البيزنطيين فيسمونه (رسميزاس) او (روميزانس) او (رزميوزان) (بتلر، فتح العرب مصر، ص100 هامش رقم (1) والاسم (رزميوزان) قريب من اسم (روميوزان) الذي هو القائد الثالث من قواد كسرى ابرويز عند الطبري، ولذلك نعتقد ان اسم (رزميوزان) هو نفسه (روميوزان) وهو نفسه شهربرز او شهريار كما يسميه المسعودي (مروج الذهب، ج1، ص258) و (جراز) كما يسميه الفردوسي (الشاهنامة، ج2، ص247).

3- داهيم، خسرو برويز، ص214 – 215.

من انتصاره مغترا بكثرة عدد الجيش الذي تحت امرته، ولذلك قرر ان يبدأ الهجوم عليهم بجميع قواته، وما ان بدأت المعركة التي عرفت بمعركة نهر ارس، حتى نفذ القائد الساساني شهربرز خطته بنجاح، وكانت النتيجة انكسار الجيش البيزنطي بمقتل قائدهم البينوس، وال امرهم الى القائدين الكسيوس وورومانوس اللذين ما ان علموا بوصول القائد الساساني شاهين مع ستة عشر الف من جنوده لدعم واسناد القائد شهربرز حتى فضلا الانسحاب والفرار من المعركة على الدخول فيها، وبعد اسبوع من انتهاء المعركة ارسل القائد الساساني شاهين رفيقه القائد شهربرز اليالعاصمة طيسفون محمـــلاً بالغنائم وبكتاب الى الملك كسرى ابرويز يسأله فيه ان يعطيه امراً ليواصل تقدمه في ارمينيا، الا ان الملك امره بترك حامية في ارمينيا ويعود بجيشه الى طيسفون [1].

اما تاريخ تلك المعركة فان المؤرخ (داهيم) الذي شرح تفاصيلها لا يذكره على وجه التحديد، الا اننا ومن خلال ما اجمعت عليه المصادر من ان تاريخ استيلاء الساسانيين على مدينة دارا كان سنة 605م وان الامبراطور فوكاس حاول استردادها بعد ثمانية اشهر من الاستيلاء عليها نستنتج ان حدوث تلك المعركة كان في منتصف سنة 606م.

اما عن القائد البيزنطي المنشق عن البيزنطيين نارسيس الذي كان في مدينة دارا فبعد سماعه بهزيمة الجيش البيزنطي في معركة نهر ارس تشجع على مواصلة تقدمه في الاستيلاء على مدن الجزير الفراتية، فترك في مدينة دار حامية تقدر بـ (15) الف جندي وسار ببقية الجيش[*] باتجاه مدينة اميدا، ولم تكن استحكاماتها باقل قوة من استحكامات مدينة دارا ومما زاد من قوة حصانتها وقوعها في منطقة جبلية وعرة[2]، وهذا يعني ان الاستيلاء عليها لم يكن من الامور السهلة.

1- داهيم، خسرو برويز، ص219 – 221.

* لم يذكر عدده.

2- داهيم، خسرو برويز، ص223 – 224.

وعند اقتراب الجيش الساساني من المدينة شاهد القائد نارسيس وخلافاً لما كان يتوقعه عدد قليل من المدافعين عنها على جدرانها لذلك قرر ان يهاجمها بسرعة ويفوت على المدافعين فرصة وضع خطة للدفاع عنها، وبالفعل وصل المهاجمين بسرعة الى الاسوار ونصبوا السلالم، وبدءوا بالصعود الا انهم ما كادوا يصلون الى الوسط حتى انهالت على رؤوسهم سهام المدافعين والحجارة والماء المغلي[1]، بعد هذه الهزيمة وضع نارسيس خطة جديدة للهجوم تقوم على تهديم الاسوار بالمنجنيق والالات الاخرى المعدة لرمي الاحجار والكرات النارية، الا ان خطته تلك لم يكتب لها النجاح ايضاً، فالى جانب وعورة الطرق التي جعلت حركة تلك الالات صعبة وبطيئة فان الاحجار والالواح النارية التي اطلقها المدافعين كسرتها واحرقتها، فزاد فقدان تلك الالات من اضطراب الجيش الساساني وارباك صفوفه[2]، وظهر واضحاً ان الاستيلاء على المدينة من الامور العسيرة، الا ان عزيمة نارسيس واصراره على اخضاعها كانت اقوى من ان ترد، ولذلك واصل محاصرتها واستعمل مختلف الحيل في تحطيم سورها حتى تمكن من ذلك بعد ثلاثة اشهر[3]، وكان ذلك سنة 607م[4]، وهكذا سقطت مدينة اخرى من المدن البيزنطية بيد الساسانيين.

وبعد وصول الامدادات العسكرية الى القائد البيزنطي المنشق نارسيس من العاصمة طيسفون توجه وجيشه في بداية شهر كانون الاول سنة 607م نحو مدينة ادسا[5] التي ما ان علم حاكمها وهو من اقرباء الامبراطور فوكاس ان الجيش الساساني وضع مدينته نصب عينيه وانه ينوي الهجوم عليها حتى امر عساكره بجمع المؤن من

1- داهيم، خسرو برويز، ص225.
2- المصدر نفسه، ص226 - 227.
3- المصدر نفسه، ص228 - 245.
4- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص268.
5- داهيم، خسرو برويز، ص247.

اطراف المدينة واخذ مواقعهم الدفاعية في اعلى الابراج، ولما اصبح القائد نارسيس على مقربة من المدينة ارسل رسله الى حاكمها يطلب منه حقن الدماء وتسليم مدينته، الا ان ذلك الرسول عاد اليه ليخبره ان المدينة لن تستسلم [1]، عندئذ اصدر القائد نارسيس اوامره بالهجوم السريع على المدينة، وعلى الرغم من السهام والاحجار والميعات الحارة (الماء والزيت المغلي) التي كان يرمي بها المدافعين من اعلى الابراج على المهاجمين الا ان الاخيرين تمكنوا من نصب السلالم العالية والابراج المتحركة على الجدران واوصلوا انفسهم الى اعلى السور، وفي الوقت الذي كانت تجري في اعلى جدران المدينة معركة حامية الوطيس، تمكنت احدى الفرق الساسانية يقودها القائد (مهشاد) من ان تجتاز بمضرب كبير مخصص لهدم الجدران والبوابة والخندق الموجود حول المدينة، واخذت توجه ضرباتها الى البوابة بذلك المضرب المحمول على عربة خشبية مسقفة، وبعد ساعات من القتال تمكن الجيش الساساني من الدخول والاستيلاء على المدينة [2].

ولم تكن المعارك التي خاضها من اجل الاستيلاء على مدينة كرها التي توجه نحوها بداية سنة 608م باقل ضراوة من سابقاتها، الا انه حصل على ما اراد بعد شهرين من محاصرتها [3].

وقد شجعت الانتصارات المتلاحقة تلك الملك الساساني كسرى ابرويز على مواصلة تقدمه في الاستيلاء على الاراضي البيزنطية، فارسل في اواخر تشرين الاول سنة 609م قائده شاهين وبرفقته 38 الف جندي باتجاه ارمينيا بهدف الاستيلاء على اقليم كبدوكيا في اسيا الصغرى [4].

1- داهيم، خسرو برويز، ص248 – 250.
2- المصدر نفسه، ص250 – 255.
3- المصدر نفسه، ص257 – 269.
4- المصدر نفسه، ص271 – 272.

ومـا ان علـم اهالـي مدينـة سـاتالا (Satale)[*][1] باقتـراب القائـد الساسـاني شـاهين وجنـوده مـن مدينتهـم حتـى سـارع حاكمها الـى اغـلاق ابوابها لمنـع الناس مـن الفـرار، واخذ يشـجعهم علـى المقاومـة وتوجه علـى رأس عسـاكره لمواجهتهم خـارج اسـوار المدينـة، الا ان حالة الاضطراب والخـوف وعدم الثقـة بقدراتهم على التغلـب علـى الجيش الساسـاني كان لهـا اثرها في انكسـارهم وفرارهم مـن المعركة التـي جـرت بينهما، فسـارعوا الى التحصن داخـل المدينة [2] التي عدل القائد شـاهين عـن مهاجمتهـا الـى محاصرتهـا وقطـع خطـوط التمويـن عنهـا، حتـى اصـاب اهلها الجـوع والقحـط بحيـث اضطـر حاكمها الـى ان يعـرض عليه لقـاء تركها مبلغـاً كبيراً مـن المـال كغرامـة حربيـة، الا ان الاخيـر اصـر علـى تسـليمه المدينة، ولمـا لم يجد حاكمهـا امامـه من خيـار اخر، ارسـل له رسـله محملين بالهدايـا النفيسـة، واعلنوا له عن فتح ابواب مدينتهم لاستقباله [3].

لـم يمـض شـهر علـى اسـتيلاء القائـد شـاهين علـى مدينة سـاتالا حتـى توجه بجيشـه نحـو مدينـة ثيودوسـيوبوليس التـي مـا ان علـم حاكمهـا البيزنطـي مـا حـل بمدينـة سـاتالا وان الـدور اقتـرب منـه حتـى اقتنـع وبمشـورة قـواده انه لا فائـدة من المقاومـة ولذلـك قـرر تـرك المدينـة مع حاميتـه والفـرار الـى قيصرية عاصمـة اقليم كبدوكيـا، وعندمـا شـاهد اهالـي المدينـة ان الحامية البيزنطيـة تركـت مدينتهم وانهم لا يقـون علـى مقاومـة الجيـش الساسـاني الزاحـف نحوهم، تركـوا ابـواب مدينتهم مفتوحـة، فلمـا اقتـرب القائد الساسـاني شـاهين منهـا خرج لا سـتقباله قائـد الجيش الارمنـي، معلنـا عـن تسـليم مدينته لـه دون قيد او شـرط، امـا القائد شـاهين الذي لم

* لم اتمكن من تحديد موقعها.

1- داهيم، خسرو برويز، ص271.

2- المصدر نفسه، ص272 - 277.

3- المصدر نفسه، ص278 - 279.

يكـن يتصور ان اسـتيلائه على المدينة سـيتم بتلك السـهولة، فقد اكرمـه وعينه حاكماً على المدينة [1].

وبعـد ان خرجـت ارمينيـا مـن قبضـة البيزنطييـن توجـه القائـد الساسـاني شـاهين نحـو مدينـة قيصريـة عاصمـة اقليـم كبدوكيـا، التـي كان يتولـى حكمهـا دومـن تيـول شـقيق الامبراطـور فـوكاس[2]، وكان يراقـب تحـركات شـاهين عـن كثـب ويعـد جيشـه ومدينتـه لمواجهتـه، فجمـع لهـا مـن المـؤن والمـواد الغذائيـة مـا يجعلهـا قـادرة علـى مواجهـة اطـول مـدة مـن الحصـار قـد يفـرض عليهـا، وحشـد للدفـاع عنهـا قرابـة تسـعة عشـر الـف جنـدي [3]، الا ان ذلـك العـدد لـم يحـول دون اسـتيلاء القائـد الساسـاني شـاهين عليهـا بعـد خمسـة عشـر يومـاً مـن المعارك المستمرة وكان ذلك سنة 610م [4].

مما تقدم اعلاه يتبين ان الانتصارات المتلاحقة التي حققها الساسانيون خلال المدة من 602 – 610م وان كانت تعود الى شدة باس قادة الجيش الساساني الا ان الذي اسهم بشكل فاعل في تحقيقها ان الدولة البيزنطية بلغت خلال تلك المدة من الضعف العسكري والارباك الاداري والاقتصادي ما جعلها عاجزة عن مواجهة الضربات التي توالت عليها في الداخل والخارج، ولم يكن الامبراطور فوكاس وكمـا يصفه المؤرخون الغربيون اهلاً للتحديات التي واجهتها الامبراطورية [5]. ولذلك عدو مدة حكمه " كابوساً رهيباً من الفوضى الهدامة والظلم الممزق للدولة " [6]، فما اصاب

1- داهيم، خسرو برويز، ص279 – 281.
2- المصدر نفسه، ص283 – 284.
3- المصدر نفسه، ص288.
4- المصدر نفسه، ص289 – 306.
5- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p.85;
اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص100 – 101.
6- رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص37

الامبراطورية من فوضى واضطراب في الداخل(*) انتقل الى الجيش الذي اخذت قوته تنهار، وساءت روحه المعنوية، وضعف آمله في حرب لم يجني منها الا الخسائر سواء مع السلاف الذين استقروا في كل مكان من شبه جزيرة البلقان او الافار الذين استولوا على مقدونيا ونزلوا بتراقيا [1]، او مع الساسانيين كما تم توضيحه.

الحروب الساسانية ـ البيزنطية (610 ـ 618م)

في الوقت الذي كان فيه الجيش الساساني مشغولاً بتثبيت مركزه في اسيا الصغرى، حدث في الامبراطورية البيزنطية ثورة اطاحت بالامبراطور فوكاس، تزعمها حاكم افريقيا الشمالية هركليوس (Heraclius) بتأييد سكان القسطنطينية الذين ضاقوا ذرعاً بسياسة الامبراطور فوكاس وحكمه الاستبدادي، فارسل اسطولاً بحرياً بقيادة ابنه الذي كان اسمه هركليوس (Heraclius) هرقل (610 - 641م) ايضاً، وصل الى القسطنطينية في الثالث من تشرين الاول سنة 610م، وفي الخامس من تشرين الاول من السنة نفسها وضع حداً لحكم الامبراطور فوكاس وتولى عرش الامبراطورية بدلاً عنه[2] ليبدأ حكم اسرة جديدة هي الاسرة الهرقلية.

---

* بلغت المنازعات الداخلية والحروب الاهلية في عهد الامبراطور فوكاس من الشدة الى درجة جعل الامبراطورية تظهر وكأنها على حافة الانهيار والتفكك، فقد فتح عهده بسلسلة من اعمال القتل وجهت بشكل خاص الى افراد العائلات ذات المكانة والنفوذ خوفاً من معارضتهم ومقاومتهم له، فكانت النتيجة سلسلة من المؤامرات ادت الى مذابح جديدة، كذلك اشتد اضطهاده لاتباع مذهب الطبيعة الواحدة (المونوفيزتيين) ولليهود، وانقلب على حزب الخضر الذين كانوا من مناصريه في بادئ الامر فحرمهم من تولي الوظائف ووقف الى جانبه وسانده في حكمه الاستبدادي حزب الزرق وبذلك زادت حدة الخلاف بين الحزبين الشعبيين (عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص81 - 82؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص113).

1- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p.83،
العريني، الدولة البيزنطية، ص117؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص111.

2- اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص101 - 102؛ رستم، الروم، ج1، ص220 - 221؛
Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p.85

لم يضع ارتقاء هرقل للعرش البيزنطي حداً للمعارك الدائرة مع الساسانيين، وعلى الرغم من ان الامبراطور هرقل كتب الى الملك كسرى ابرويز يعلمه بالقصاص الذي انزله بالامبراطور المغتصب فوكاس، ويؤكد له ان اعادة السلم بين الدولتين بعد زوال مسبب تلك الحرب اصبح ميسوراً، الا ان الملك كسرى ابرويز لم يستجب لطلب الامبراطور، لانه كما يبدو قد اعتزم على القضاء على الدولة البيزنطية بعد ان تبين له ضعفها [1]، ولذلك وجه قائده شهربرز الى بلاد الشام واوعز الى قائده شاهين مواصلة فتوحاته في اسيا الصغرى.

اما الامبراطور هرقل فبعد فشل جهوده في التوصل الى الصلح قرر مواجهة الساسانيين على جبهتين في آن واحد، فارسل الى قيصرية في صيف سنة 611م جيشاً بقيادة بريسكوس نجح في استردادها واجبر القائد شاهين على الانسحاب عنها الى ارمينيا [2]، اما الجيش الاخر الذي ارسله الى بلاد الشام والذي تولى قيادتـــه اخيه ثيودورس (Theodores) فلم يوفق في صد هجمات القائد الساساني شهربرز الذي تمكن في ايار سنة 611م من الاستيلاء على افامية وانتيوخيا [3]، ثم اتجه جنوباً فاستولى على مدينة دمشق سنة 613م [4]، وفي السنة نفسها تمكن القائد شاهين من التوغل في اقليم كيليكيا والاستيلاء على طرسوس [5].

وكانت اقسى الضربات العسكرية التي وجهها الجيش الساساني بقيادة القائد شهربرز الى الدولة البيزنطية هو استيلائه على اورشليم (Jerusalem) (بيت المقدس)

1- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص292؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص265؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص80؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص223؛ خنجي، تاريخ ايران زمين، ص653.

2- Ostrogorsky,History of the Byzantine State, p.95؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص223.

3- Koenigsberger, A History of Europe,p.40؛ داوني، انطاكيا القديمة، ص339؛ الشيخ، الامبراطورية البيزنطية، ص75.

4- Koenigsberger, A History of Europe,p.40

5- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 95.؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص265؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص150.

في 20 أيار سنة 614م[1]، بعد عشرين يوماً من محاصرتها وبمساعدة سكانها من اليهود، وبعد استيلائه عليها حرق وحطم جميع الاماكن المقدسة فيها[2]، وكان عددها 300 كنيسة واديرة[3]، وبعد ان سلب كنائزها، وقتل عدداً كبيراً من سكانها المسيحيين،يقال ان عددهم كان 50 الف[4]، وقيل 60 الف نفس[5]، وقيل 90 الف نفس[6]، والاقرب الى التصديق انه قتل سبعة وخمسين الف نفساً،واسر خمسة وثلاثين الف[7]، من بينهم بطريرك بيت المقدس زكرياس (Zecharias) (زكريـا) ارسلهم مع خشبة الصليب الحقيقية الى عاصمة الدولة الساسانية طيسفون[8].

وخشبة الصليب[*] تعد اهم الرموز الدينية عند المسيحيين [9]، ويروى ان اليهود اغروا القائد شهربرز بهدف تخريب مكان قبر المسيح (عليه السلام) فقالوا له:

1- مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص79 هامش رقم (114)؛ ويرجع المؤرخ عارف العارف تاريخ ذلك الى 14 أيار سنة 614م (المسيحية في القدس، (القدس: مطبعة دير الروم الارثوذكسي، 1951م)، ص217).

2- ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص216 ويسمي القائد الساساني شهربرز بـ(حروزيه)؛ داهيم، خسرو برويز، ص345 - 358؛ Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.195

3- العارف، المسيحية، ص217.

4- Ghrishman ,Iran from... p.306

5- Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.195

6- مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص292؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص103؛ الشيخ، الامبراطورية البيزنطية، ص75؛ العارف، المسيحية، ص217.

7- بتلر، فتح العرب مصر، ص101؛ رستم، الروم، ج1، ص224 نقلاً عن الراهب اليوناني انطيوخوس ستراتيجوس (Antiochus Strategus) وكان شاهد عيان على تلك الاحداث.

8- مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص80؛ ابن البطريق، التاريخ المجموع، ج1، ص216؛ مار ميخائيل، تاريخ، ج2، ص293؛ Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.195

* يسمي المسيحيون تلك الخشبة التي صلب عليها السيد المسيح (عليه السلام) بـ(خشبة الصلبون)، ويروى ان القديسة هيلينا - ام الامبراطور قسطنطين الكبير - عثرت عليه في جبل مريه (Mount Morian) في بيت المقدس، وعلى الرغم من ان بعض اجزائه نقلت الى روما والقسطنطينية من باب التبرك، الا ان الجزء الرئيس منه ظل في بيت المقدس، وقد شيد له الامبراطور قسطنطين الكبير كنيسة كبيرة سميت بكنيسة القيامة او كنيسة الضريح المقدس او القبر المقدس (Holy Sepulchre) (اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص103؛ عاشور، اوربا العصور الوسطى، ج1، ص125).

9- موس، ميلاد العصور الوسطى، ص232؛ Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 95.

"ان ذهب اورشليم كله وفضتها وكنوزها مدفونة تحت قبر يسوع " فاذن لهم بالحفر فحفروا ثلاثة اذرع حول القبر فوجدوا كتابة تقول " هذا هو جرن يوسف(*) المستشار، الذي وهب قبره لجسد يسوع "، فلما عرف القائد شهربرز مكائدهم طردهم شر طردة(**) (1)، وفي رواية اخرى ان القائد شهربرز استعمل اقسى طرق التعذيب مع اسقف بيت المقدس ومن كان بها من القسيسين حتى دلوه على مكان خشبة الصليب، وكانت قد وضعت في تابوت من الذهب في بستان للحقول (2).

ويرجع بعض من المؤرخين السهولة التي مكنت الساسانيين من الاستيلاء على سوريا وفلسطين الى اوضاعها الدينية، فغالبية سكان تلك البلاد ولا سيما سكان سوريا لم يكونوا يدينوا بمذهب الامبراطورية البيزنطية الرسمي، ومن ثم فان الاضطهاد الذي مارسته الاخيرة ضد النساطرة والمونوفيزتيون (اصحاب الطبيعة الواحدة) في تلك الاقاليم كان من نتيجته ان يرحب هؤلاء بالخضوع للساسانيين الذين عرفوا بتسامحهم الديني في بلادهم مع النساطرة (3).

وفي سنة 615م تجددت هجمات الجيش الساساني الذي يقوده القائد شاهين على اسيا الصغرى فاستولى على مدنها الواحدة تلو الاخرى، حتى وصل الى مدينة خلقدونية على الضفة الشرقية من مضيق البوسفور قبالة العاصمة القسطنطينية

---

* جرن يوسف: هو مشير صالح صدّيقٌ من مدينة الرامة في فلسطين (التوراة، العهد الجديد، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت)، انجيل القديس مرقس، الفصل، 15، الاصحاح 43؛ انجيل القديس لوقا، فصل 23، الاصحاح 50).

** يقول المؤرخ (اسد رستم) « كان شهربرز قد حالف اليهود على المسيحيين، فلما تم له ما اراد نفى عن المدينة جميع اليهود (الروم، ج1، ص224).

1- مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص82 – 83.

2- المصدر نفسه، ص80؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص466؛ الثعالبي، غرر السير، ص235.

3- **Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.195.;**

ماسه، هنري واخرون، تمدن ايراني انر جندتن ازخاورشناسان فرانسوى، ترجمة: عيسى بهنام، (طهران: مطبعة بهمن، 1337هـ/ 1958م)، ص190.

فحاصرها [1]، ولما شعر الامبراطور هرقل باقتراب الخطر من عاصمته ارسل رسله الى الملك كسرى ابرويز طالباً الصلح ومعلنا عن استعداده على التنازل عن ارمينيا ومدن الجزيرة بما فيها مدينة دارا، الا ان الاخير لم يرفض طلبه وحسب، بل امر بحبس رسله، وارسل الى قائده شاهين مهدداً اياه بالقتل اذا لم يحضر الامبراطور نفسه مقيداً بالاغلال امامه [2]، فاستجاب القائد شاهين لاوامر الملك واستمر في مواصلة حصاره لمدينة خلقدونية حتى تمكن من الاستيلاء عليها سنة 617م [3].

لم يكن الساسانيين الخطر الوحيد الذي هدد القسطنطينية والذي كان على الامبراطور هرقل تركيز جهوده لمواجهته،ففي السنة نفسها أي سنة 617م،هاجم السلاف والافار نواحيها الشمالية وعاثوا بها خراباً وفساداً، حتى ان الامبراطور نفسه كاد ان يذهب ضحية مؤامرة دبرها ضده الافاريون في اثناء اجتماعــه مــع رئيسهم للتفاوض في هركلية (Heraclea) (هرقلة)[4]* في تموز 617م [5].

وفيما يتعلق بالقسم الاخر من الجيش الساساني أي الجيش الذي يقوده شهربرز فانه بعد استيلائه على بيت المقدس توجه الى مصر للاستيلاء على مدينة الاسكندرية لاهميتها التجارية، وكانت الى جانب احاطتها بمياه النيل من ثلاث جهات، لها اسوار وابواب حصينة بحيث تعذر على القائد شهربرز فتحها بعد شهر من محاصرتها [6]،

1- Ostrogorsky, History of the Byzantine State,p.95؛ عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص86.

2- داهيم، خسرو برويز، ص384 - 389؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص669؛ رازي، تاريخ مفصل، ص81؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص80.

3- Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.196؛ زرين كوب، روزكاران، ص248؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص273؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص104.

4- * هركلية (هرقلة): مدينة تركية تقع جنوب شرق قونية، اسمها في الوقت الحاضر ارغلي (معلوف، المنجد، ص38).

5- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 95؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص104 - 105؛ موس، ميلاد العصور الوسطى، ص232؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص119.

6- داهيم، خسرو برويز، ص361 - 364.

فقرر تركها الا انه عدل عن رأيه بعد أن أخبره احد المسيحيين من سكان المدينة اسمه بطرس " إني اسلم المدينة لك " وكان بطرس هذا قد عثر في خزانة الوثائق في المدينة، على كتابة في ذيل كتاب تقول " عندما يقوم الضيق على الاسكندرية فسيتم فتحها من الباب الغربي المواجه للبحر " [1]، وهذا الباب كان مفتوحاً دائماً،اذ كانت تدخل منه الى المدينة السفن القادمة بتجارتها من البحر كما تدخل منه زوارق صيد السمك التي تأتي بما تحمل كل يوم الى المدينة [2]، فجمع القائد شهربرز عدد من قوارب الصيادين وجعل فيها الجند بعد ان تنكروا باللباس صيادي السمك، وفي الصباح الباكر والظلائم قائم اختلطوا مع قوارب الصيادين الحقيقية ودخلوا معهم الى المدينة، فقتلوا حراس الابواب وفتحوها بوجه رفاقهم معلنين من اعلى السور انتصار القائد شهربرز واستيلائه على المدينة [3]. وهذا يعني ان الخيانة هي التي مكنت الساسانيين من استيلاء على المدينة.

اما تاريخ ذلك الاستيلاء فان المصادر تؤكد انه حصل في السنة الثامنة والعشرين من حكم الملك كسرى ابرويز أي سنة 618م [4].

كان فقدان مصر كارثة بالنسبة للامبراطورية البيزنطية زادت من تدهور احوالها الاقتصادي ولا سيما في العاصمة، اذ انقطع عنها المصدر الرئيس الذي كان يمونها بالقمح [5].

وهكذا فان الامبراطور هرقل بعد ان خسر ارمينيا وما وراءها وهي اخصب البقاع بالرجال لتعبئة الجيش، وخسر مصر وهي مركز تموين العاصمة، واضاع المدينة

1- مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص81.
2- بتلر، فتح العرب مصر، ص116.
3- مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص81؛ بتلر، المصدر نفسه، ص117.
4- الطبري، تاريخ، ج1، ص466؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص148؛ الثعالبي، غرر السير، ص701.
5- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 95؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص119.

المقدسة وخشبة الصليب الرمز الديني للمسيحيين، وبعد ان اصبح البلقان مسرحاً لهجمات الافار والسلاف، لم يبق والحال هذه من جميع بلدان الامبراطورية بلد يمكن اللجؤ اليه والاحتماء به سوى افريقية [1]، ولذلك حاول الامبراطور الهروب اليها بحراً من عاصمته القسطنطينية، الا ان بطريرك العاصمة سرجيوس منعه من ذلك ووعده بتأييده بكل نفوذ الكنيسة ومده بكل اموالها لشن حرب دينية ضد الساسانيين[2].

وتجمع المصادر على ان السفن التي ساقتها الرياح الى صفوف الساسانيين في اثناء محاصرتهم للاسكندرية وكانت محملة بنفائس المملكة وخزائنها وذخائرها، تعود الى الامبراطور هرقل الذي حاول الهرب قبل ان يستولي الساسانيين على القسطنطينية، وقد استولى عليها القائد شهربرز واوصلها مع مفتاح مدينة الاسكندرية الى الملك كسرى ابرويز في العاصمة طيسفون، وقد سميت تلك الكنوز بـ (كنج باد آورد) أي (فيء الرياح) [3].

1- رستم، الروم، ج1، ص225.

2- Lindsay , Byzantium in to Europe,p.78؛ رستم، المصدر نفسه، ج1، ص225؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص80 – 81.

3- مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص82؛ ابن قتيبة، المعارف، ص665؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص245؛ الثعالبي، غرر السير، ص701؛ كرستنسن، ايران ص447.

الحروب الساسانية ـ البيزنطية (618 ـ 628م)

بعد ان اعلنت الكنيسة وقوفها الى جانب الامبراطور هرقل واعطت للحروب التي يقوم بها صفة القدسية الدينية، وبعد الاهانة التي تلقائها من الملك كسرى ابرويز في خطابه الذي ارسله اليه متفاخراً بما حققه من الانتصارات واقتراب جيشه من عاصمة بيزنطية القسطنطينية التي جاء فيها: " من كسرى اعظم الالهة وسيد العالم كله الى هرقل عبده الفاجر وعديم الاحساس،....، انك تقول انك تثق في الهك، فلماذا اذن لم يخلص من يدي قيسارية وبيت المقدس والاسكندرية؟ وها انا ساخرب القسطنطينية ايضاً؟ على انني ساغفر لك جميع ذنوبك اذا قدمت الي ومعك زوجتك واطفالك وسامنحك الاراضي والكروم وعروش الزيتون، وسانظر اليك نظرة رحيمة، لا تغش نفسك باملك الخائب في ذلك المسيح الذي لم يستطيع حتى ان ينقذ نفسه من اليهود الذين قتلوه وصلبوه "[1].

عندئذ قرر الامبراطور هرقل تولي قيادة الجيش البيزنطي بنفسه[*] والسير به لمحاربة الساسانيين وقبل بدء هذه الحروب التي عدها المؤرخون اول الحروب الصليبية، لانها هدفها استرداد الصليب المقدس وانقاذ الارض المقدسة

1- اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص103؛ هسي، العالم البيزنطي، ص66 – 67؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص668.

* منذ موت الامبراطور ثيودوسيوس الاول سنة 395م لم يخرج احد من الاباطرة البيزنطيين بنفسه الى ميدان القتال ما عدا الامبراطور موريس

(Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 100)

(اورشليم)[1]، عقد الامبراطور هرقل سنة 619م صلح مع قبائل الافار الخطر الثاني الذي كان يهدد القسطنطينية، قبل بمقتضاه ان يدفع لهم مقدار كبيراً من المال، وقد مكنه ذلك الصلح من نقل قواته من اوربا الى اسيا من دون ان يعوقها عائق [2].

وفي الخامس من نيسان سنة 622م خرج الامبراطور هرقل من القسطنطينية باتجاه اسيا الصغرى حيث قضى فيها شهور فصل الصيف يدرب جنوده وينظم دفاعاتهم ويضع خطط حربية جديدة، وفي الخريف من السنة ذاتها اعلن بدأ حملته العسكرية ضد الساسانيين[3]، وبدلًا من ان يهاجم الجيش الساساني المرابط في خلقدونية، سار بحراً ونزل في مدينة ايسوس الواقعة في الركن الشمالي الشرقي من بلاد الشام ومن خلالها يمكن الدخول من بلاد الشام الى اسيا الصغرى، فلما سمع الساسانيون بذلك توجه للقائه القائد شهربرز، وحتى لا يضطر الامبراطور هرقل الى خوض الحرب في خليج ايسوس الضيق توجه نحو كيليكيا (ارمينيا الصغرى) الواقعة بين البحر المتوسط وجبال طوروس فتبعه القائد الساساني شهربرز الى هناك، ودارت بين الطرفين معركة قوية شارك فيها الجيش الارمني الى جانب الامبراطور هرقل فتمكنا من هزيمة القائد الساساني شهربرز، وبذلك حقق الامبراطور هرقل اول اهدافه وهو تحرير او تخليص اسيا الصغرى من الساسانيين [4].

1- **Lindsay, Byzantium in to Europe,p.78;**
Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.196.;
اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص105؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص37؛ موس، ميلاد العصور الوسطى، ص233؛ عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص88؛ ويسميها المؤرخ (حافظ) الحرب الصليبية البيزنطية، (تاريخ الشعب الارمني، ص80).

2- **Ostrogorsky,History of the Byzantine State, p.100**؛ الشيخ، الامبراطورية البيزنطية، ص79.

3- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 101**؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص124؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص105؛ موس، ميلاد العصور الوسطى، ص234.

4- داهيم، خسرو برويز، ص405 - 419؛ **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 101**؛ اومان، الامبراطورية البيزنطية، ص105؛ موس، ميلاد العصور الوسطى، ص234.

وعلى الرغم من ذلك الانتصار فان الامبراطور لم يتمكن من مواصلة تقدمه العسكري فاضطر الى العودة الى القسطنطينية، لان الافار استغلوا فرصة غيابه ونقضوا الصلح المعقود بينهما، وقبل رحيله الى القسطنطينية حاول الامبراطور عقد الصلح مع الملك كسرى ابرويز كي يتمكن من التفرغ لمواجهة اعدائه في جهة الغرب، الا ان الاخير على الرغم من خسارته رفض قبول الصلح، وارسل له كتاباً طفح بالشتائم والاهانات [1]، يقول فيه " من كسرى محبوب الالهة، ملك وسيد كل الارض،...، الى هرقل خادمنا الاحمق الحقير، ان دولة الروم من املاك كسرى، وما امبراطورها الا احد العصاة والعبيد الآبقين، وان كسرى لن يمنحه السلام حتـى يترك عبادة الصليب ويعبد الشمس " [2].

قرر الامبراطور هرقل رد تلك الاهانة، بشراء صلح جديد مع الافار بزيادة مقدار الضريبة التي كانت تدفع لهم وبارساله عدد من اقاربه كرهائن عند خاقانهم[3]، وبذلك اصبح في موقف يسمح له باستئناف الحرب مع الساسانيين، فتوجه في اذار سنة 623م الى اسيا الصغرى مرة اخرى فاجتاز قيصرية عاصمة كبدوكيا متجهاً الى ارمينيا، فاستولى على ثيودوسيوبوليس ودمر مدينة دوين عاصمة ارمينيا الساسانية، وعدد من المدن الارمنية، ثم اتجه جنوباً الى اقليم اتروباتين قاصداً مدينة جنزك بهدف تخريب اهم معابد النار[4]* فيها [5]، وقد ذعر الملك كسرى ابرويز لسماع ذلك، ولان قادته كانوا

1- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 101.**

2- بتلر، فتح العرب لمصر، ص156؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص153؛ العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص72؛ الحديثي، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، ص312.

3- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 101**؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص152.

4-

* يسمى هذا المعبد بـ (بيت او معبد نار آذر كشنسب) أي النار الملكية (كرستنسن، ايران، ص156)؛ ويسميه ابن خرداذبة بـ (آذر جُشْنَس) وقال عنه « هو عظيم القدر عند المجوس، كان اذا ملك منهم الملك زاره من المدائن ماشياً » (المسالك والممالك، ص106).

5- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 102**؛ كرستنسن، ايران، ص431؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص80.

متفرقين في مناطق مختلفة، قرر التوجه بنفسه الى مدينة جنزك مع جيش مكون من اربعين الف جندي، ولعدم قدرته على خوض غمار الحرب عهد بقيادة ذلك الجيش الى القائد العام للجيش الساساني الذي لم تذكر المصادر اسمه، وبعد ان دارت المعركة بين الطرفين وتبين للملك كسرى ابرويز كثرة القتلى من جنده وان النتيجة ستحسم لصالح البيزنطيين سارع الى الفرار من المدينة حاملاً شعلة ناره المقدسة، اما الامبراطور هرقل فقد تمكن في السنة نفسها من الاستيلاء على المدينة وخرب معبدها انتقاماً مما فعله الساسانيين ببيت المقدس [1].

وقد وقع في يد الامبراطور هرقل عدد كبير من الاسرى عاد بهم الى ارمينيا ليقضي فصل الشتاء[2]، حيث شغل نفسه بتجنيد القبائل القفقاسية من اللازيكيين والايبريين[3]، وعلى الرغم من الغارات الموفقة التي وجهها للجيش الساساني خلال السنتين 624 و 625م في اقليم كيليكيا، الا انه لم يتمكن من اجتياز الاراضي الساسانية واضطر الى الانسحاب شمالاً ليقضي فيه شتاء سنة 625م [4].

يبدو ان انسحاب الامبراطور هرقل قوى من معنويات الملك كسرى ابرويز فصمم سنة 626م على حشد قواه جميعها لمهاجمة بيزنطة والاستيلاء على عاصمتها القسطنطينية، وكانت خطته تقوم على تقسيم جيشه على قسمين الاول يقوده القائد شهربرز ليعمل على مشاغلة الامبراطور واستيقافه في ارمينيا،في حين يقوم القسم الاخر الذي تولى قيادته القائد شاهين بمهاجمة القسطنطينية، وبالتعاون مع الافار

1- داهيم، خسرو برويز، ص421 – 434؛ سايكس، تاريخ ايران، ص671؛
Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 102;
خنجي، تاريخ ايران زمين، ص658؛ كرستنسن، المصدر نفسه، ص431؛ ماسه واخرون، تمدن ايراني، ص191.

2- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 102;**
العريني، الدولة البيزنطية، ص125؛ عبد العزيز، دراسات، ج1، ص153.

3- موس، ميلاد العصور الوسطى، ص234.

4- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 102.**

الذين نقضوا الصلح مع الامبراطور هرقل بتحريض من الملك كسرى ابرويز، سيقومون بمهاجمتها من جهة الشمال [1].

وما ان علم الامبراطور هرقل بتلك الخطة عن طريق جواسيسه [2]، حتى ارسل الى القسطنطينية قسم من جيشه بقيادة اخيه ثيودورس (Theodores) واوكل اليه مهمة الدفاع عنها بالتعاون مع بطريقها سرجيوس،في حين تمسك هو بارمينيا[3].

اجتاز القائد الساسانيين شاهين اسيا الصغرى بجيش كبير وتمكن من الاستيلاء على خلقدونية، واقام معسكره على البوسفور، وبعد ذلك بمدة قصيرة حاصر خاقان الافار بجموع كبيرة من الافار والسلاف العاصمة براً وبحراً، وعلى الرغم من ان الحصار استمر ثلاثة اشهر من شهر حزيران حتى اب سنة 626م، الا ان المدينة صمدت وذلك بفضل الدور الذي أداه البطريرك سرجيوس في اثارة الحماس الديني في نفوس سكان العاصمة، وشجاعة حاميتها، وقوة اسطولها البحري [4]، اذ تمكن الاسطول البيزنطي من الحاق الهزيمة بالسفن الساسانية التي ابحرت باتجاه القسطنطينية لمساعدة الافاريين وقتل ما يقارب 4000 الف رجل منهم [5]، كما الحق هزيمة اخرى بالاسطول السلافي، وقد ساعد انكسار الافاريين في المعارك البرية على فشل الهجوم الساساني الذي ما لبث ان لحقت بقائده شاهين الهزيمة على يد ثيودورس شقيق الامبراطور [6].

1- **Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.197;**

سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص673؛ موس، ميلاد العصور الوسطى، ص234.

2- **خنجي، تاريخ ايران زمين، ص658.**

3- **موس، ميلاد العصور الوسطى، ص234.**

4- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 102;**

عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص91؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص126 – 127.

5- **بتلر، فتح العرب مصر، ص158؛ رستم، الروم، ج1، ص235.**

6- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 102 ويجعل القائد شاهين مساعد للقائد شهربرز فيذكر ان القائد شهربرز بعد هزيمة الافاريين انسحب بقسم من الجيش من خلقدونية الى سوريا (Ibid,p.103)؛ عاقل، الامبراطورية البيزنطية، ص91؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص126 – 127.**

وقد اساء الملك كسرى ابرويز الظن بقائده واتهمه بالخيانة والتواطؤ مع الامبراطور هرقل، ويذكر ان القائد شاهين مالبث ان مات بعد هذه الهزيمة كمداً وخوفاً من غضب الملك[1].

وفي الوقت الذي كانت فيه العاصمة القسطنطينية تواجه محنة الحصار كان الامبراطور هرقل مرابطاً مع جيشه في اقليم لازيكا، ونجح في عقد تحالف مع الخزر الذين كانت دولتهم تتمركز في شمال القفقاس لمحاربة الساسانيين وطردهم من اقليم ما وراء القفقاس، وبالفعل في سنة 627م حارب الخزريين الساسانيين في ارض القفقاس[2]، فاستولوا على مدينة دربند (باب الابواب)(*) وبردعة(**) ثم حاصـروا تفليس عاصمة اقليم ايبريا واستولوا عليها، في الوقت الذي اجتاز فيه الامبراطـور هرقل ارمينيا بعد تغلبه على القائد الساساني راهزار، واتجه مجدداً نحو اتروباتين فاستولى على مدينة جنزك وبعد ذلك انحدر الى وادي نهر دجلة [3].

وتجمع المصادر على ان الملك كسرى ابرويز قد ترك العاصمة طيسفون واتخذ من دستكرد(***) [4] الواقعة على بعد 107 كم الى الشمال الشرقي منها مقراً له وذلك منذ

1- سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص673؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص274؛ خنجي، تاريخ ايران زمين، ص658.

2- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 103؛ كرستنسن، ايران، ص431.

* دربند: يسميها العرب باب الابواب، تقع على ساحل بحر قزوين وهي الحد بين الدولة الساسانية وبين مملكة الخزر، اشتهرت بصناعة ثياب الكتان (الاصطخري، مسالك الممالك، ص184؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص390 - 391)

** بردعة، او برذعة، هي قصبة اقليم الران الواقع شمال نهر الرس، وتقع على بعد ثلاث فراسخ من نهر الكر (الاصخري، مسالك الممالك، ص182 - 183؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1، ص182).

3- حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص81؛ طه، فتح العرب ارمينية، ص43.

*** دستكرد: يسميها ابن خرداذبة (دست كرد) (المسالك والممالك، ص40)، اما بقية الجغرافيون والمؤرخون العرب فيسمونها دسكرة الملك او دستجرد خسرو، وقالوا عنها انها قرية في طريق خراسان قريبة من شهربان (المقدادية)، وسميت دسكرة الملك لان هرمز بن سابور بن اردشير كان يكثر النزول بها (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص455؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج2، ص527) ولا تزال خرائبها المعروفة بـ (اسكي بغداد) ظاهرة للعيان في الطريق بين بعقوبة وخانقين بالقرب من شهربان (نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص316 هامش رقم (4)؛ لويد، الرافدان، ص182).

4- الطبري، تاريخ، ج1، ص467؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص149؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص305.

سنة 604م لامور كان يتطير منها[1]، ولما بلغه ان الامبراطور هرقل وصل الى نيسيبيس امر قائده راهزار ان يرابط في اثنى عشر الف جندي في مدينة نينوى[*] ويمنع الجيش البيزنطي من تجاوزها، ونفذ الاخير ما امر به الملك الا انه بعد ان علم من عيونه ان عدد الجيش البيزنطي يصل الى سبعين الف جندي ايقن انه ومن معه عاجز عن مقاومته، وكتب الى الملك كسرى ابرويز يقول له " غير مـرة دَهم هرقل اياه بمن لا طاقة له ومن معه بهم، ولكثرتهم وحسن عدتهم " فكان جواب الملك له " ان عجز عن الروم فلن يعجز عن استقتالهم وبذل دمائهم في طاعته " [2]، وفي الثاني عشر من شهر كانون الاول سنة 627م كان الامبراطور هرقل على رأس جنده امام نينوى[3]، فنشبت بين الطرفين معركة حاسمة قتل فيها القائد الساساني راهزار وستة الاف من جنوده [4]، وما ان بلغ الملك كسرى ابرويز ما آلت اليه نتيجة المعركة حتى استولى عليه الخوف فسارع الى الهرب من دستكرد الى طيسفون[5]، مع زوجته شيرين وابنين منها وثلاثة ازواج من بناته من ثغره في السور[6]، ويروي صاحب كتاب (التاريخ الصغير)[7] " ان الملك كسرى ابرويز عندما استعد للهرب من دستكرد سمع رنين ناقوس فارتعش

1- كرستنسن، ايران، ص437 – 438؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص673؛ ملايري، محمد محمدي، تاريخ وفرهنك ايران در دوران انتقال از عصر ساساني به عصر اسلامي، جاب دوم، (تهران: انتشارات توس، 1379هـ)، ج1، ص264.

* نينوى: تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة بمسافة كيلو متر عن الموصل (باقر وسفر، المرشد، الرحلة الثالثة، ص24).

2- الطبري، تاريخ، ج1، ص467؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص149؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص305.

3- رستم، الروم، ج1، ص227؛ سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص673؛ ويجعل (Ostrogorsky) تاريخ المعركة مع بداية شهر ايلول سنة 627م History of the Byzantine State,p.103.

4- الطبري، تاريخ، ج1، ص467؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص149.

5- الطبري، المصدر نفسه، ج1، ص467؛ مسكويه، المصدر نفسه، ج1، ص149؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص305.

6- الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص249؛ لويد، الرافدان، ص183 – 184.

7- مؤلف مجهول، ص84 – 85؛ ابونا، تاريخ الكنيسة، ج1، ص153؛ كرستنسن، ايران، ص473.

جداً،... فقالت له زوجته شيرين، لا تخف ايها الاله، فاجابها: أي اله انا، وها هو ذا قس واحد يطاردني، ثم اقسم اذا ما انتصر فانه لن يترك كنيسة قائمة ولا ناقوساً رناناً في طول المملكة وعرضها، فلقد اثار رنين الناقوس في نفسه خوفاً وفزعاً بحيث انه اعتقد ان البيزنطيين يحملون معهم ناقوساً ".

واصل الامبراطور هرقل تقدمه فاستولى في بداية سنة 628م على مدينة دستكرد واستحوذ على كنوزها الملكية [1]،ومن بينها 300 علم بيزنطي كل منها يدل على معركة معينة هزم فيها البيزنطيين كما اطلق سراح الوف من الاسرى البيزنطيين [2].

القى الملك كسرى ابرويز مسؤولية هزيمته في دستكرد على عاتق قواده فكتب اليهم يتوعدهم بالعقاب، وكتب الى قائده شهربرز يامره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك [3]، الا ان الاخير بعد ان ايقن من نية كسرى ابرويز في قتله من خلال ثلاثة كتب[*] كان قد ارسلها اليه، امتنع عن الحضور وصالح الامبراطور هرقل واتفق معه على محاربته، ورسم له طريق الوصول الى النهروان [4]، ثم ان الامبراطور هرقل بعد ان استوثق منه سار حتى قارب العاصمة طيسفون [5]، فلما بلغ الملك كسرى ابرويز الخبر ضاق به ذرعه، واضطرب عليه امره، فعمد الى الحيلة " فكتب كتاباً الى قائده شهربرز يشكره فيه ويحمده ويصف دهاءه ومكره ويقول فيه، انك بعد ان اجتررت قيصر،

1- **Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 103;**

خنجي، تاريخ ايران زمين، ص659؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص266.

2- **رستم، الروم، ج1، ص227؛ كرستنسن، ايران، ص451؛ ملايري، تاريخ فرهنك ايران، ج1، ص264.**

3- **الطبري، تاريخ، ج1، ص467؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص248؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص150؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص305.**

* **لتفصيل عن مضمون تلك الكتب ينظر: الجاحظ، التاج في اخلاق الملوك، تحقيق: احمد زكي باشا، (ايران: مطبعة فروردين، 1914م)، ص180 - 181.**

4- **الجاحظ، التاج، ص181 - 182؛ الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص247 ويسمي القائد شهربرز بـ (جُراز).**

5- **الطبري، تاريخ، ج1، ص467؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص150.**

واستخرجته من بلاده فالزم مكانك، فاني واصل على الاثر، فاذا وصلت بعساكري نهضت من ذلك الجانب فيصير قيصر بيننا فنحيط به وبمن معه فلا يفلت منهم احد"[1]، ثم حمل ذلك الكتاب لرجل من ثقاته، واوصاه بان يسلك طريق يقبض فيه عليه جنود الامبراطور، فاذا ما قرأ الامبراطور ذلك الكتاب وسأله عن حاله، يخبره بانه رسول الملك كسرى ابرويز الى قائده شهربرز[*]، فخرج الرجل ونفذ ما امر به الملك، فلما وقف الامبراطور على ذلك الكتاب ظن ان القائد شهربرز قد خدعه ومكر به ولذلك فضل الانسحاب والعودة الى بلاده [2].

وتذكر المصادر انه انسحب الى مدينة جنزك في الحادي عشر من اذار سنة628م[3].

اما الملك كسرى ابرويز فانه وبعد ان تخلص من خطر الامبراطور امر زاذان فروخ وكان رئيس الحرس في بابه الخاص - أي رئيس الحجاب - بقتل كل من كان في السجن،وكانوا ستة وثلاثين الف، وكذلك جميع القادة الذين انهزموا في معاركه مع البيزنطيين[4]، ويبدو ان زاذان فروخ كان شأنه شأن عامة الناس ساخطاً على تصرفات الملك،ولذلك اتفق مع اولئك القادة ومع قائد اخر يسمى تخوار[*] كان قد وصل الى العاصمة بجنوده[5]، فضلًا عن القائد شهربرز الذي زاد حنقاً عليه بعد ان تبين له انه قد

1- الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص247.

* يذكر (ابن الاثير) ان القائد شهربرز كان في ذلك الوقت في بلاد الشام (الكامل، ج1، ص305).

2- الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص247 - 248 وقد ذكر تلك الحيلة بتفاصيل فيها بعض الاختلاف الجاحظ، التاج، ص182 - 183؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص305 - 306.

3- رستم، الروم، ج1، ص227؛ يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص519؛ حافظ، تاريخ الشعب الارمني، ص81.

4- الطبري، تاريخ، ج1، ص485؛ ابن الاثير، الكامل، ج1، ص315.

* تخوار: هو قائد اقليم بلخ وكان قد قدم مع جيش خراسان الى العاصمة طيسفون (خنجي، تاريخ ايران زمين، ص660).

5- الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص248 - 249.

ارسل احد قادته لقتله[1]،على خلع كسرى ابرويز الذي كان بقصره، فحاول الهرب الى بستان قريب لكنهم ظفروا به والقوه في السجن[*]، ثم قتلوه بعد ذلك، وملكوا ابنه قباذ الثاني (شيرويه) (Kavadh II) (628 - 629م)[**] [2] وكان ذلك في 25 شباط 628م [3].

الذي يظهر لنا ان حروب كسرى ابرويز مع البيزنطيين خلال مدة الستة والعشرين سنة (602 - 628م) وان جعلت حلم اعادة حدود الدولة الساسانية الى ما كانت عليه في عهد الامبراطورية الاخمينية حقيقة، الا انها لم تكن ان جاز لنا التعبير الا صحوة موت شأنها في ذلك شأن اعادة وحدة الامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور جستنيان (518 - 527م)، وان ما حققه الملك ابرويز من انتصارات سريعة ومتعاقبة لم يكن بفضل جدارته وشجاعته، فلم نجده يعرض نفسه للخطر ويقود الجيش في أي من الحروب التي امتلأ بها حكمه، وان هروبه الى الامبراطور موريس اثناء ثورة القائد بهرام جوبين، ثم هروبه من مدينة جنزك ومن قصره في دستكرد بعد معركة نينوى دليلاً قاطعاً على عدم شجاعته، وان ما تحقق له من الانتصارات انما كانت نتيجة لخبرة

1- الطبري، تاريخ، ج1، ص468؛ مسكويه، تجارب الامم، ج1، ص151؛ كرستنسن، ايران، ص474.

* بحسب ما تذكره الروايات ان قباذ (شيرويه) ابن الملك كسرى ابرويز من ماريا ابنة الامبراطور موريس كان على علم بتلك المؤامرة وانه قبل بقتل والده بعد مدة من حبسه، لانه اراد ان يولي اخيه الصغير مردانشاه من زوجته شيرين بدلاً عنه (يارشاطر واخرون، تاريخ ايران، مج3، ق1، ص267؛ رازي، تاريخ مفصل، ص83 - 84؛ كرستنسن، ايران، ص475 - 476؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص275 - 276؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص111).

** وهناك مصادر اخرى تختلف بعض الشيء في رواية تفاصيل خلع كسرى ابرويز ومقتله. (ينظر: مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص85 - 86؛ ابونا، تاريخ الكنيسة، ج1، ص 153 - 155؛ كرستنسن، ايران، ص475 - 476).

2- الاصمعي، نهاية الارب، ورقة 508 - 509؛ اليعقوبي، تاريخ، ج1، 149 - 150.

3- الفردوسي، الشاهنامة، ج2، ص249 هامش (أ)؛ نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص378 هامش رقم (5)؛ بتلر، فتح العرب مصر، ص162؛ ويحدد الاستاذ (رستم) تاريخ ذلك في 28 شباط 628م (الروم، ج1، ص227).

الجيش الساساني ومرانه في عهود الملوك السابقين له وبشكل خاص للاصلاحات التي قام بها الملك كسرى انوشروان في شؤون الجيش[*]، وكذلك بفضل خبرة قائديه الحربية شاهين وشهربرز، الا ان كسرى ابرويز لم يدرك تلك الامور بسبب غروره وتكبره، فحروبه المستمرة قضت على جيشه المدرب، وعدم اعترافه بفضل قواده وتهديدهم بالعقوبة دفعهم الى التخلي عن الاخلاص له ومن ثم الى الانقلاب عليه وخلعه، وبالاجمال فان نتيجة تلك الحروب كانت وبالاً على الدولة اذ اضعفتها الى الحد الذي جرها الى التدهور والانهيار بسرعة.

وما ان تولى الملك قباذ الثاني (628 – 629م) عرش البلاد حتى وضعت الحرب الساسانية البيزنطية اوزارها اذ كتب الى الامبراطور هرقل بطلب الصلح[1]، ولم يتردد الاخير في قبوله، ويبدو ان سبب ذلك الى جانب حالة التعب والانهاك الذي اصابه وجيشه في حربه الدفاعية التي استمرت قرابة ست سنوات (622 – 628م)، وحاجته الى مدة من السلام يسترد فيها الانفاس ويعيد تنظيم الاحوال، فقد وجد في طلب الملك قباذ الثاني فرصته في فرض شروطه التي تعيد الى الامبراطورية هيبتها العسكرية والدينية.

وفي السادس من نيسان سنة 628م في انتيوخيا[2]، وقع رسول الملك قباذ القائد العام للجيش (اسفاد جشنس)[**] على شروط الصلح التي املأها عليه رسول الامبراطور هرقل[3]، والمتضمنة على ما يأتي:

* للتفصيل عن تلك الاصلاحات ينظر: كرستنسن، ايران، ص352 – 355.

1 – رستم، الروم، ج1، ص 227؛ خنجي، تاريخ ايران زمين، ص663.

2 – خنجي، تاريخ ايران زمين، ص663.

** اسفاد جشنس، ويقول عنه (الطبري) هو رجل من مدينة اردشير خرة (جور) مرتبته رئيس كتيبة (تاريخ، ج1، ص486).

3 – نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص383 هامش رقم (4)؛ كرستنسن، ايران، ص475.

1. اعادة حدود الطرفين الى ما كانت عليه قبل الحرب أي الى اتفاقية سنة 591م التي بموجبها اعيدت كل الاقاليم التي استولى عليها الساسانيين وهي (ارمينيا ومدن الجزيرة وبلاد الشام ومصر).
2. اطلاق سراح الاسرى الذين وقعوا في اسر كلا الطرفين.
3. اعادة الصليب المقدس الذي اخذه الساسانيون من بيت المقدس [1].

وبابرام ذلك الصلح انتهت الحروب الساسانية البيزنطية الى الابد، وعاد الامبراطور هرقل الى القسطنطينية ظافراً بعد غياب استمر ست سنوات، وقد استقبله على شواطئ اسيا الصغرى ابنه قسطنطين والبطريرك سرجيوس واخيه ثيودروس، ورجال الدين، وعامة الناس وهم يحملون اغصان الزيتون والشموع الموقدة، وينشدون ترانيم الكنيسة التي تعبر عن فرحة النصر [2].

وقد اشار القرآن الكريم الى الحروب التي دارت بين الساسانيين والبيزنطيين ونبأ بانتصار البيزنطيين في قوله تعالى ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [3] اما عودة الصليب الى بيت المقدس فان المصادر التي نقلت عن المؤرخ الارمني (ثيوفانس) تذكر ان الامبراطور هرقل احتفل بذلك في 21 اذار سنة 630م [4]، الا ان المؤرخ (نولدكه) يستبعد ان تكون سنة 630م السنة التي اعيد بها الامبراطور هرقل الصليب الى مكانه، ويحدد تاريخ ذلك

1- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p.103;
سايكس، تاريخ ايران، ج1، ص677؛ ملايري، تاريخ فرهنك ايران، ج1، ص296؛ رستم، الروم، ج1، ص227؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص127 – 128.

2- Ostrogorsky, History of the Byzantine State,p. 103;
العريني، الدولة البيزنطية، ص128.

3- سورة الروم، الايتان 2 – 3.

4- Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 104؛
رستم، الروم، ج1، ص228.

بسـنة 629م [1]، ودليلـه فـي ذلـك روايـة انفـرد بذكرها (الاصفهانـي) [2] جـاء فيها، ان زعيـم مكـة ابي سـفيان خرج بعـد صلح الحديبيـة علـى راس قافلة تجارية الى الشـام (غـزة)، فشـاهد الامبراطور هرقـل خارجاً من مدينـة حمص حاملاً الصليب وماشـياً علـى قدميـه الى بيـت المقـدس وقد بسـطت له البسـط ونثرت عليـه الرياحيـن، وقد ناقـش المـؤرخ (نولدكـه) [3] تلـك الروايـة فذكـر ان رحلة ابـو سـفيان التجارية كانت بعـد صلـح الحديبية وقبـل فتح مكة الـذي يصادف سـنة 630م لانه بفتـح مكة انتهت تجارتـه وتجـارة مكـة وبنـاءً على ذلك فـان وجوده فـي فلسـطين كان اما سـنة 628م او 629م وهـي الارجـح، وقـد عـد المؤرخـون هـذه الحـرب اول حرب مقدسـة قام بها العالم المسيحي [4].

وفيما يتعلق بالدولة الساسانية فانها بعد عقد ذلك الصلح اضطربت امورها وانغرست في ارضها بذور حرب اهلية دائمة غذتها الاطماع المادية والطموحات الزعامية، فصار القواد والاعيان يعزلون ملكاً وينصبون اخر، وينتصرون لهذا من ذاك، فخلال المدة الفاصلة بين موت الملك كسرى ابرويز وبين مجيء اخر ملوك الساسانيين يزدجرد الثالث (632 – 651م) تناوب على العرش 12 ملكاً [5]، لم يظهر من بينهم من هو كفؤ لاعادة بناء هيكلية الدولة التي غمرتها الفوضى وانفرط حبل ادراتها وتنظيمها

1- وبالتحديد في 14 ايلول 629م، اذ لا يزال المسيحيين الشرقيين الى اليوم يحتفلون بذلك اليوم الذي يسمونه بعيد ارتفاع الصليب (تاريخ ايرانيان، ص410 هامش رقم (2)؛ بيرنيا، تاريخ ايران، ص278؛ العابد، معالم تاريخ الدولة الساسانية، ص74).

2- الاغاني، ج6، ص361.

3- تاريخ ايرانيان، ص410 هامش رقم (2).

4- Ostrogorsky,History of the Byzantine State,p. 104; Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.198;

العريني، الدولة البيزنطية، ص128.

5- Ghrishman ,Iran from..,p.306;

باقر، مقدمة، ج2، ص 516.

بانفصال بعض الاقاليم عن مركز الحكم واستقلال حكامها[1]،ثم ان المؤامرات التي أودت بحياة ملوك الاسرة الساسانية تسبب في خلق ازمة فيمن يتولى منصب ملك الملوك، ولم يتردد العظماء والقواد المتخاصمين في ان يولوا النساء، مثال على ذلك ابنتا الملك كسرى ابرويز وهما بوران (630 – 631م) وازرميدخت (631 – 632م)، ولما دعت الحاجة سنة 632م الى تنصيب ملك من الامراء الساسانيين فتش العظماء عن امير كان مختبئاً في اصطخر خوفاً على حياته من المؤامرات الدائر، وكان هذا يزدجرد الثالث الذي بلغ سوء الوضع في عهده حداً لا ينصلح فيه الا بتغيير اساسي، وهذا ما سهل الطريق امام الفاتحين العرب الذين بدأوا ينشرون دينهم في انهاء مصير الامبراطوريتين الكبيرتين، فزالوا الاولى (الامبراطورية الساسانية) من الوجود سنة 21هـ/ 641م، وقلصوا حدود الامبراطورية الثانية (الامبراطورية البيزنطية) وحصروها في جزء من اسيا الصغرى ومركزها في القسطنطينية [2].

1- Ghrishman ,Iran from..,p.308;

كرستنسن، ايران، ص481 – 482؛ الجاف، الوجيز، ج1، ص114.

2- Ghrishman ,Iran from.. ,p.306

الخاتمة

تمكنت بفضل من الله سبحانه وتعالى اكمال دراستي لموضوع البحث فغطيت جوانبه قدر استطاعتي وقد توصلت الى مجموعة نتائج منها:

- ان العلاقات بين الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية علاقات قديمة ومتوارثة تعود جذورها الى العهد الاخميني وبالتحديد الى سنة 545ق.م وهي السنة التي تمكن فيها كورش الاخميني (559-330ق.م) من ضم جميع المدن اليونانية في اسيا الصغرى لدولته.
- ان النزاع المتوارث بين الإمبراطوريتين الذي استمر قرابة أربعة قرون (226-628م) له أسباب عدة منها:

أ- **أسباب سياسية**: تتمثل في رغبة كلا الإمبراطوريتين في الحصول على مكاسب سياسية كل منهما على حساب الأخرى في مناطق ذات أهمية استراتيجية واقتصادية.

ب- **أسباب اقتصادية**: ترجع في أساسها الى رغبة البيزنطيين في وضع أيديهم بصورة مباشرة على منافذ تجارة الحرير التي كانت معظمها بيد الساسانيين.

ج- **أسباب دينية**: ان اتخاذ الإمبراطورية البيزنطية المسيحية ديانة رسمية لها منذ سنة 313م كانت سبباً في ان ينظر الساسانيون الى رعاياهم من معتنقي المسيحية على انهم حلفاء لعدوهم وانهم متآمرون يعملون

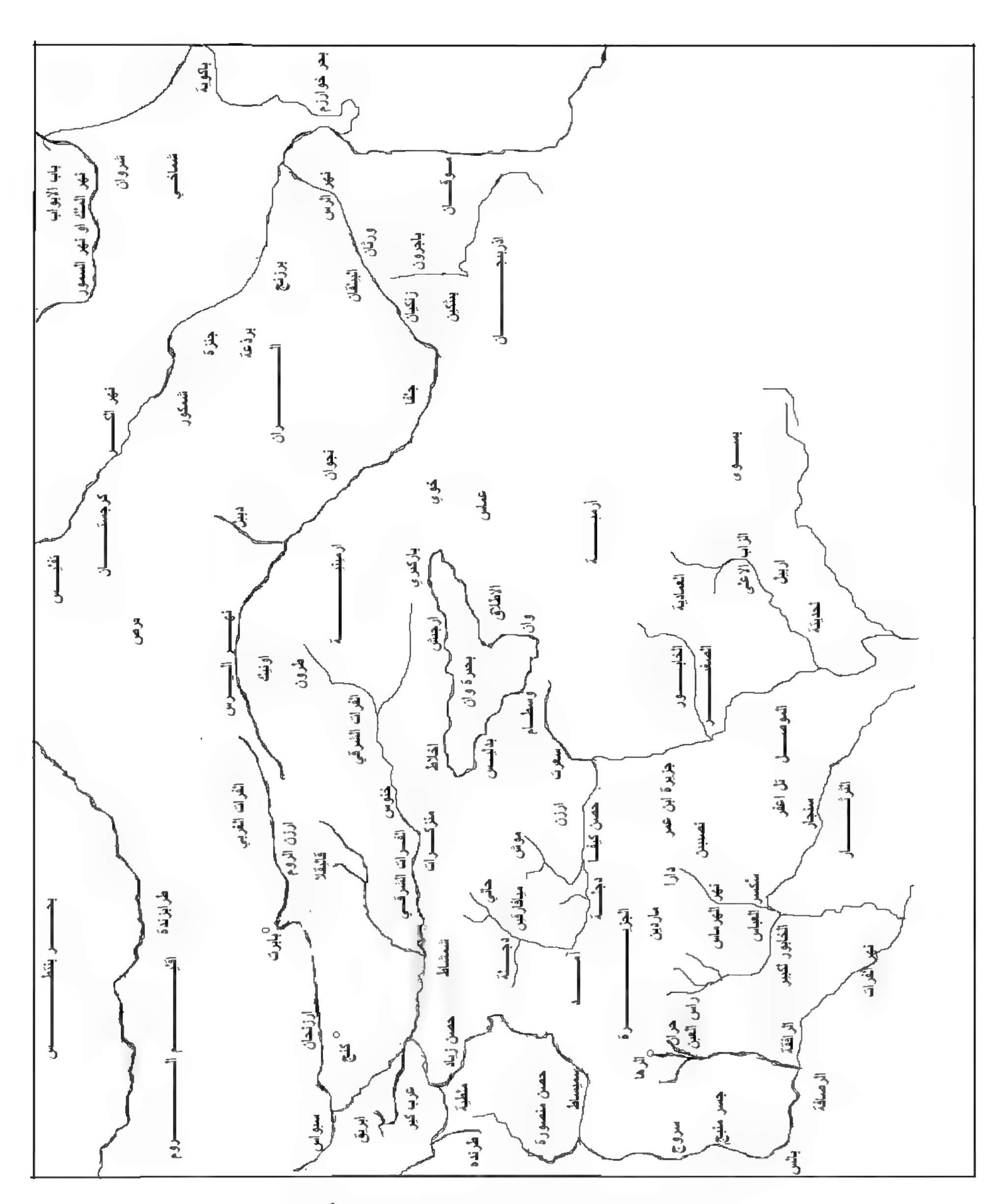
على تقويض أركان الدولة من الداخل ولذلك بدأ ملوكهم بمضايقتهم واضطهادهم، ولان الإمبراطورية البيزنطية كانت تعد نفسها حامية لهم فقد عدت تلك المضايفات سبباً في قيام عدة حروب بينهم.

- لم تحقق الحروب المستمرة بين الدولتين أهدافها السياسية على الرغم من ان نتيجة حسمت لصالح بيزنطة سنة 628م، فإذا ما نجحت إحداهما في تحقيق بعض المكاسب على حساب الأخرى فان المعاهدات التي تعقد بينهما غالباً ما كانت تحد من أهمية ما تحقق بإرجاع الحدود الى ما كانت عليه قبل بدء الحرب، كذلك لم تنجح محاولات البيزنطيين العسكرية والدبلوماسية في الحد من الاحتكار الساساني لتجارة الحرير فظلت منافذه الرئيسة خاضعة لسيطرتهم.
- لم يكن العرب بعيدون عن مسرح الصراع السياسي بين الإمبراطوريتين، فقد هيأت ظروف ذلك الصراع للمدن والمناطق الواقعة على التخوم الفاصلة بينهما لان تتمتع بنوع من الاستقلالية وتزيد من نشاطها السياسي الى درجة أنها أسهمت في أحداث ذلك الصراع سواء بوقوفها منفردة بالتصدي ومواجهة كلا الإمبراطوريتين كما فعلت مدينتي الحضر وتدمر، أو في إقامة علاقة صداقة وتحالف مع كلا الإمبراطوريتين كما فعلت دولة المناذرة بوقوفها الى جانب الساسانيين ودولة الغساسنة بوقوفها الى جانب البيزنطيين فأخذت كلا الدولتين على عاتقها حماية حدود الإمبراطوريتين وشاركت في الحروب الدائرة بينهما كل منها الى جانب حليفه، وقد اعترفت معاهدة سنة 562م بأهمية الدور الذي تقوم به كلا الدولتين في حفظ التوازن بين الإمبراطوريتين.
- على الرغم من العداء القائم بين الإمبراطوريتين فقد كان بينهما نوع من التعاون في حماية المعابر االقفقاسية من خطر القبائل البربرية، إذ نصت على الالتزام بذلك الشرط معاهدة سنة 363م والمعاهدات اللاحقة لها.

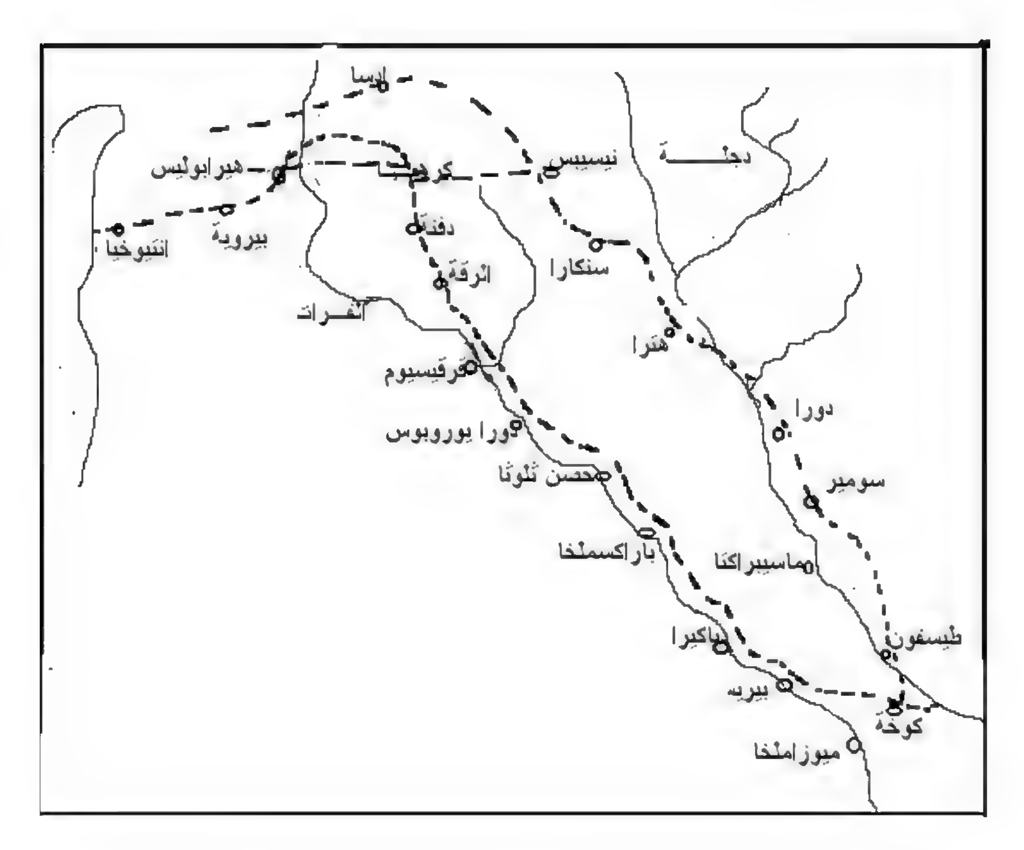
- ان العلاقات بين الطرفين لم تكن علاقات عدائية دائماً بل كانت هناك نوع من المودة والصداقة بين الطرفين فكلاهما كان يستعين بمساعدة الأخر له عندما تواجهه مشاكل داخلية تهدد عرشه، كما حصل عندما طلب الإمبراطور اركاديوس (395-408م) من الملك يزدجرد الاول (399 - 420م) بان يكون وصياً على ولده الصغير ثيودوسيوس الثاني (408 - 450م)، كذلك استعان الملك كسرى ابرويز(590-628م) بالإمبراطور موريس (582-602م) في أعادته الى عرش بلاده، وللغرض نفسه لجأ اليه ثيودسيوس ابن الإمبراطور موريس.
- ان الحروب السابقة بين الإمبراطوريتين حتى سنة 602م كانت تثار حول القلاع ومدن الحدود وتنتهي بالاستيلاء على مناطق نفوذ هذه الإمبراطورية أو تلك الا ان مسيرة تلك الحروب تغيرت خلال السنوات 602-628م إذ سدد كل من الملك كسرى ابرويز والإمبراطور هرقل ضربات في صميم إمبراطورية الاخر، حتى قارب كل منهما أبواب عاصمة الاخر.
- بعد صلح سنة 628م استولى على الإمبراطوريتين الإعياء والركود فالحروب الطويلة بينهما استنزفت قوتهما الى حد نبض معها معينهما من المال والرجال، كما تعاون على نخر بنيان كلا الإمبراطوريتين الصراعات والمؤامرات الداخلية وهجمات البرابرة المتمثلة بالافار على الإمبراطورية البيزنطية، وهجمات الخزر على الإمبراطورية الساسانية كان من نتيجتها ان بدأت مظاهر التفكك في الإمبراطوريتين فنفذ من ثغراتها العرب المسلمون فزالوا الامبراطورية الساسانية من الوجود سنة 21هـ/ 641م وقلصوا حدود الإمبراطورية البيزنطية وحصروها في جزء من اسيا الصغرى.

الملاحق

الخرائط



خارطة رقم (1) إقليما الجزيرة الفراتية وأرمينيا



خارطة رقم (2) : خط مسير حملة الإمبراطور جوليان على العراق سنة 363م.

المصدر:

Marceliinus, Rerum Gestarum Libr, Boek XXIV.

http://www.ammianus.info/vertaling/boek xxiv



شكل رقم (1) : نقش رستم
الإمبراطور فاليريان وقد مد يديه نحو الملك سابور الأول طالباً العفو

المصدر:

Ghirshman, Iran Parthian and Sassanians, P. 161.



الشكل رقم (2) : نقش مدينة سابور
الملك سابور فوق جواده وتحت أقدام الجواد شخص ملقي على الأرض وأمامه الإمبراطور فاليريان راكعاً.

المصدر:

Ghirshman, Iran Parthian and Sassanians, P. 159.

ملحق رقم (1)

جدول تعاصري باسماء الملوك السلوقيين الذين حكموا بلاد فارس وما يقابلهم من الملوك الفرثيين الى عهد الملك مهرداد الثاني (124 – 88ق.م).

الملوك السوقيين	الملوك الفرثيين
سلوقس الاول (323 – 280 ق.م)	
انطيوخوس الاول (280 – 261م)	
انطيوخوس الثاني (261 – 246 ق.م)	ارشك (250 – 247 ق.م).
سلوقس الثاني (246 – 226 ق.م)	تيرداد الاول (247 – 214ق.م)
سلوقس الثالث (226 – 223 ق.م)	اردوان الاول (214 – 196 ق.م)
انطيوخوس الثالث (223 – 187ق.م)	اردوان الاول (214 – 196 ق.م)+ فريابت بن اردوان (196 – 181ق.م)
سلوقس الرابع (187 – 175ق.م)	فرهاد الاول (181 – 174 ق.م)
انطيوخوس الرابع (175 – 164ق.م)	مهرداد الاول (ابن فريابت) (174 – 138ق.م)
انطيوخوس الخامس (164 – 162 ق.م)	
ديمتريوس الاول (162 – 150 ق.م)	
اسكندر الاول (150 – 146 ق.م)	
ديمتريوس الثاني (ابن ديمتريوس الاول) (146 – 143ق.م)	فرهاد الثاني (138 – 125 ق.م)
تريفون (المغتصب) (143 – 137 ق.م)	
انطيوخوس السابع (ابن ديمتريوس الاول) (137 – 128ق.م)	
اسكندر الثاني (ابن تاجر) (128 – 122ق.م)	فرهاد الثاني (138 – 125ق.م) + اردوان الثاني (125 – 124 ق.م)
سلوقس الخامس (ابن ديمتريوس الثاني) (125ق.م)	اردوان الثاني (125 – 124 ق.م)
انطيوخوس الثامن (ابن ديمتريوس الثاني) (125 – 96 ق.م)	مهرداد الثاني (124 – 88 ق.م)

المصدر: الجدول من عمل الباحثة وقد اعتمدت في معرفة اسماء الملوك السلوقيين وسنوات حكمهم على المؤرخ (حتي، تاريخ سوريا، ص264–274) أما معرفة أسماء الملوك الفرثيين وسنوات حكمهم فقد اعتمدت على المؤرخ (ابو مغلي، ايران، ص 120 – 122).

ملحق رقم (2)

جدول تعاصري باسماء الملوك الفرثيين من عهد الملك الفرثي مهرداد الثاني (124 - 88ق.م) الى نهاية الدولة الفرثية 226م، وما يقابلهم من الاباطرة الرومان.

الملوك الفرثيين		الاباطرة الرومان
مهرداد الثاني (124 – 88 ق.م)		لوسيو سولا (93 – 78 ق.م)
سانترويكس أو سندروك (76 – 69 ق.م)		لوكولوس (74 – 70 ق.م)
فرهاد الثالث (69 – 60 ق.م)		بومبي (70 – 55 ق.م)
مهرداد الثالث (60 – 56ق.م)		
ارد الاول (55 – 37 ق.م)		كراسوس (54 – 53 ق.م) + يوليوس قيصر (49 – 44ق.م)
فرهاد الرابع (37 – 2 ق. م)		انطونيوس (40 – 36 ق.م) + اغسطس (27 ق.م – 14 م)
فرهاد الخامس (2 ق.م – 1م)		اغسطس (27 ق.م – 14م)
أرد الثاني (1 – 6 م)		تيبريوس (14 – 37م)
فانون الاول (ابن رهاد الرابع) اردوان الثالث فردان كودرز فانون الثاني	(7 – 51م) مشاكل داخلية	كاليجولا (37 – 41م) + كلوديوس الاول (41 – 54م)
بلاش الاول (51 – 77م)		كلوديوس الاول (41 – 54م)+ نيرون (54 – 68م) جالبا (68 – 69م) اوثو (69م) فيتليوس (69م) فسباسيان (69 – 79م)
من (77 – 106م) مدة مضطربة لا يعرف اسماء ملوكها وسنوات حكمهم		فسباسيان (69 – 79م) + تيتوس (79 – 81م) دومتيان (81 – 96م) ماركوس نرفا (96 – 98م)

خسرو (106 – 129م)	تراجان (98 – 117م) + هادريان (117 – 138م)
بلاش الثاني (لا تعرف مدة حكمه على وجه الدقة	انطونيوس بيوس (138 – 161م) + ماركوس اوريليوس انطونينوس (161 – 180م)
بلاش الثالث (147 – 191م)	كومودوس (180 – 193م) + سبتيميوس سفيروس (193 – 211م)
اردوان الخامس (208 – 226م)	كركلا (211 – 217) + ماكرينوس (217 – 218م).

المصدر:

الجدول من عمل الباحثة وقد اعتمدت في معرفة اسماء الملوك الفرثيين وسنوات حكمهم على المؤرخ (ابو مغلي، ايران، ص 122 – 134)، اما معرفة اسماء الاباطرة الرومان وتحديد سنوات حكمهم فقد اعتمدت على المؤرخين (تشارلزورث، الامبراطورية الرومانية، ص 227؛

Tenen, Junior Histories,p.784).

ملحق رقم (3)

جدول تعاصري باسماء الملوك الساسانيين وما يقابلهم من الاباطرة البيزنطيين الى حد عهد الامبراطور هرقل (610 - 641م)

الملوك السلوقيين	الاباطرة البيزنطيين
اردشير بن بابك (226 - 241م)	سفيروس الكسندر (222 - 235م) مكسيمينوس (235 - 238م) غورديان الاول (238م) اشرك معه ابنه (غورديان الثاني) في الحكم ولم يستمر حكمهما سوى شهرين كلوديوس بوبينوس + كيليوس بلبينوس امبراطورين شريكين بيد الاول السلطة المدنية والثاني العسكرية ولم يحكمان غير مدة قصيرة (238م).
سابور الاول (241 - 272م)	غورديان الثالث (238 - 244م) فيليب العربي (244 - 249م) دسيوس (249 - 251م) تريبنيانوس جالوس (251 - 253م) فاليريان(253 - 260م) جالينوس (260 - 268م) اوريليوس كلوديوس (268 - 270م) اورليان (270 - 275م)
هرمز الاول (272 - 273م)	اورليان (270 - 275م)
بهرام الاول (273 - 276م)	اورليان (270 - 275م)+ تاسيتوس (275 - 276م)
بهرام الثاني (276 - 293م)	اورليوس بروبوس (276 - 282م)+ ماكسيوس اوريليوس كاروس (282 - 283م) نوميريانوس (283 - 284م) دقلديانوس (284 - 305م)

نرسي (293 - 302م)	دقلديانوس (284 - 305م)+ مكسيميان (286 - 305م)
هرمز الثاني (302 - 309م) + اذر نرسي (309م)	دقلديانوس (284 - 305م)+ اعتزلا الحكم سنة 305م مكسيميان (286 - 305م) كالريوس (305 - 311م) (امبراطوراً على القسم الشرقي) قسطنطينوس(305 - 306م) (امبراطوراً على القسم الغربي) ماكسيمين دايا (305 - 312م) (قيصراً للشرق) سفيروس (305 - 306م) (قيصراً للغرب) قسطنطين الاول (306 - 337م) (امبراطوراً على القسم الغربي) ليكينيوس (306 - 324م) (قيصراً للغرب)
سابور الثاني (310 - 379م)	من سنة (312 - 324م) اصبح كل من ليكينيوس (312 - 324) (امبراطوراً على القسم الشرقي) قسطنطين الاول (306 - 337م) (امبراطوراً على القسم الغربي) من سنة (324 - 337م) اصبح قسطنطين الامبراطور الاوحد قسطنطين الثاني (337 - 340م) قسطانز (337 - 350م) قسطنطيوس (337 - 361م) جوليان (361 - 363م) جوفيان (363 - 364م) فالنتنيان الاول(364 - 375م) (امبراطوراً على القسم الغربي) فالنز (364 - 378م) (امبراطوراً على القسم الشرقي)
اردشير الثاني (379 - 383م)	جراتيان بن فالنتنيان(375 - 383م)(امبراطوراً على القسم الغربي) + ثيودوسيوس الاول (379 - 395م) (امبراطوراً على القسم الشرقي)
سابور الثالث (383 - 388م)	فالنتنيان الثاني (383 - 392م) (امبراطوراً على القسم الغربي) + ثيودوسيوس الاول (379 - 395م) (امبراطوراً على القسم الشرقي)
بهرام الرابع (388 - 399م)	فالنتنيان الثاني (383 - 392م) (امبراطوراً على القسم الغربي) + ثيودوسيوس الاول (379 - 395م) (امبراطوراً على القسم الشرقي) ومنذ سنة 392م اصبح ثيودوسيوس الاول الامبراطور الاوحد

يزدجرد الاول (399 – 420م)	هونوريوس (395 – 422م) (امبراطوراً على القسم الغربي) اركاديوس (395 – 408م) (امبراطوراً على القسم الشرقي) ثيودوسيوس الثاني(408 – 450م)(امبراطوراً على القسم الشرقي)
بهرام الخامس (420 – 438م)	هونوريوس (395 – 422م) (امبراطوراً على القسم الغربي) فالنتنيان الثالث (425 – 455م) (امبراطوراً على القسم الغربي) ثيودوسيوس الثاني (408 – 450م) (امبراطوراً على القسم الشرقي)
يزدجرد الثاني (438 – 457م)	فالنتنيان الثالث (425 – 455م) (امبراطوراً على القسم الغربي) بترونيوس مكسيموس (455م) (امبراطوراً على القسم الغربي) افيتوس (455 – 456م) (امبراطوراً على القسم الغربي) ثيودوسيوس الثاني (408 – 450م) (امبراطوراً على القسم الشرقي) مرقيانوس (450 – 457م) (امبراطوراً على القسم الشرقي)
هرمز الثالث (457 – 459م)	ماجوريان (457 – 461م) (امبراطوراً على القسم الغربي) ليو الاول (457 – 474م) (امبراطوراً على القسم الشرقي)
فيروز (459 – 484م)	ماجوريان (457 – 461م) ليبيوس سيفيروس (461 – 465م) انتميوس (467 – 472م) اولبريوس (472م) جليسريوس (473 – 474م) يوليوس نيبوس (474 – 475م) اباطرة القسم الغربي روميلوس اوغسطولوس (475 – 476م) (نهاية الامبراطورية الرومانية في الغرب) ليو الاول (457 – 474م) (امبراطوراً على القسم الشرقي) ليو الثاني (474م) زينو (474 – 491م)
بلاش (484 – 488م)	زينو (474 – 491م)
قباذ الاول (488 – 496) المرة الاولى	زينو (474 – 491م) + انستاسيوس الاول (491 – 518م)
جاماسب (496 – 498 او 499م)	انستاسيوس الاول (491 – 518م)

قباذ الاول (498 او 499 – 531م) المرة الثانية	انستاسيوس الاول (491 – 518م)+ جستين الاول (518 – 527م) جستنيان الاول (527 – 565م)
كسرى انوشروان (531 – 579م)	جستنيان الاول (527 – 565م) جستين الثاني (565 – 578م)
هرمزد الرابع (579 – 590م)	تيباريوس الثاني (578 – 582م)
كسرى الثاني ابرويز (590 – 628م)	موريس (582 – 602م) فوكاس (602 – 610م) هرقل (610 – 641م)
قباذ الثاني (628 – 629م)	هرقل (610 – 641م)

المصدر:

الجدول من عمل الباحثة وقد اعتمدت في معرفة اسماء الملوك الساسانيين وسنوات حكمهم على المؤرخ (نولدكه، تاريخ ايرانيان، ص 517)، اما معرفة اسماء الاباطرة البيزنطيين وتحديد سنوات حكمهم فقد اعتمدت على المؤرخين (Tenen, Junior Histories,p.784؛ جيبون، اضمحلال الامبراطورية الرومانية، ص 667 – 671؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص369 – 370.

ملحق رقم (4)

التسمية الرومانية للمدن الواردة في الاطروحة وما يقابلها من التسمية العربية

الاسم الروماني	الاسم العربي	الصفحة التي وردت فيها لاول مرة
سوسيانا	سوسة أو شوش	16
كيليكيا	قيليقية او ارمينيا الصغرى	26
اربلا	اربيل	27
برسيبوليس	اصطخر	27
انتيوخيا	انطاكيا	31
بارثوا	خراسان	33
هيركانيا	جرجان	34
زدراكارتا	استر آباد	34
هيكاتومبيلوس	قومس	35
ميديا	ماذي او ماد	35
رافيا	رفح	36
طيسفون	المدائن	37
اكبتانا	همدان	39
ادسا	الرها	40
ايميسا	حمص	40
خالكيس	قنسرين	40
سكستان او سيستان	سجستان	41
حدياب	اقليم الزابين،عاصمته(اربيل)	44
سنكارا	سنجار	45

كرها	حران	47
نيسيبيس	نصيبين	51
اتروباتين	اذربيجان	56
طرسوس	طرسوس	63
خوزستان	الاحواز	64
بيزانتيوم	بيزنطة او القسطنطينية	91
ارزون	ارزن	99
ايبريا	كرجستان	99
اميدا	امد	112
قرقيسيوم	قرقيسيا	115
دورا او دورا يوروبوس	الصالحية	116
حصن اناثا	مدينة عانة	116
حصن ثلوثا	جزيرة تلبس الواقعة على بعد 14 كم حنوب شرق مدينة عانة	116
حصن اخياكالا	مدينة حديثة	117
باراكسملخا	خرائب العويرا الواقعة على بعد 10 كم من مدينة هيت	117
دياكيرا	هيت	117
ماسيبراكتا	ام الروس الواقعة على بعد 12 كم شمال شرق المشهد الذي بني اكراماً لامير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) في قرية صندودة الواقعة فوق مدينة لانبار	118
بيريسابوراس او فيروزسابور	الانبار	119

هوكمبرا	بعقوبة	127
مرنكس	يرجح ان تكون قرية مارا او ماراح الواقعة على المشارف الغربية من جبال حمرين.	128
سوميرا	سامراء	128
مرتيروبوليس	ميافارقين	137
ثيودوسيوبوليس	ارضروم	141
كالينيكوس	الرقة	153
ابامية	افامية	156
كولخيس	لازيكا	160
كوماجينه	سُمَيسَاط	164
برباليسوس	بالس	165
بيبلس	جبّيل	165
هيرابوليس	منبج	172
سرجيوبوليس	الرصافة	200
بيرويا	حلب	202
دافن	دفنة	204
سبسطية	سيواس	228
مليتين	ملطية	229
هركلية	هرقلة	257

المصادر والمراجع

- القران الكريم.
- التوراة، العهد الجديد، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، د.ت)

اولاً ـ المخطوطات:

الاصمعي، عبد الملك بن قريب (ت216هـ/ 830م).

1. نهاية الارب في اخبار الفرس والعرب، مخطوط مصور عن نسخة المتحف البريطاني محفوظة في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت الرقم 63/ تاريخ.

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت284هـ/ 897م).

2. كتاب عن الاخبار العربية، مخطوط محفوظ في مكتبة المركز الوطني للمخطوطات تحت الرقم 8794، رقم الفلم 2720.

عبد الله بن المغيرة (1355هـ/ 1937م).

3. تاريخ العرب القديم، مخطوط محفوظ في مكتبة المركز الوطني للمخطوطات تحت الرقم 1988، رقم الفلم 24030.

ثانياً ـ المصادر الكلاسيكية

زينوفون (435 – 355ق.م).

1. حملة العشرة الاف (الحملة على فارس)، ترجمة: يعقوب افرام منصور، (الموصل: منشورات مكتبة بسام، 1985م).

مرسيلينوس، اميانوس (ت401م).

2. العراق في القرن الرابع للميلاد، ترجمة: فؤاد جميل، مراجعة: سالم الالوسي، (بغداد: الموسوعة الصغيرة (413)، دار الشؤون الثقافية العامة، 1998م).

هيرودوتس (484 – 425ق.م).

3. تاريخ هيرودوتس، ترجمه من الفرنسية: حبيب افندي، (بيروت: مطبعة القديس جاورجيوس، 1886 – 1887م).

ثالثاً ـ المصادر الاولية:

الابشيهي، ابو الفتح شهاب الدين محمد بن احمد (ت850هـ/ 1447م).

2. المستطرف في كل فن مستظرف، ط2، تحقيق: مفيد محمد قميحة،(بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م).

ابن الاثير،عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت630هـ/ 1209م).

3. الكامل في التاريخ، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 2004م).

الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي(ت314هـ/ 952م).

4. مسالك الممالك، (ليدن، مطبعة بريل، 1927م).

الاصفهاني، حمزة بن الحسن (ت360هـ/ 970م).

5. تاريخ سني ملوك الارض والانبياء عليهم الصلاة والسلام، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1961م).

الاصفهاني، علي بن الحسن بن محمد القرشي (ت356هـ/ 966م).

6. الاغاني، تحقيق: سمير جابر، (بيروت: دار الفكر، د.ت).

الاعشى الكبير، ميمون بن قيس (ت7هـ/ 628م).

7. الديوان، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، (مكتبة الاداب: المطبعة النموذجية، د. ت)

ابن البطريق، سعيد (افتيشيوس) (ت340هـ / 952م).

8. كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، 1905م).

البكري. عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت487هـ/ 1094م).

9. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع،ط3، تحقيق: مصطفى السقا، (بيروت: عالم الكتب،1403هـ).

البيروني، ابو الريحان محمد بن احمد (ت440هـ/ 1048م).

10. الاثار الباقية عن القرون الخالية، (لايبزك: 1923م).

الثعالبي، حسين بن محمد المرغني (ت429هـ/ 1037م).

11. غرر السير المعروف بـ (غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم)، ترجمة:هـ. زوتبرغ، (باريس: المطبعة الوطنية، 1950م).

الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت255هـ/ 868م).

12. البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي، (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، 1926م).
13. التاج في اخلاق الملوك، تحقيق: احمد زكي باشا،(ايران: مطبعة فروردين، 1914م).

ابن حبيب، ابو جعفر محمد البغدادي (ت245هـ/ 859م).

14. المحبر، تصحيح: ايلزة ليختن شتيتر، (حيدر اباد: الدكن، 1942م).

ابن حزم الاندلسي، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ/ 1063م).

15. جمهرة انساب العرب، ط3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م).

ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت367هـ/ 977م).

16. صورة الارض، (ليدن: مطبعة بريل، 1938م).

ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/ 912م).

17. المسالك والممالك، تقديم: محمد مخزوم، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1988م)

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1405م).

18. تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، 1971م).

الخوارزمي، ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف (ت 387هـ/ 997م).

19. مفاتيح العلوم، (د.م، د. ت).

ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/ 933م).
20. الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (مصر: مكتبة الخانجي، د. ت)

الدينوري،ابو حنيفة احمد بن داود (ت282هـ/ 895م).
21. الاخبار الطوال، (مصر: مطبعة عبد الحميد احمد، د. ت).

ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (ت 290هـ/ 902م).
22. الاعلاق النفيسة، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1988م).

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م).
23. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م).
و ط5، تحقيق: محمود ابو الفضل ابراهيم،(القاهرة: دار المعارف، د.ت).

الطوسي، الخواجة نظام الملك حسين (485هـ/ 1092م).
24. سياست نامة (سير الملوك)، ترجمة: يوسف حسين بكار، (بيروت: دار القدس، د. ت).

ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت596هـ/ 1126م).
25. تاريخ مختصر الدول، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1958م).

ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت739هـ/ 1338م).
26. مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت).

عدي بن زيد بن ايوب العبادي (36 ق.هـ/ 587م).
27. ديوانه، تحقيق وجمع: محمد جبار المعيبد، (بغداد: دار الجمهورية للنشر والطباعة، 1965م).

ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ/ 1331م).
28. تقويم البلدان،(باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840م).
29. المختصر في اخبار البشر، تعليق: محمود ديوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م).

الفردوسي، ابو القاسم محمد (ت411هـ/ 1020م).
30. الشاهنامة، ترجمة: الفتح علي البنداري، تصحيح وتعليق، عبد الوهاب عزام، (طهران: 1970).

ابن الفقيه الهمداني، ابو بكر احمد بن محمد (ت365هـ/ 975م).

31. مختصر كتاب البلدان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، 1988م).

ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/ 889م).

32. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (ايران، مطبعة امير، 1373هـ).

ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت774هـ/ 1373م).

33. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1964م).

مار ميخائيل السرياني (ت520هـ/ 1199م).

34. تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية: مار غريغور لويس صليبا شمعون، تقديم، مار غريغور لويس يوحنا ابراهيم، (حلب: دار ماردين للطباعة، 1996م).

المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/ 956م).

35. التنبيه والاشراف، عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله اسماعيل الصادق، (القاهرة: درب الجماميز، 1938م).

36. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، (بيروت: دار القلم، 1989م).

و ج2، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة السعادة،1964م).

مسكويه، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ/ 1030م).

37. تجارب الامم وتعاقب الهمم، (بيروت: دار الكتب العلمية،2003م).

المقدسي، المطهر بن طاهر (ت بعد سنة 355هـ/ 965م).

38. البدء والتاريخ، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).

المقدسي، ابو عبد الله بن احمد البشاري (ت375هـ/ 985م).

39. احسن التقاسيم، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م)

ابن منظور،ابو الفضل جمال بن محمد بن كرم بن علي (ت711هـ/ 1311م).

40. لسان العرب، (بيروت: دار صادر، د. ت).

المهلبي، الحسن بن احمد (ت 380هـ/ 990م).

41. الكتاب العزيزي او المسالك والممالك، جمع وتعليق: تيسير خلف، (دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م).

مؤلف مجهول (من القرن الثاني عشر الميلادي).

42. تاريخ السعردي، نشره: ادي شير، (باريس: 1907م).

مؤلف مجهول (من القرن السابع الميلادي).

43. التاريخ الصغير، ترجمة وتعليق: الاب بطرس حداد، (بغداد: مطبعة الشعب، 1976م).

الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت350هـ / 961م).

44. صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الاكوع، (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1983م).

ياقوت الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/ 1228م).

45. المشترك وضعا والمفترق صقعا، (كوتنجن: 1846م).

46. معجم البلدان، (بيروت:دار الفكر، د.ت).

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(284هـ/ 897م).

47. البلدان،تعليق: محمد امين ضناوي،(بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م)

48. تاريخ اليعقوبي، تحقيق وتعليق: خليل منصور،(بيروت: دار الاعتصام للطباعة والنشر، 1425هـ).

رابعا ـ المراجع:

الاحمد، سامي سعيد.

1. تاريخ الرومان، (بغداد: مطبعة التعليم العالي، د.ت).

الاحمد، سامي سعيد والهاشمي، رضا جواد.

2. تاريخ الشرق الادنى القديم ايران والاناضول، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، د. ت).

الاعظمي، علي ظريف.

3. تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، تقديم وتعليق: عزة رفعت، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت).

ابونا، الاب البير.

4. تاريخ الكنيسة الشرقية من انتشار المسيحية حتى مجيء الاسلام، (الموصل: المطبعة العصرية، 1973م).

ادي شير.

5. تاريخ كلدو واشور، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين، 1912م).

اسحق، روفائيل بابو.

6. تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية الى ايامنا، (بغداد: مطبعة المنصور، 1948م).

اميل، بول.

7. تاريخ ارمينيا (عرض مبسط لتاريخ الشعوب الارمنية منذ فجر التاريخ حتى اليوم)، ترجمة: شكري علاوي، (بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت).

امين، احمد.

8. فجر الاسلام (بحث عن الحياة العقلية في صدر الاسلام الى اخر الدولة الاموية)، (القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1945م).

اولندر، جونار.

9. ملوك كندة من بني آكل المرار، ترجمة وتحقيق: عبد الجبار المطلبي، (بغداد: دار الحرية للطباعة، 1973م)

اوليري، دي لاسي.

10. جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة وتعليق: موسى علي الغول، (عمان: المملكة الاردنية الهاشمية، 1960م).

11. علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ترجمة: وهيب كامل، مراجعة: زكي علي، (د.م، مكتبة النهضة المصرية، 1962م)

اومـــان.

12. الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى طه بدر، (القاهرة: مطبعة دار الفكر العربي، 1953م)

ايليف، ج. هـ.

13. فارس والعالم القديم، ترجمة: محمد صقر خفاجة، فصل ضمن كتاب تراث فارس، ترجم هذا الكتاب: محمد كفافي واحمد الساداتي والسيد يعقوب بكر ومحمد صقر خفاجة واحمد عيسى، واشترك في كتابة ومراجعة ترجمته: يحيى الخشاب، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1959م).

ايمار، اندريه و اوبوايّه، جانين.

14. تاريخ الحضارات العام (روما وامبراطوريتها)، ترجمة: يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر، اشراف: موريس كروزيه، (بيروت، منشورات عويدات، 1964م).

باشميل، محمد احمد.

15. العرب في الشام قبل الاسلام (دراسة وتحليل لتاريخ خمس اجيال عربية حكمت واستوطنت الشام لمدة اكثر من عشرة الاف سنة قبل الاسلام) (المملكة العربية السعودية: دار الفكر، 1973م).

باقر، طه.

16. مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة،ج1 (الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين) ط2، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1986م) وج2(الوجيز في تاريخ حضارة وادي النيل)، ط2، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1956م).

باقر، طه، وفؤاد سفر.

17. المرشد الى مواطن الاثار والحضارة، (مديرية الفنون والثقافة الشعبية بوزارة الارشاد، سلسلة الثقافة الشعبية (45)، 1962م).

باقر، طه، وفوزي رشيد، ورضا جواد الهاشمي.

18. تاريخ ايران القديم، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1979م).

بتـري، أ.

19. مدخل الى تاريخ الاغريق وادابهم واثارهم، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، (جامعة الموصل: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، 1977م).

برستد، جيمس هنري.

20. العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، (بيروت: 1926م).

برن، اندرو روبيرت.

21. تاريخ اليونان، ترجمة: محمد توفيق حسين، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1989م).

البني،عدنان.

22. تدمر والتدمريون، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1978م).
23. الفن التدمري، سلسلة تاريخ الفن في سوريا رقم (3)،(دمشق: مكتبة اطلس، د. ت).

بورتر، هارفي.

24. موسوعة مختصر التاريخ القديم، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م).

بيرنيا، حسن.

25. تاريخ ايران القديم منذ البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت)

بيغوليفسكيا، نينا فكتورفنا.

26. العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي، ترجمة: صلاح الدين عثمان، (الكويت: قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، 1985م)

بينز، نورمان.

27. الامبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، (الدار القومية للطباعة والنشر، د. ت).

تارن، و.و.

28. الاسكندر الاكبر قصته وتاريخه، ترجمة: زكي علي، مراجعة: محمد سليم سالم، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963م)

تسران، اوجين.

29. خلاصة تاريخية للكنيسة الكلدانية، ترجمة: سليمان الصائغ، (الموصل: 1939م)

تشارلزورث، م. ب.

30. الامبراطورية الرومانية، ترجمة: رمزي عبده جرجيس، مراجعة: محمد صقر خفاجة، (القاهرة، دار الفكر العربي، 1961م).

توفيق، عمر كمال.

31. تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (مصر: دار المعارف، 1967م).
32. تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م).

الجاف، حسن كريم.

33. الوجيز في تاريخ ايران (دراسة في التاريخ السياسي من التاريخ الاسطوري الى نهاية الطاهريين)، (بغداد: بيت الحكمة، 2003م).

جونز، أ. هـ.

34. مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: احسان عباس، (الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 1987م).

جيبون، ادوارد.

35. اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: محمد علي ابو دره، مراجعة: احمد نجيب هاشم، (القاهرة: مطبعة الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969م).

حاطوم، نور الدين.

36. تاريخ العصر الوسيط في اوربا، (لبنان: دار الفكر الحديث، 1967م).

حافظ، فؤاد حسين.

37. تاريخ الشعب الارمني منذ البداية حتى اليوم، (القاهرة: دار نوبار للطباعة، 1986م)

حبي، يوسف.

38. كنيسة المشرق، ط3، (بغداد: الموصل، 1988م).

حتي، فيليب.

39. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد المنعم رافق، مرجعة: جبرائيل جبور،(بيروت: دار الثقافة، 1950م).

حتي، فيليب واخرون.

40. تاريخ العرب المطول، ط4، (بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1965م).

الحديثي، قحطان عبد الستار والحيدري،صلاح عبد الهادي.

41. دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، (بغداد: جامعة البصرة، 1986م).

الحمد، جواد مطر.

42. الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم خلال الالف الاول قبل الميلاد حتى عشية الغزو الحبشي 225م،(الشارقة: دار الثقافة العربية، 2002م).

حوراني، جورج فضلو.

43. العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة واوائل القرون الوسطى، ترجمة وتعليق: السيد يعقوب بكر، مراجعة: يحيى الخشاب، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت).

خوري،احمد جلال و ابراهيم والتدمري.

44. سلطنة هرمز العربية (سيطرة سلطنة هرمز العربية على الخليج العربي)، (راس الخيمة: 1999م).

الداقوقي، حسين علي.

45. دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا، (عمان: دار الينابيع للنشر والتوزيع، 1999م).

داوني، جلانفيل.

46. انطاكية القديمة، ترجمة: ابراهيم نصحي، (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1967م)

دوسن، كرستوفر.

47. تكوين اوربا، ترجمة ومراجعة: الدكتور محمد مصطفى زادة والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1967م).

دياكوف. ف و كوفاليف. س.

48. الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم البازجي، (دمشق: منشورات دار علاء الدين، 2000م).

رستم، اسد.

49. تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني الى الفتح الروماني، (بيروت: منشورات الجامعة اللبنانية، 1969م)

50. الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، (بيروت، دار المكشوف،1955م).

رنسيمان، ستيفن.

51. الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكي علي، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1961م).

52. المدنية البيزنطية، ترجمة: صالح احمد العلي، (بغداد: مطبعة وزارة المعارف، 1956م).

زكي، محمد امين، و عوني، محمد علي.

53. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من اقدم العصور التاريخية حتى الان، (بغداد: مطبعة صلاح الدين، 1961م).

زيدان، جرجي.

54. تاريخ العرب قبل الاسلام (مؤلفات جرجي زيدان الكانلة)، (بيروت: دار الجيل، 1982م).

زيهنير. ر. س.

55. المجوسية الزرادشتية الفجر – الغروب، ترجمة: سهيل زكار، (دمشق: التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م).

ساكا، الاب اسحق.

56. تاريخ دير مار متي، مستخلص عن كتاب دفقات الطيب في تاريخ دير القديس مار متي العجيب، (بغداد: مطبعة الزمان، 1975م).

ساليفان، ريتشارد، أ.

57. ورثة الامبراطورية الرومانية (الغرب الجرماني – العالم الاسلامي – الدولة البيزنطية)، ترجمة وتقديم: جوزيف نسيم يوسف، (القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1984م).

ستارجيان، ل.ل.

58. تاريخ الامة الارمنية، (الموصل: مطبعة الاتحاد الجديدة، 1951م).

ستاركي، جان، والنجد، صلاح الدين.

59. تدمر عروس الصحراء، (دمشق: مديرية الاثار العامة، 1947م).

سترابون.

60. استرابون في مصر (القرن الاول قبل الميلاد)، ترجمة: وهيب كامل، (القاهرة: مكتبة الانجلو، 1953م).

سرسق، دميتري.

61. تاريخ اليونان، (بيروت: 1876م).

سفر، فؤاد ومصطفى، محمد علي.

62. الحضر مدينة الشمس، (بغداد: مؤسسة رمزي للطباعة، 1974م).

سلطان، غانم.

63. جزر العالم (امثلة وتطبيقات من بحار العالم ومحيطاته دراسة لظروفها الجغرافية وتطور مراحل الاستقرار فيها ومواردها الاقتصادية)، (الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، **1988**م).

سليمان، عامر والفتيان، احمد مالك.

64. محاضرات في التاريخ القديم، القسم الاول (موجز تاريخ العراق القديم)، (الموصل: مطبعة جامعة الموصل، **1978**م).

سوسة، احمد.

65. تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثارية والمصادر التاريخية، (بغداد: دار الحرية للطباعة، **1986**م).

السيد، اديب.

66. ارمينيا في التاريخ العربي، (حلب: المطبعة الحديثة، **1972**م).

شريف، ابراهيم.

67. الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، (بغداد: مطبعة شفيق، د، ت).

الشريف، احمد ابراهيم.

68. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، (القاهرة: دار الفكر العربي، **1965**م).

الشيخ، محمد محمد مرسي.

69. تاريخ الامبراطورية البيزنطية، (الاسكندرية، د. ت).

طرخان، ابراهيم علي.

70. دولة القوط الغربيين،(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، **1958**م).

العابد، مفيد رائف محمود.

71. معالم تاريخ الدولة الساسانية (عصر الاكاسرة 226 – 651م)، (بيروت: دار الفكر المعاصر ودمشق: دار الفكر، **1999**م).

عاشور، سعيد عبد الفتاح.

72. اوربا العصور الوسطى، الجزء الاول (التاريخ السياسي)، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، **1983**م).

عاقل، نبيه.

73. الامبراطورية البيزنطية (دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري)، (دمشق: 1969م).

العبادي، مصطفى.

74. الامبراطورية الرومانية (النظام الامبراطوري ومصر الرومانية)، (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ت)

عباس، احسان.

75. دولة الانباط، (عمان، دار الشروق، 1978م).

عبد العزيز، وسام.

76. دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية 284 – 1025م، (القاهرة: 1982م).

عبو، عادل نجم ومحمد، عبد المنعم رشاد.

77. اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، (الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1993م).

عبيد، اسحق.

78. الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية مع دراسة في مدينة الله، تقديم: الاب جورج شحاتة قنواتي، (مصر: دار المعارف، 1971م).

عثمان، فتحي.

79. الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، (مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، 1966م).

العربي، اسماعيل.

80. الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية، (ليبيا: الدار العربية للكتاب، 1985م).

العريني، السيد الباز.

81. الدولة البيزنطية 323 – 1081م، (بيروت: دار النهضة العربية، 1982م).

العسلي، خالد.

82. دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام والعهود الاسلامية المبكرة، تقديم: د. عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: دار الشؤون الثقافية، 2002م).

علي، جواد.

83. المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت: دار العلم للملايين، 1969م).

العلي، صالح احمد.

84. محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بغداد: مطبعة العاني، 1960م).

علي، عبد اللطيف احمد.

85. التاريخ الروماني (عصر الثورة من تيبريوس جراكوس الى اكتافيانوس اغسطس)، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1967م).
86. روما (تاريخ الجمهورية والامبراطورية الرومانية)، (القاهرة: مكتبة النهضة، د.ت).
87. محاضرات في العصر الهللينستي، (بيروت، مطبعة كتب كزيدية اخون،1976م).
88. مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية، (القاهرة: دار النهضة العربية، 1965م)

عمران، محمود سعيد.

89. مقالات في تاريخ مصر في العصر البيزنطي، (د.م: 1996م).

عياد، محمد كامل.

90. تاريخ اليونان،(دمشق: وزارة التعليم السورية، 1969م).

غنيم، اسمت.

91. تاريخ الامبراطورية البيزنطية 324 – 1453،(الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1987م).

غنيمة، يوسف رزق الله.

92. الحيرة المدينة والمملكة العربية، (بغداد: مطبعة دنكور الحديثة، 1936م).

فرح، نعيم.

93. تاريخ بيزنطة منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن للميلاد، (دمشق:جامعة دمشق،1978م).

فشر، هـ. أ. ل.

94. تاريخ اوربا في العصور القديمة، ترجمة: ابراهيم نصحي بك ومحمد عواد حسين، (مصر: دار المعارف، 1950م).

كرستنسن، ارثر.

95. ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، مراجعة: عبد الوهاب عزام، (القاهرة:مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1957م).

الكرملي، انستانس ماري.

96. المساعد، تحقيق: كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، (بغداد: مطبعة دار الحرية، 1976م)

الكلداني، بطرس نصري.

97. ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، (الموصل: دار الاباء الدومنيكيين، 1905م).

كمال، احمد عادل.

98. سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، (بيروت: دار النفائس، 1979م)

كوبيشانوف، يوري ميخائيلوفتش.

99. الشمال الشرق الافريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية من القرن السادس الى منتصف القرن السابع، ترجمة: صلاح الدين عثمان، (عمان: الجامعة الاردنية، 1988م).

لامب، هاولد.

100. الاسكندر المقدوني، ترجمة: عبد الجبار المطلبي ومحمد ناصر الصانع، مراجعة: محمود الامين، (بغداد: المكتبة الاهلية، 1965م).

لواساني، احمد.

101. هاخمنشيان الاخمينيون، (بيروت: 1968م).

لسترنج، كي.

102. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (بغداد: مطبعة الرابطة، 1954م).

لوكهارت، ل.

103. فارس في نظر الغرب، ترجمة: السيد يعقوب بكر، فصل ضمن كتاب تراث فارس.

لويد، سيتن.

104. الرافدان (موجز تاريخ العراق منذ اقدم العصور حتى الان)، ترجمة: طه باقر وبشير فرنسيس، (القاهرة: 1948م).

ابو مغلي، محمد وصفي.

105. ايران دراسة عامة، (البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، شعبة الدراسات الفارسية، سلسلة ايران والخليج العربي (24)، 1985م).

مكاريوس، شاهين.

106. تاريخ ايران، (مصر: مطبعة المقتطف، 1898م).

مكاي، دروثي.

107. مدن العراق القديمة، ترجمة: يوسف يعقوب مسكوني، (بغداد: مطبعة شفيق، 1952م).

الملاح، هاشم يحيى.

108. الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، (الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر، 1994م).

المنجد، صلاح الدين.

109. المفصل في الالفاظ الفارسية المعربة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الاموي، (ايران: انتشارات بنياذ فرنك، 1398هـ/ 1978م).

مهران، محمد بيومي.

110. مصر والشرق الادنى القديم، الجزء الثالث (مصر من قيام الدولة الحديثة حتى الاسرة الحادية والثلاثين)،ط4،(القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1988م).

موس، هـ، سانت ل، ب.

111. ميلاد العصور الوسطى 395 – 814، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: السيد الباز العريني، (القاهرة: عالم الكتب، 1967م).

موسيل، الوا.

112. الفرات الاوسط "رحلة وصفية ودراسات تاريخية"، ترجمة: د.صدقي حمدي والاستاذ عبد المطلب عبد الرحمن داود،مراجعة: د.صالح احمد العلي و د. علي محمد المياح،(بغداد: طبوعات المجمع العلمي العراقي،1990م).

الناصري، سيد احمد علي.

113. تاريخ وحضارة الشرق الادنى في العصر الهلنيستي، (القاهرة: دار النهضة العربية، 2001م).

نصحي، ابراهيم.

114. مصر في عصر البطالمة، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1946م).

النفزاوي، محمد ثامر.

115. فارس بيزنطة والجزيرة العربية من القرن الثالث الى القرن السابع الميلادي، (تونس: دار الجنوب، د.ت).

نكلسن، رينولد.

116. تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام، ترجمة وتحقيق: د. صفاء خلوصي، (بغداد: مطبعة المعارف، 1969م).

نولدكه، تيودور.

117. امراء غسان، ترجمة: بندلي جوزي و قسطنطين زريق، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، 1933م)

نيكيتين، باسيل.

118. الاكراد، اصلهم، تاريخهم، مواطنهم، عقائدهم، عاداتهم، آدابهم، لهجاتهم، قبائلهم، قضاياهم، طرائف عنهم، تقديم: لويس ماسينيون، (بيروت: دار الروائع، 1967م)

هادريل، ج. م. والاس.

119. اوربا في صدر العصور الوسطى، ترجمة: حياة ناصر الحجي، (الكويت: 1979م).

هسي، ح، م.

120. العالم البيزنطي، تقديم وترجمة وتعليق، رأفت عبد الحميد، (عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية: 1997م).

هنتس، فالتر.

121. المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، (عمان: منشورات الجامعة الاردنية،1970م)

واكيم، سليم.

122. ايران والعرب العلاقات العربية - الايرانية عبر التاريخ، (بيروت: 1967م).

ولبر، دونالدو.

123. ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة: عبد النعيم محمد حسنيين، (القاهرة: 1958م.

ويلز، هـ.ج.

124. معالم تاريخ الانسانية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: زكي علي، (القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1948م).

يتيم، الاب ميشيل وديك، الاب اغناطيوس.

125. تاريخ الكنيسة الشرقية واهم احداث الكنيسة الغربية، (حلب: مطبعة الاحسان، 1963م)

يني، جرجي افندي.

126. تاريخ سوريا، (بيروت: المطبعة الادبية، 1881م).

اليوسف، عبد القادر احمد.

127. الامبراطورية البيزنطية، (بيروت: المكتبة العصرية، 1966م)
128. العصور الوسطى الاوربية 476 – 1500م،(بيروت: 1967م)

خامساً ـ الدوريات والبحوث

اغناطيوس، افرام الاول.

1. كتاب الشهداء الحميريين، مجلة (المجمع العلمي العربي)، مج23،ج1، (دمشق: مطبعة الترقي،1948م).

الالوسي، سالم.

2. اكتشاف مهم في تلول العبرة الصغيرة، مجلة (سومر)، مج 10، ج1، (بغداد: مديرية الاثار القديمة العامة، 1954م).

الحاج حمدان، عبد المجيد.

3. الامبراطور الروماني فيليب العربي **Philip The Arabian** (ماركوس يوليوس فيليبوس **Marcus Julius Philippus**)، مجلة (دراسات تاريخية)، العددان 85و86، (دمشق: 2004م).

روتشتاين، غوستاف.

4. اثر النفوذ الكندي في سياسة الحيرة، ترجمة: منذر عبد الكريم البكر، مجلة (كلية التربية)، السنة الرابعة، العدد 8،(البصرة: جامعة البصرة، 1982م).
5. تاريخ السلالة اللخمية، ترجمة: منذر البكر، مجلة (كلية الاداب)،ع 16، (البصرة: جامعة البصرة،1980م).

زهدي، بشير.

6. طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، مجلة (الحوليات الاثرية السورية)، مج42، (دمشق: 1996م).

سفر، فؤاد.

7. ثبت بسادة الحضر وملوكها، مجلة (سومر)، ج1و2، مج28، (بغداد: مديرية الاثار العامة، 1972م).

غربال، محمد شفيق.

8. الموسوعة العربية الميسرة، (بيروت: دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، 1987م).

فرعون، محمود.

9. دور مملكة كندة السياسي في شمال الجزيرة العربية في القرنيين الخامس والسادس الميلاديين، مجلة (دراسات تاريخية)، س17، ع55 – 56، (دمشق: لجنة كتابة تاريخ العرب، 1996م).

محل، سالم احمد.

10. دور العرب في الصراع بين الساسانيين والبيزنطيين، مجلة (اداب الرافدين)، العدد 16، (الموصل: 1986م).

محمد، اسكندر.

11. العرب الغساسنة (في ما كتبه الامبراطور الى مرقيان والمنذر)، المجلة (البطريركية)، ع7، س 1،(دمشق: بطريركية انطاكيا وسائر المشرق للسريان الارثوذكس، 1963م).

محمد، مشتاق طالب.

12. مدن العراق القديمة، ترجمها عن الموسوعة البريطانية، مجلة (ميزوبوتاميا)، العدد المزدوج 5 و6، (بغداد: مركز دراسات الامة العراقية، 2005م).

محمدي، محمد.

13. زرادشت واصول الديانة الزرادشتية، مجلة (الدراسات الادبية)، السنة الرابعة، العدد المزدوج 4،3،2، (بيروت: الجامعة اللبنانية، 1962 – 1963م).

مظلوم، طارق عبد الوهاب.

14. المدائن (طيسفون) 1970 – 1971م، مجلة (سومر)، مج 27، (بغداد: مديرية الاثار العامة، 1971م).

معلوف، لويس.

15. المنجد في الاعلام، ط3، (طهران: منوشرات ذوي القربى، مطبعة اميران، 2001م)

الموسوي، جواد مطر، وصالح، مهدية فيصل.

16. طبقات المجتمع الساساني (226 – 636م)، مجلة كلية الاداب، العدد 68، (بغداد: 2005م)

مينورسكي.

17. ارمينية صقع في غربي اسيا، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: ابراهيم زكي خورشيد واحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، (القاهرة: مطبعة الشعب، د.ت)

وهبي، توفيق.

18. اصل تسمية شهرزور، مجلة (سومر)، ج1و2، مج17، (بغداد: 1961م)

ياسين، نجمان.

19. الحضر مملكة العرب المنتصرين، مجلة (افاق عربية)، العددان 1و2، السنة الرابعة والعشرون، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2002م).

اليسوعي، الاب سبستيان رتزفال.

20. زينب (الزباء) ملكة تدمر، مجلة (المشرق)، العدد 13، السنة الاولى، (دمشق: 1898م).

يعقوب الثالث، مار اغناطيوس.

21. الشهداء الحميريون العرب في الوثائق السريانية، المجلة (البطريركية)، ع31، س4،(دمشق: بطريركية انطاكيا وسائر المشرق للسريان الارثوذكس، 1965م)

سادساً ـ الرسائل الجامعية.

الخالدي، شذى احمد عيسى.

1. تدمر ابان القرنين الثاني والثالث الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة البصرة: كلية الاداب، 2001م).

زوير، علي فرحان.

2. الهياطلة تاريخهم ودورهم في المشرق خلال العصر الاموي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (بغداد: جامعة بغداد – كلية التربية، 2005م).

طه، صلاح الدين امين.

3. فتح العرب ارمينية، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: جامعة بغداد – كلية الاداب، 1970م).
4. الحياة العامة في ارمينية دراسة في اوضاعها الادارية والاجتماعية والاقتصادية 30هـ/ 651م – 247هـ/ 863م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد: كلية الاداب، 1979م).

العبادي، احمد صالح محمد.

5. الاطماع الاجنبية في اليمن قبل الاسلام 24 ق.م – 628م، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد، جامعة بغداد – كلية التربية، 2001).

العلان، أرواد.

6. السياسة الساسانية الايرانية تجاه بيزنطة في القرن السادس الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة دمشق: كلية الاداب والعلوم الانسانية، 2005م)

علي، ابراهيم محمد.

7. المناذرة دراسة سياسية حضارية 268 – 602م، رسالة ماجستير غير منشورة (الموصل، جامعة الموصل – كلية الاداب، 1982م).

الفتيان، احمد مالك.

8. التنقيبات الاثارية في العراق في العهد الفرثي، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الاداب، قسم الاثار، 1975م).

كسواني، جورية حنا.

9. الادارة والتنظيمات الادارية الرومانية في سورية (64ق.م – 305م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة دمشق: كلية الاداب والعلوم الانسانية، 2005م).

الكعبي، نصير عبد الحسين صبار.

10. التاريخ السياسي للدولة الساسانية في المصنفات العربية الاسلامية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الاداب، جامعة الكوفة، 2002م).

محل، سالم احمد.

11. العلاقات العربية – الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، (بغداد: جامعة الموصل – كلية الاداب، 1967م).

سابعاً: المصادر الفارسية

ادنيفر.م.

1. دائرة المعارف زرين يا اطلاعات عمومي، أي ازنو يسذكان ايران وجهان، بامقدمة: محمد عباس، (د.م، د.ت).

بروكوبيوس.

2. جنكهاي ايران وروم، ترجمه للفارسية: احسان يارشاطر، (طهران: 1959م).

ابن البلخي.

3. فارس نامة، بسعي واهتمام وتصحيح: كي لسترانج ورينولد الن نيكلسون، (كمبريج: دار مطبعة دار الفنون، 1931م)

خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسني.

4. تاريخ حبيب السير في اخبار افراد البشر، تقديم: جلال الدين هاني، (ايران: مطبعة حيدري، د.ت)

رازي، عبد الله.

5. تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسلة ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، (تهران: شركة الحاج محمد حسين اقبال وشركاه، 1335هـ).
6. تاريخ كامل ايران از تاسيس سلسلة ماد تا انقراض قاجارية، (تهران: جاب اقبال، 1363هـ).

رجبي، برويز.

7. هزاره هاش كمشدة، جلد جهارم - اشكانيان (بارت ها)، جاب دوم، (تهران: انتشارات توس، 1380هـ).

زرين كوب، عبد الحسين.

8. تاريخ مردم ايران (ايران قبل از اسلام كشمكش باقدرتها)، (تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير، 1381هـ).
9. روزكاران تاريخ ايران ازا غاز تا سقوط سلطنت بهلوي، (تهران، جابخانة مهارت، 1378هـ).

سايكس، سير برسي.

10. تاريخ ايران، ترجمه الى الفارسية: سيد محمد تقي فخر داعي كيلاني، جاب سوم، (تهران: جاب افست علي اكبر علمي، 1332هـ)

داهيم، بهرام.

11. خسرو برويز وجنكهاي بيست وهفت ساله ايران وروم، مقدمة: زبيدة جهانكيري، جاب سوم، (طهران: جاب قيام، 1376هـ)

دريايي، تورج.

12. شاهنشاهي ساساني، ترجمة: مرتضى ثاقب قر، (تهران: انتشارات ققنوس، 1383هـ)

دياكونوف، ميخائيل ميخائيوديج.

13. تاريخ ايران باستان، ترجمة: روحي ارباب، (تهران: 1380هـ).

ماسه، هنري واخرون.

14. تمدن ايراني انر جندتن ازخاورشناسان فرانسوى، ترجمة: عيسى بهنام، (طهران: مطبعة بهمن، 1337هـ/ 1958م).

المستوفي قزويني، حمد الله بن ابي بكر احمد بن نصر (ت730هـ/ 1329م).

15. تاريخ كزيدة، باهتمام: عبد الحسين نوائي، (طهران: مطبعة الفردوسي، 1336هـ).

مشكور، محمد جواد.

16. ايران در عهد باستان، جاب جهارم، (طهران: 1363هـ).

ملايري، محمد محمدي.

17. تاريخ وفرهنك ايران در دوران انتقال از عصر ساساني به عصر اسلامي، جاب دوم، (تهران: انتشارات توس، 1379هـ).

مهرابادي، ميترا.

18. تاريخ كامل ايران باستان، (تهران: انتشارات افراسياب، 1380هـ)

مهميد، محمد علي.

19. تاريخ ديبلماسي ايران، (تهران: 1361هـ)

ميلر، و.م.

20. تاريخ كليساي قديم در امبراطوري روم وايران، ترجمة: علي نخستين، (تهران: 1382هـ)

نفيسي، سعيد.

21. تاريخ تمدن ايران ساساني، (ايران: انتشارات جامعة طهران، 1331هـ).

نولدكه، تيودور.

22. تاريخ ايرانيان وعربها در زمان ساسانيان، جاب دوم، ترجمة: عباس زرياب، (تهران: بزوهشكاه علوم انساني ومطابعات فرهنكي 1378هـ).

ولسكي، يوزف.

23. شاهنشاهي اشكاني، ترجمة: مرتضى ثاقب قر، (تهران: ققنوس، 1383هـ).

يارشاطر، احسان واخرون.

24. تاريخ ايران از سلوكيان تا فرو باشى دولت ساسانيان، ترجمة: حسن انوشه، جاب سوم، (طهران: مؤسسة انتشارات امير كبير، مطبعة سبهر، 1380هـ).

كالج، مالكوم.
25. اشكانيان (بارتيان)، ترجمة: مسعود رجب نيا، (تهران: هيرمند، 1380هـ).

كرانتوسكي واخرون.
26. تاريخ ايران از زمان باستان تا امروز، ترجمة: كيخسرو كشاوزي، 0 تهران: انتشارات يويش، 1359هـ).

ثامناً: المصادر الاجنبية

Bausani, Alessandro.

1. **The Persians from the earliest days to the twentieth century, Translated from the Italian by: J.B. Donne, England, Weatherbys Printers G.C.Sansoni, Florence (1962).**

Baynes, Norman.

2. **Byzantine Studies and Other Essays, University of London, The Athlone Press(1955).**

Bengtson, Hermann, and Others.

3. **The Greeks and the Persians from the sixth to the fourth centuries B.C, Delacorte Press, New york(1968).**

Burn, A.R.

4. **The Warring States of Greece from their Rise to the Roman Conquest, London(1968).**

Bury.J.

5. **A History of Greece to the death of Alexander the Great, London (1920).**
6. **History of the Later Roman Empire, London (1923).**

Cary, M.

7. **A History of Rome down to the reign of Constantine, Second Edition, Marcmillan & Coltd, New York & London (1960).**

Cotterill, H.B.

8. **Ancient Greece Asketch of Its Art Literature &Philosophy Viewed in Connexion with Its External History from Earliest Time to the Age of Alexander the Great, Second Edition, London (1915).**

Davis, R.H.C.

9. **A History of Medieval Europe From Constantine to Saint Louis, Longman(1970)**

Diehl, Charles and De L'institut Membre

10. **History of the Byzantine Empire, Translated from the French By:George.B.Ives, New York(1945).**

Encyclopedia Britanica

11. **Palmyra, The Edition 15, London (1985)**

Ferrero, Guglielmo and Barbagallo, Corrado,

12. **A Short History of Rome (The Monarchy and the Republic from the Foundation of the city to the Death of Julius Caeser 754 B.C - 44B.C, New York and London (1918).**

Ghirshman, Roman

13. **Iran from the Earliest times to the Islamic conquest, London(1954).**

14. **Iran Parthian and Sassanians, Translated by, Stuart Gilbert & james Emmons, Thames and Hudson, France (1962),**

Hay Wood, R.M.

15. **Ancient Rome, New York (1967).**

Homo, Leon.

16. **Roman Political Institutions From city to state, London (1929).**

Jones, A.H.M.

17. **The Later Roman Empire 284 - 602 "A social Economic and Administrative Survey", Oxford(1946).**

Koenigsberger, H.G and Briggs, Asa.

18. **A History of Europe " Medieval Europe 400 - 1500", Longman, New York(1989).**

Lamb, Harold.

19. **Constantinople: Birth of an Empire, NewYork(1957).**

Lindsay, JacK.

20. Byzantium in to Europe, London(1952).

Munro, Dana Carleton and Sontag.

21. Baymond James, The Middle Ages 395 - 1500, London (1928).

Oman, Gharles.

22. The Dark Ages 476 - 918, Sixth Edition, London, (1949).

Ostrogorsky, George.

23. History of the Byzantine State, Translated by, Joan Hussey, Oxford (1968),

Pirenne, H.

24. A History of Europe from the Invasions to the XVI Century, London (1967).

Reid J.S.

25. The Re Organization of The Empire, In The Cambridge Medieval History Camridge, At University Press(1936).

Robinson, Chrles Alexander.

26. Athens in the Age of Pericles, University of Oklahoma Press(1959).

Robinson, Cril.

27. A History of Rome from 753 B.C To 410 A.D., London (N.D).

Robinson, David.

28. Baalbek Palmyra, The Johns Hopkins University, Publisher, New York (N.D).

Robson, E.Iliff

29. History of Alexander and Indica, Great Britain (N.D).

Al - Salihi, Wathiq, I

30. The Sieges of Hatra, .(Sumer),

Smith, Sir William.

A Smaller History of Rome from the earliest times to the death of Trajan, London(1920).

Al - Talibi, Ahlam.

31. Hatra, Une Ville Au passe Prstigieux (Memoire de D.E.A" langues, histoire et civilisations des mondes ancient, des origines a'la fine du moyen - Age", Annee Universitaire, France (1986 - 1987).

Tenen, I.

32. Junior Histories of the Ancient World, Third Edition, Macmill and Colimited, London(1937),

Vasiliev, A.A.

33. History of the Byzantine Empire 324 - 1453, Second Edition, The Regents of the University of Wisconsin (1952)

Wenzel, Marian.

34. Finding Out About the Byzantines, London(1965).

ثامناً: المحاضــرات.

الداقوقي، حسين علي.

1 – الممالك والشعوب في بلاد ما وراء النهر قبل الفتح العربي الاسلامي، محاضرة القاها على طلبة الماجستير في كلية التربية – جامعة بغداد، العام الدراسي 2000 – 2001م.

تاسعاً: الانترنيت

1 – خنجي، امير حسين، تاريخ ايران زمين (تاريخ ايران از دور تربن دوران تا سال 628ميلادي)،

WWW.irantarikh.com taarikh. htm - 67k - Im Cach -

Ahnliche Seiten.

2 - Marceilinus, Ammianus, Rerum Gestarum Libri

http://WWW.ammianus.info/Vertaling.